

رَحَائِلُ وَنِسَاءُ

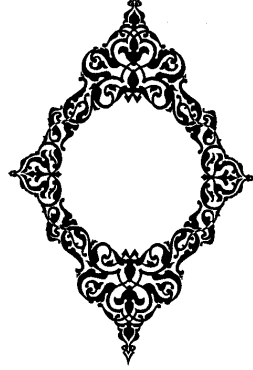
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ قُرْآنًا

الرَّكُوتِ بِحَمْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

45 سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

ت : 5916021



رَجَالٌ وَنِسَاءٌ
أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

اسم الكتاب : رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا

اسم المؤلف : د/عبدالرحمن عميرة

الناشر : دار الحرم للتراث

العنوان : ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

التليفون : ٥٩١٦٠٢١ - ٠١٠٥٦٢٤٥٨١ - ٠١٠٥٣٣١٤٥

رقم المجلد : الثانى

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٨٠٠٤

الترقيم الدولي : ٩٧٧-٦٠٣٨-٢٥-٥

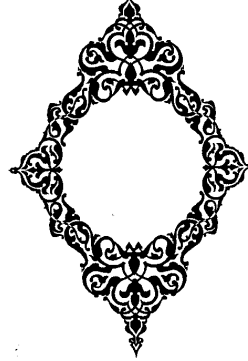
تجهيزات الكمبيوتر : 4 H للكمبيوتر ٠١٠٦٦٧٤٣٣٥

تصميم الفلاف : ياسر فوده ٠١٢١٦٨٤٥٠٦

جميع حقوق الطبع محفوظة
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب
أو تخزينه أو تسجيله بأى وسيلة
أو تصويره دون موافقة خطية

الطبعة الأولى

يناير / ٢٠٠٦



خالد بن الوليد سيف الله

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

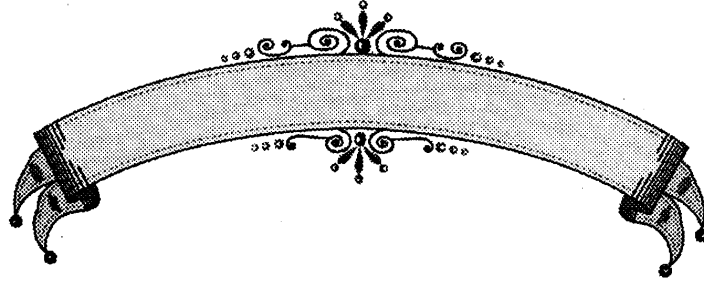
قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

- ١- قال ابن عباس- رضي الله عنه- نزلت فى بنى عمرو بن عمير ابن عوف من ثقيف.
- وعزاه السيوطى فى اللباب ص ٥١ لأبى يعلى وابن منده من طريق الكلبي.
- وقال عطاء وعكرمة نزلت فى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان. وكانا يسلفان فى التمر.
- وقال السدى نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا.
- وعزاه السيوطى فى الدر ١: ٣٦٦ لابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم.
- فمن هو خالد بن الوليد- رضي الله عنه ٩٠.



قال الرسول - ﷺ :

خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سَلَّه الله على المشركين.
رواه البخاري في فضائل الصحابة ٢٥

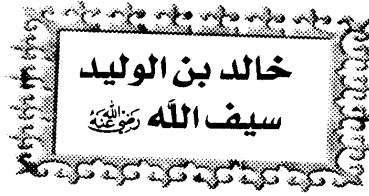
قال الصديق أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب
لابن عبد البر

لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها
وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة
سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم ثم هأنذا
أموت على فراشي كما يموت البعير فلا
نامت أعين الجبناء. ٩١

خالد بن الوليد





حياته ونشأته

بطل من أبطال المعارك لا يشق له غبار.
وفارس مقاتل لم يعرف طعم الهزيمة قط.
وسيف من سيوف الله، سلّه الله على المشركين.
والده : الوليد بن المغيرة. كان يقال له العدل. لأنه كان يكسو الكعبة عاماً،
وتكسوها قريش كلها عاماً آخر.
من هنا جاء لقب العدل، وهو أحد قضاة العرب في الجاهلية.
ومن زعماء قريش في دار الندوة.
يصفه بعض المؤرخين، بأنه كان رزينا هداة عقله إلى بعض الحق. منها
أنه عرف أن الخمر لا تليق بالرجل الوقور..
عندئذ حرمها على نفسه قبل ظهور الإسلام.
وقد تناوله القرآن الكريم في أكثر من موضع. منها أنه عندما سمع
الوليد بدعوة الإسلام التي جاء بها محمد - ﷺ - وتتابع الوحي على يتيم
بنى طالب - كما كانوا يسمونه - انتفخت أوداجه كبراً و صلفاً. وأخذته العزة
بالإثم.
ثم زعم بأنه أحق الناس بالنبوة والقرآن.
وقال: أنزل القرآن على محمد وأترك..؟

وأنا كبير قریش وسيدها ٩٠.

ويرد القرآن أمانيتهم الباطلة، وأحلامهم الواهية، وتدخلهم في شئون الخالق جل وعلا. وهم أنفسهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُم يَقْسَمُونَ بِرَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١).

وأم خالد: لبابة بنت الحارث. أخت ميمونة زوج النبي - ﷺ.

وأخت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب - ﷺ.

ولخالد عشرة من الإخوة الذكور.

منهم: الوليد بن الوليد الذي أسره المسلمون في غزوة بدر. فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام وافتدياه بأربعة آلاف درهم.

فلما افتدياه أسلم. فقليل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين ٩٠.

فقال: كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الإِسار فأسلمت ٩٠.

وعندما نطق بالشهادتين حبسوه بمكة فكان رسول الله - ﷺ - يدعو له فيمن دعا لهم من مستضعفى المؤمنين بمكة.

إسلام خالد

يقول خالد بن الوليد - ﷺ - شرح الله صدرى للإسلام، فأزمنت الهجرة إلى رسول الله - ﷺ.

ثم أردت صاحباً يرافقنى فلقيت عثمان بن طلحة، فذكرت له الذى أريد. فأسرع بالإجابة.

(١) سورة الزخرف آية رقم: ٣١، ٣٢.

وخرجنا ليلاً فلما كنا «بالهل» إذا عمرو بن العاص - رضي الله عنه .

فقال: مرحباً بالقوم.

قلنا: وبك.

قال: أين مسيركما..؟

فأخبرناه بوجهتنا فقال: وأنا أريد ذلك.

فسرنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله - ﷺ - .

فلما وقفت بين يدي الرسول - ﷺ - سلمت عليه بالنبوة.

فرد عليّ السلام بوجه طلق.

فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

فقال رسول الله - ﷺ - :

«قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير».

وبايعت رسول الله - ﷺ - وقلت استغفر لي كل ما قدمت من صد عن سبيل الله.

فقال: الإسلام يجبُّ (يقطع) ما كان قبله.

قلت: يا رسول الله ادع لي..؟

فقال: اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما قدم من صد عن سبيلك.

وقال خالد: وتقدم عمرو بن العاص. وعثمان بن طلحة فأسلما وبايعا

رسول الله - ﷺ - .

أسلم خالد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة. وقال الرسول - ﷺ -

- عندما رأهم مقبلين عليه - للصحابة:

«رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها».

ونقول: هل بقي في مكة لدى قريش الجاحدة بدين الإسلام أمثال هؤلاء

الفرسان الشجعان ملوك المعارك..٩

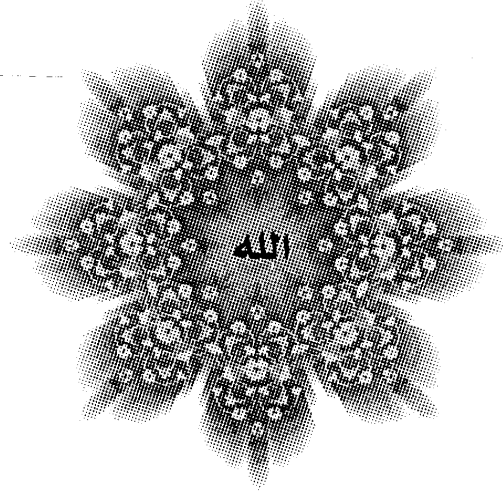
إن وصول الفرسان الثلاثة إلى مدينة الرسول - ﷺ - معناه أن قريش استسلمت، وألقت بكل أسلحتها.

وقد فشلت (استراتيجيتها)، ويئست في دخول معركة جديدة مع محمد وفرسانه.

ليس هذا فحسب. ولكن أصبحت حصون مكة جميعها مفتحة بالكامل أمام القوة الضاربة لجيش المسلمين.

هذا بالإضافة إلى وجود هدنة بين الرسول - ﷺ - وبين قريش.

إذن لابد من تأمين الجزيرة العربية من جيوش الروم التي تعسكر على مشارف الشام. وتهدد المداخل والمخارج.



خالد في غزوة (مؤتة)

لهذا كانت أولى الغزوات التي اشترك فيها خالد بن الوليد بعد إسلامه-
هذه الغزوة.

ولقد ظهرت عبقريته الحربية. عندما رأى أن الروم قد حشدت لهم أكثر
من مائتي ألف جندي، مع وفرة المعدات الحربية التي يملكونها..
عندها قسّم خالد جيشه الذي لا يتجاوز عدده الثلاثة آلاف جندي إلى
قسمين.

قسم واجه العدو، وأخذ في مناوشته، ومبارزة جنوده.
وقسم آخر ابتعد تحت جناح الظلام عن أرض المعركة، وأخذ يجرى
بالخيل في الصحارى الممتدة، فتشيد الغبار، ويتصاعد إلى عنان السماء.
عندها شعر جيش الأعداء بأن مدداً جاء للمسلمين، فانحازوا بعيداً عن
مسرح المعركة.

عندها انحاز المسلمون متهيئين للسير إلى المدينة.
وبذلك استطاع خالد أن ينقذ جيشه من هزيمة محققة ويعود بتلك
الكوكبة من الفرسان سالمين إلى المدينة.
وفوّت فرصة النصر أمام جيش جرار لا تغيب عنه الشمس.

خالد في فتح مكة

اشترك خالد في فتح مكة. وشاهد الرسول - ﷺ - وهو أخذ بأستار الكعبة ويقول:

(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً).

ويكرر لا إله إلا الله.

صدق وعده، ونصر عبده.

وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

يا أهل مكة. يا سدة بيت الله الحرام. ما تظنون أني فاعل بكم؟..؟

قالوا: خيراً: أخ كريم وابن أخ كريم.

عندها قال ﷺ:

«أذهبوا فأنتم الطلقاء».

المعارك الجانبية في فتح مكة وسماحة فرسان الإسلام

لقد وقعت بعض المعارك الجانبية في فتح مكة مع عصابات الشرك والكفر وشاهد الإمام عليؑ - كرم الله وجهه - أحد فرسان المشركين يجندل جنود المسلمين ويعمل سيفه في رقابهم.

وكانه النار المحرقة التي تكتسح أمامها كل شيء.

وما كاد الإمام عليؑ يرى ذلك. حتى انقض عليه، وانتزعه من على فرسه، وألقى به أرضاً.

وقبل أن ينتزع الفارس جسمه من الأرض كان الإمام عليؑ يهبط عليه كالصاعقة من فوق فرسه، ويضع قدميه على ذراعيه. ويقبض على سيفه، ليقطع رأسه مع رقبته..

ثم ماذا؟ مضت برهة. ولم يفعل الإمام شيئاً.

ثم رفع قدميه من على ذراعي المشرك. ووضع سيفه في قرابه، واعتلى صهوة جواده. وتركه ملقى على الأرض.

وكان بلال - رضي الله عنه - ومعه جماعة من المقاتلين. يشاهدون ذلك، فتعجبوا من أمر عليؑ؟

كيف لم يقتله - وقد أمكنه الله منه - وهو مستسلم بين يديه..؟

عندها صرخ بلال في وجه الإمام عليؑ قائلاً:

ويحك يا علي لم لم تقتله..؟

وكان رد الإمام المؤمن. القائد الورع الذي تربى في مدرسة النبوة والذي يملأ الإيمان كل جارحة من جوارحه:

يا أخى يا بلال لقد بصق هذا المشرك فى وجهى، فخشيت أن أقتله، فيكون قتلى له غضباً لنفسى لا لله.

نعم إنهم أبناء وفرسان مدرسة النبوة.

كانوا يحملون سيوفهم، ومن وراء سيوفهم أخلاقهم فكان سيوفهم نفسها ذات أخلاق.

لقد حررهم الإسلام من الحقد والضعيفة.

وحررهم من أسر الخصومة والظلم. وصدق ربى فى قوله:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّخِذُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (١).

خالد فى حروب الردة

فى يوم ليس كمثله يوم نعى الناعى رسول الله - ﷺ - وردد الكون قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

وما كادت الجزيرة العربية تسمع خبر وفاة الرسول - ﷺ - حتى نكس البعض على عقبه، وامتنعوا عن أداء الزكاة لخليفة رسول الله وكان لابد من محاربة هؤلاء المرتدين.

عندها جُيِّشَت الجيوش لذلك. واختار الخليفة خالد بن الوليد - رضى الله عنه -

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

لقيادة الجيش الأول لقتال بنى حنيفة.

بنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب- مدعى النبوة .

وانخرط في هذا الجيش نخبة كبيرة من صحابة رسول الله - ﷺ -
ومن فرسان مدرسة النبوة.

روى الإمام أحمد عن طريق وحشى بن حرب. أن أبا بكر الصديق لما
عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة قال: «سمعت رسول الله - ﷺ -
يقول:

«نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد. سيف من سيوف الله سلّه
الله على الكفار والمنافقين».

وقبل أن يتحرك الجيش قال له أبو بكر: «ليزدك ما أنعم الله به عليك
خيراً، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.
جد في أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل فرداً من
المسلمين إلا نكلت به».

مقتل مسيلمة الكذاب

حشد مسيلمة جيشاً جراراً وجعل على ميمنته المحكم بن الطفيل. وعلى
الميسرة الرحال بن عنقوة.

وجاء خالد بن الوليد بجيشه. فلما تقابل الجيشان قال مسيلمة لقومه:
اليوم يوم الغيرة. اليوم إن هزمتم تستكح النساء سبيات، وينكحن غير
حظيات.

فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم...؟

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على أرض
اليمامة.

فضرب به عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة.
وراية الأنصار مع ثابت بن قيس.
واصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة. وانهزمت الأعراب حتى دخلت
بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد.
عندها غضب الصحابة وقال ثابت بن قيس:
«بئس ما عودتم أقرانكم. ونادى من كل جانب. أخلصنا يا خالد.
فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار. وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد
مثله وجعلت الصحابة يتواصلون بينهم ويقولون: «يا أصحاب سورة البقرة».
بطل السحر اليوم.
وحفر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل
لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن.
فلم يزل ثابتاً حتى قُتل فى مكانه..
وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: نخشى أن نُؤتَى من قبلك..
فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا...
وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا فى
عدوكم وامضوا قدماً.
ثم قال: واللّه لا أتكلم حتى يهزمهم الله، أو ألقى الله فأكلمه بحقى.
فقتل شهيداً - رضي الله عنه.
عندها حمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار إلى مسيلمة، وجعل
يتربص أن يصل إليه فيقتله.
ثم رجع ووقف بين الصفيين ودعا إلى المبارزة وقال:
«أنا ابن الوليد العود. أنا ابن عامر وزيد. ونادى بشعار المسلمين

يا محمداه.

وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا يخرج له فارس إلا كان طعمة لسيفه
ودارت رحي الحرب. ثم اقترب خالد من مسيلمة، فعرض عليه النصف فقال
خالد: إن قبلنا فأى الأنصاف تعطينا..؟

وصبر الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون
إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم.

عندها ولى الكفار الأدبار، فأتبعوهم يضعون السيوف فى رقابهم حيث
شاءوا حتى ظهر مسيلمة.

فتقدم إليه وحشى بن حرب - رضي الله عنه - فرماه بحريته فأصابه، وخرجت
من الجانب الآخر.

وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط عدو
الله.

قُتل رأس الكفر مسيلمة الكذاب.

قُتل من جمع الجموع وجيَّش الجيوش لحرب المسلمين.

ويقتله عادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى رحاب الإسلام وإلى دفع
الزكاة، لتعود مرة أخرى إلى فقرائهم.

عادت الجزيرة العربية إلى الإسلام.

وارتفعت فوق مآذنها كلمة التوحيد.

عندها انطلق المسلمون إلى أرض فارس والروم ليخلصوا البشرية كلها
من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الأحد.

فأين خالد بن الوليد فى هذه التبعة الملقاة على أكتاف المسلمين..؟

خالد خارج الجزيرة العربية

ما كاد يفرغ البطل العملاق خالد بن الوليد من حروب الردة، وعادت الجزيرة العربية إلى رحاب الإسلام، إلى كلمة التوحيد.

حتى صدرت الأوامر من خليفة المسلمين أبي بكر الصديق إلى الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرض فارس.

ذات الخضرة اليانعة.

والبساتين الفواحة بالعطر، المليئة بالثمر.

والتي تتخللها القنوات الكثيرة التي تقذف على أراضيها المنبسطة بالماء العذب من نهر دجلة. ولقد حدد الخليفة خط السير للجيش المحارب على أن يبدأ بمدينة «الأبلة».

ويأتي العرب من أعاليها .

فإذا وصل الجيش إلى تلك البلاد، دعا أهلها إلى واحدة من ثلاثة:

١ - الإيمان بالله وحده وترك ما عداه من الألوهية الزائفة.

٢ - دفع الجزية للجيش المحارب على أن تأخذ منهم في كل عام.

٣ - الحرب والقتال.

وكان من وصايا الخليفة للقائد العام ألا يُكره أحداً على المسير معه ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام، وإن كان قد عاد إليه.

ثم ماذا؟..

سار خالد بجيشه حتى نزل مدينة «قريات» وما كاد أهلها يسمعون بجيش المسلمين حتى سارع أهل الرأي فيها وصالحوه على دفع الجزية في كل عام، لقد اعتزوا بديانتهم. وخافوا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم من القتل فاختروا الجزية.

ثم سار خالد بجيشه حتى وصل «الحيرة» عروس أرض فارس- في ذلك الوقت- فخرج إليه أشرافها مع رجل يسمى قبيصة بن إياس والى منطقة الحيرة. وكان قد أمره عليها كسرى بن النعمان بن المنذر.

فقالوا: ماذا تريدون منا. ولم نعتد على أرضكم ولم يكن بيننا قتال..؟
قال خالد: جئنا ندعوكم إلى عبادة الله تعالى، والدخول في دين الإسلام، فإن أجبتهم فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم.
فإن أبيتم الإسلام كان عليكم جزية تدفع كل عام من خالص أموالكم. وإلا فالحرب.

وقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة.. ثم جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم..؟
فقال له قبيصة: ما لنا بحريك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية.

فتعجب خالد من رفضهم الإسلام.
وقال: تباً لكم. إن الكفر فلاة مضلة، وأعمى العرب من يسلكها ثم صالحهم على مائة ألف درهم.
وكانت أول جزية أخذت من العراق ثم حملت إلى المدينة ومن سبقها من جزية «القريات».

موقعة «الأنبار»

ثم توجه جيش الفتح، جيش عمالقة الإسلام إلى (الأنبار)، فرأى المسلمون فيها قصوراً عالية، وأبراجاً مرتفعة.

ويساتين مثمرة، وأسواقاً مزدحمة.

وبيوتاً كثيرة لطلاب العلم والمعرفة.

إنها الدنيا الجديدة التي بهرت الجيش الإسلامي.

وكان فرسان (الأنبار) يقاتلون على ظهور الفيلة- وهي دبابة الفرس، وتتناول بخرطومها الفارس من على ظهر جواده في لمح البصر وتدوسه بأقدامها.

عندها أمر خالد أن يضربوا رماة الأعداء في أعينهم، وكان جيش المسلمين على درجة عالية من ذلك.

وما هي إلا سوياعات قليلة حتى فر جيش الأعداء. وهربت الفيلة بعد أن أصيبت في أعينها، إصابات بالغة.

ثم ماذا؟..

تم الفتح والنصر. ومن هذا التاريخ أطلق على جيش المسلمين رماة الحديق

لأنهم لم يخطئوا الهدف وسميت هذه الغزوة بذات العيون.

إن هذا الجيش لم تكن مهمته القتال فحسب، ولا هزيمة الأعداء وكفى ولكنهم كانوا هداة ودعاة.

هداة إلى الله ودعاة إلى دينه وشرعه.

وكانوا يعلمون مَنْ يدخلون في الصلح الإسلام وتعاليمه، والدين وأوامره والقرآن وهديه.. امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(١).

(١) سورة التوبة آية رقم: ٦.

خالد على أرض الشام

عزم خليفة المسلمين أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على جمع الجنود لبيعهم إلى أرض الشام عملاً بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

ويقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢).

واقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنه جمع المسلمين لغزو الشام.

وذلك في غزوة تبوك حتى أنه وصلها في حر شديد، وجهد جهيد.

ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد - رضي الله عنه - على جيش كبير فيه مجموعة من الصحابة ليغيروا على تخوم الشام.

وكان أول لواء عقده الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص - وخرج معه ماشياً يوصيه ومن معه من المسلمين وجعل له دمشق.

والثاني: عقده لأبي عبيدة بن الجراح، وخرج معه ماشياً يوصيه وجعل له نيابة حمص.

والثالث: عقده لعمرو بن العاص - وخرج معه ماشياً يوصيه، ويحدد له ما يجب فعله وجعل له فلسطين.

ثم أمر كل قائد أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر مقتدياً في ذلك بنبي الله يعقوب - عليه السلام - عندما قال لبنيه:

﴿يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ (٣).

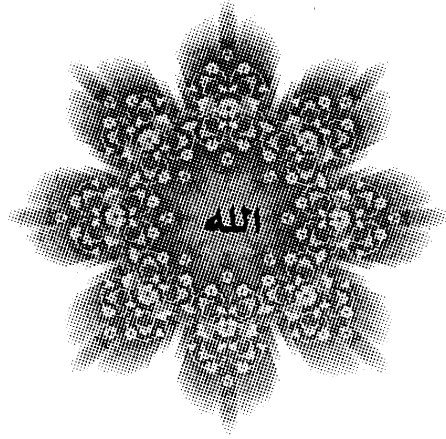
ولما توجهت هذه الجيوش إلى الشام أفرع ذلك الروم، فكتبوا إلى هرقل فلما انتهى إليه الخبر قال لهم:

(٢) سورة التوبة آية رقم: ٢٩.

(١) سورة التوبة آية رقم: ١٢٢.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٦٧.

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنه لا قبل لأحد بهم فأطيعوني.
وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم.
وإن أنتم أبيتم ذلك، أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم...»
ولكنهم رفضوا ما قاله هرقل.. وطالبوه بالحرب..؟
عندها أمر الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام.
فأسرع خالد إلى الشام، بعد أن استتاب عنه على أرض فارس المثنى بن
حارثة.
واصطحب معه تسعة آلاف مقاتل، وسلك بهم طريقاً وعرة، وسار يطوى
الليل والنهار حتى وطأ أرض الشام، وطوق جيش الروم من الخلف..
ثم أمر بتجميع جيوش المسلمين. وقال لقادتهم تعالوا نتبادل الإمارة.
فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً وهذا بعد غد حتى يفتح الله لنا.
ودعوني اليوم للقيادة.
فأمروهم عليهم. وهم يظنون أن الحرب أمدها يطول.



علمنى الإسلام يا خالد..!!

وما كاد الجيشان يتلاقيان ويقتريان حتى خرج من جيش الروم القائد «جرجير» ونادى على خالد بن الوليد.

فجاء إليه خالد حتى تقابلت أعناق خيلهما.

فقال «جرجير»: يا خالد، أخبرنى وأصدقنى ولا تكذبنى، فإن الحُر لا يكذب..؟ ولا تخادعنى، فإن الكريم لا يخادع..؟

هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء، فأعطاكمه، فلا تسله على أحد من الأعداء إلا هزمته..؟

قال خالد: لا لم يحدث.

قال: ففيم سميت سيف الله..؟

قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا إلى الإسلام فتنفرنا منه، ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده..

وكنتم فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا، ونواصينا فهدانا به وبايعناه.

فقال لى: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين، ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك.

فأنا من أشد الناس على المشركين.

فقال جرجير: يا خالد إلى ما تدعون..؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.

قال: فمَنْ لم يجبكم..؟

قال: يدفع الجزية ونمنعهم..

قال: فإن لم يعطها..؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله..

قال: فما منزلة من يجيئك ويدخل في هذا الأمر..؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا.

قال جرجير: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر

والثواب..؟

قال: نعم وأفضل..

قال: كيف يساويكم وقد سبقتموه..؟

قال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حي تأتيه أخبار السماء

ويرينا الآيات. وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع..

وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب. فمن دخل

في هذا الدين بحقيقة ونية كان أفضل منا.

قال جرجير: بالله لقد صدقتي ولم تخادعني..؟

قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولي ما سألت عنه.

عند ذلك قلب جرجير الترس ومال مع خالد وقال:

«علمني الإسلام يا خالد».

ثم ماذا..؟

التقى الجيشان في حرب طاحنة. وتساقطت القتلى من الجانبين وانهزم

جيش الروم وفروا هاربين، وتبعهم الجيش الإسلامي يأسرون ويقتلون.

وقدر عدد القتلى بمائة وعشرين ألف قتيل من الروم..

هرقل يستقبل فلول الجيش المنهزم

قال ابن إسحاق: وقف هرقل - وهو فى أنطاكية يشاهد فلول الجيش المنهزم. وهم يتساقطون من الهلع والخوف والتعب.

فقال لهم: ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسو بشراً مثلكم؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً مضاعفة.

قال: فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من كبارهم: لأن أصحاب الدين الجديد يقومون الليل لعبادة الله ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويتناصحون فيما بينهم.

وحق لمن يفعل ذلك أن يكون الله معه وناصره.

أما نحن أيها الملك: فإننا نشرب الخمر.

وإنك الفحشاء ونزنى.

ونفعل الحرام. وننقض العهد. ونفتصب، ونظلم ونأمر بالسخط.

وكل هذا مما نهى الله عنه فكيف ينصرنا، ونحن لم ننصره؟

فالأرض كل الأرض وما فيها وما عليها ستكون لهؤلاء الرجال. رجال الله مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

(١) سورة الأنبياء الآية رقم: ١٠٥.

خالد بن الوليد وسفير الفرس

قال ابن المظفر^(١) في كتاب «النصائح» إن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم، ونزل بالنجف أرسل إليهم أن ابعثوا إلى رجلًا من عقلائكم.

فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو^(٢) بن قيس، وكان من المعمرين، وعمّر أكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة. وكان في يد عبد المسيح قارورة يقلبها. فقال له خالد: ما الذي في هذه القارورة؟

قال: سم ساعة.

قال: ماذا تصنع به؟

قال: إن وجدت عندك ما أحبه لقومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته، وإن لم أجد ذلك شربته، وقتلت نفسي به، ولم أرجع إلى قومي بما يسوؤهم. فقال خالد - رضي الله عنه -: هاتها.

فتناول القارورة فأفرغها خالد في راحته وقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم». ثم شربه.

ويقال: إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره، وغشيه عرق ثم سرى عنه.

(١) هو محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى: محدث العراق في عصره، يقال: إنه من ولد سلمة بن الأكوع، أصله من سامرا ومولده ووفاته ببغداد صنف كتباً كثيرة أحدها في فضائل بني العباس توفي عام ٢٧٩هـ. راجع تاريخ بغداد ٣: ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٢) هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس الفسائي، معمر من الدهاة من أهل الحيرة له شعر وأخبار يقال إنه باني قصر الحيرة، عاش زمنًا طويلاً في الجاهلية وأدرك الإسلام، وظل على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد، توفي عام ١٢هـ. راجع أمالي المرتضى ١: ١٨٨ والبيان والتبيين ٢: ٧٤.

فانصرف عبد المسيح إلى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب فقال لهم:

«جئتم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضياً، فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم».

فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة.

وفى هذا الكتاب أيضاً:

أن أمة لأبى الدرداء- رضى الله تعالى عنه - قالت له:

«من أى جنس أنت..؟»

قال: أنا آدمى مثلك.

قالت: كيف تكون آدمياً وقد أطعمتك السم أربعين يوماً فما ضرك..؟

فقال لها: أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شيء.. وإنى كنت أذكر الله باسمه الأعظم.

قالت: وما هو..؟

قال: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

ثم قال: ما الذى حملك على ذلك..؟

قالت: بفضلك.

قال: أنت حرة لوجه الله تعالى، وأنت فى حل مما صنعت.

عزل خالد عن القيادة

يحطم الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد آخر قلاع الروم فوق أرض اليرموك.

وما كاد المسلمون ينفذون أيديهم من هزيمة القوة الضاربة للروم. ويلقون بجنودها إلى قاع المحيط.

حتى تقام أيام النصر، ويتبارى الشعراء في وصف البطولة، وتصوير المعارك، وتساقط القتلى وهلع الفلول المنهزمة.

ويدخل هذه الحلبة الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - ويمدح خالد ويفرق في المدح. ويقول فيحسن القول.

وما كاد يفرغ من قوله، حتى أعطاه القائد المنتصر مبلغاً كبيراً من المال. ويصل خبر هذا العطاء إلى الحاكم العام - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عمر الساهر على أمر الرعية.

نقول يصل خبر العطاء السخى الذي قدمه خالد إلى الأشعث، عندها يرسل عمر إلى ابن الجراح - رضي الله عنه - أمين الأمة وشريك خالد في قيادة الجيش قائلاً: أما بعد.

فقد بلغني أن ابن الوليد قد قدم للشاعر الذي مدحه خمسمائة دينار. وهذا مبلغ كبير يكفي لإشباع خمسمائة جائع. فإذا جاءك خطابي فاعزله عن القيادة. وأسأله عن هذا المال على رؤوس الأشهاد.. أهو من ماله الخاص؟ فإن كان كذلك فقد أسرف، والإسراف صفة لا يصح أن يتصف بها قادة المسلمين. وبذر أمواله - والمبذرون إخوان الشياطين.

وان كان من أموال الجيش والدولة. فقد خان الأمانة.

والخيانة أيضاً ليست من صفات القيادة.

ويصدع أبو عبيدة بالأمر، ويتم عزل خالد، ويقاسمه جميع ماله.

فهل انتهت قضية العزل عند هذا الحد..؟
لا. إنها لم تنته ، لأن فرسان بنى أمية أولاد عمومة خالد وشبابها لم
يرضهم هذا العزل.
وأخذوا يتساءلون: كيف يُعزل قائد فى أوج انتصاره..؟
لا. إن هذا لا يكون..
إنهم فرسان الحرب، ورهبان الليل، لا يعرفون طعم الهزيمة أو التراجع.
ويتقدم أحدهم إلى خالد بن الوليد قائلاً:
«إنها الفتنة يا خالد».
ويرد عليه القائد المنتصر المعزول. وماذا نفعل يا رفيق السلاح..؟
ماذا نفعل يا أخا العرب، وقد رغب ابن الخطاب فى ذلك وأمر بتنفيذه..
ويرد عليه آخر:
«سنملؤها خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب فى المدينة».
وهنا يقول خالد الذى تربى فى مدرسة النبوة، فى مدرسة الفرسان، فى
مدرسة الحب والإيمان:
لا يا إخوتى فى الله.. يا رفقاء المعارك. لقد حططنا المدائن على أرض
فارس، ودمرنا القلاع على بطاح الروم. فهل توجد قوة ضاربة تقف أمام
المسلمين وتحتاج لسيف خالد..؟
ويرددون جميعاً لا. لا توجد قوة ضاربة تقف أمام جيش المسلمين.
عندها يقول خالد:
إذن الدولة الآن فى حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها لسيف خالد.
لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود.
ثم ماذا..؟

انخرط جندياً عادياً في جيش الفتح، جيش: لا إله إلا الله.
ونقول: على ذلك كان إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ.
وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح.
وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة، وقيادة المعركة، حتى بلغوا من
القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش.
وبلغوا من المروءة أن سير المعتصم الخليفة العباسي جيشاً لإنقاذ امرأة.
فلما شئت الوحدة، وتفرقت الجماعة وصارت سيوف المسلمين خشباً
يحملها خطباؤهم على المنابر، ومصاحفهم تائم يعلقها مرضاهم على الصدور.
أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب، وتراثهم نهباً لكل غاصب، وبلغوا من
التخاذل والفسل ما بلغوا.
أن الأندلسيين يجلبهم النصاري عن أقطارهم بالأمس، فلم يجدوا الرشيد؟
وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم؟
إن مسلمي هذا الزمن صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على
أخلاق العبيد يطأطئ أشرافهم فلا يحمي لهم أنف.
وتتقص أطرافهم فلا يندى لهم جبين.
وتتنزل بهم الشدة، فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب.
ويغير عليهم العدو، فيتواكلون تواكل الإخوة دب فيهم الحسد.
وتجمعهم الخطوب، فيفرقهم الطمع والهوى.
ويلجأون إلى هيئة الأمم المتحدة، فيخذلهم العدو والصديق.
كأن الإسلام الذي كان عامل قوة وائتلاف قد انقلب في عصرنا هذا-
إلى علة واختلاف.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الإسلام ومولد الإنسان الجديد..

لقد كان نزول خاتم الكتب السماوية من الله تعالى إيذاناً بمولد الإنسان الجديد، الإنسان الذى يستمد قيمه وسلوكه من السماء لا من الأرض.

ويستمد شريعته التى تنظم سلوكه من الوحي لا من الهوى.

قال الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(١).

واستقرت قواعد هذا المنهج. المنهج الإلهي، وتبينت خطوطه ومعامله فلا غموض ولا إبهام، ولا طلاس ولا ألغاز، وإنما هو وحي يوحى، وذكر لمن يريد أن يتذكر، وهداية لمن يريد أن يتبصر.

قال تعالى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٢).

فالذى يضل يضل عن علم.

والذى ينحرف ينحرف عن عمد.

والذى يلتوى فى سلوكه يلتوى عن قصد.

وقواعد هذا المنهج الذى تنظم سلوك الإنسان خليفة الله فى الأرض تضرب صفحاً على ما تعارف عليه البشر من قيم.

قيم الجاه والمنصب.

قيم الأصل والنسب.

قيم القوة والمال.

إنها قيم أرضية فهى عرضة للتبدل والزوال.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤٢.

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.

قيم غير ثابتة فهي عرضة للتغيير والفناء وذلك لقول الله تعالى:
﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (١).

ليقيم مكان ذلك كله قيماً ثابتة لا تزول باقية لا تتحرف، قوية فلا
تضعف، مؤمنة فلا تضل.

إنها قيم الارتباط بالله.

قيم الإيمان والتقوى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (٢).

ولقد كانت مهمة الرسول - ﷺ - أن يجعل مجتمعه وأمته تتفر من القيم
الزائفة، إلى قيم أخرى تنزل لهم من السماء لتصبح في النهاية بديهية من
بديهيات الضمير المسلم، وشريعة من شرائع المجتمع. تتضبط عليها سلوكه.
وترقق بها مشاعره، فتوجد الأمن والطمأنينة في المجتمع. فلا انحراف ولا
تدليس.

إن كل هذه الأشياء التي تتكالب عليها البشرية إن هي إلا زينة.

قال الله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣).

ولكن ما يدعو إليه الشرع الجديد- هو الخير الباقي الذي لا يزول.

قال الله تعالى:

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (٤).

إنها قيمة وشتان في عرف النفوس المؤمنة بين ما يكون زينة وبين ما
يكون قيمة. من ذلك.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٤.

(٤) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

(٣) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

إن الرسول - ﷺ - يعبس في وجه الرجل الأعمى الفقير ابن أم مكتوم في لحظة ضعف إنساني رغبة في إيمان أصحاب الجاه والسلطة أصحاب المال والقوة. أصحاب الزينة.

فيعاتبه ربه بقوله:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَا مِنْ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦)﴾ (١).

ولم تكن القضية قضية الرسول - ﷺ - وحده، ولا قضية ابن أم مكتوم بمفرده، ولكنها أشمل من ذلك وأعمق، إنها قضية المجتمع الجديد كله. قضية البشرية بأسرها.

قضية القواعد الثابتة، والقيم الباقية التي تبنى عليها دعائم المجتمع الإسلامي الجديد وسلوكياته حتى قيام الساعة.

ومن هنا كان الرسول - ﷺ - كلما التقى بابن أم مكتوم يرعاه ويقربه ويقول له:

«أهلا بمن عاتبني فيه ربي».

ثم ماذا؟.. يستخلفه مرتين على المدينة كلما خرج لقتال أعداء الله وأعداء دينه. ولكي تتحطم هذه القيم الزائفة التي كانت تنظم سلوك الأفراد في المجتمعات الأولى. يزوج الرسول - ﷺ - ابنة خالته زينب بنت جحش الأسدية لمولاه زيد بن حارثة.

ابنة الحسب والنسب، والأسرة العريقة في المجد يتزوجها هذا الخادم حدث هذا لأنهم جميعاً أبناء الإسلام- وهم سواسية كأسنان المشط. ويتفاضلون بشيء هو التقوى.

يجلس عمر بن الخطاب - رض الله عنه - يقسم أموال بيت المال على المسلمين

(١) سورة عبس الآيات ١-٦.

وجاء دور عبد الله بن عمر فأعطاه عمر نصيبه.
ثم جاء دور أسامة بن زيد فأعطاه عمر ضعف ما أعطى ولده عبد الله.
إن عمر يعطى الناس وفق فضلهم وبلائهم في الإسلام.
يعطى الناس بمقدار تقواهم وإخلاصهم لله.
وخشى عبد الله بن عمر أن يكون مكانه في الإسلام آخرًا وهو الذي
يرجو بطاعته وبجهاده وزهده وورعه أن يكون عند الله من السابقين.
هناك سأل أباه: لقد فضلت على أسامة. وقد شهدت مع رسول الله -
ﷺ - ما لم يشهد فأجابه عمر: يا بني أسامة كان أحب إلى رسول الله -
ﷺ - منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك..
ولن يكون حب الرسول - ﷺ - للهوى أو الغرض.
لن يكون حب الرسول - ﷺ - للنسب والمصاهرة.
لن يكون حب الرسول - ﷺ - للجاه أو المنصب.
وإنما الحب بمقدار الإيمان والتقوى- يكون الحب بمقدار إخلاص العبد
وقربه من ربه. لهذا يقول الرسول - ﷺ :
«أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً
الذين يألفون ويؤلفون»^(١).
عجباً لهذا الدين الجديد، لقد قام بثورة في داخل النفس البشرية غير
من طبيعتها، وبدل الكثير من صفاتها، وأخرجها من جل عاداتها وسلوكياتها.
حاكم للمسلمين لا رقيب عليه إلا ضميره، ولا حاكم فوقه إلا ربه، نراه
يفضل أبعد الناس إليه في النسب والمصاهرة- على ابنه وقلدة كبده، وأقرب
الناس إليه..

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤: ١٩٣ - ١٩٤ بسنده عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ويتساءل المرء من الذى غير هذه الطبيعة؟..

من الذى طور هذا الجهاز آدمى. فلا يحب إلا بقانون التقوى، ولا يكره إلا بقانونها.

إنه الدين الجديد، إنه إسلام الوجه لله، إنه الميلاد الخالد لاتصال السماء بالأرض.

يذهب أبو سفيان زعيم قريش وعقلها المدبر- فى ذلك الوقت- إلى مدينة الرسول- ﷺ - ويدخل على ابنته أم حبيبة زوج الرسول- ﷺ - وهم أن يجلس على فراش الرسول- ﷺ - ولكن ابنته طوت الفراش عنه. فقال أبو سفيان: يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟..

قالت الفتاة- التى يملأ الإيمان كل ذرة من ذراتها وكل خلجة من خلجاتها- هو فراش رسول الله وهو طاهر وأنت نجس- فمحال أن تجلس عليه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١).

كيف حدث هذا؟.. إن الحكمة العربية تقول: «كل فتاة بأبيها معجبة» فما بال هذه الفتاة؛ ما الذى غير طبيعتها؟ ما الذى وجه سلوكها؟

إنه الإيمان الذى ملأ قلبها، والتزمت به كل جوارحها، عندها لفظت كل الزيف، واحتقرت كل الشرك حتى ولو كان ذلك هو صفة أبيها وأقرب الناس إليها. لأن القرابة لم تعد أصرة أسرة، أو صلة نسب، أو وشيجة دم، ولكن الأسرة الجديدة فى عرف الإسلام هى الأخوة والحب.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢).

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣).

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٨.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

هي صلة الحب في الله: والبغض في الله- أيضاً-.

وقف الأنصار يوم الخندق يقولون سلمان سلمان الفارسي منا.

ووقف المهاجرون يقولون بل سلمان منا هاجر كما هاجرنا، وقاسى كما قاسينا.

ويقف الرسول - ﷺ - فَيَصْلًا بين هذا التجاذب الأخوى؛ والترابط الأسرى؛ ليقول سلمان منا آل البيت؛ من الذى رشحه لتلك المهمة؟

من الذى جعله يتناول إلى تلك القمم الشوامخ؟

ما هي المواهب التى شفعت له ليكون من آل البيت؟

لا شيء سوى الإيمان والتقوى ولقد تولى هذا الرجل الذى أضافه الرسول - ﷺ - إلى بيته وأسرته لأنه لم تكن له أسرة ولا بيت- إمارة إحدى المدائن فكان وهو يصرف شئون الرعية يأكل من عمل يده. يأكل من صنعة الخوص ولباسه عباءة، تنافس الثوب القديم فى تواضعها، وذات يوم وهو سائر فى الطريق لقيه رجل قادم من الشام ومعه تين وتمر لا يقدر على حمله. فلم يكذبصر أمامه رجلاً من عامة الناس وفقرائهم حتى بدا له أن يضع الحمل على كاهله. فإذا أبلغه وجهته أعطاه شيئاً نظير حمله. أشار للرجل فأقبل عليه وقال له الشامى: احمل عنى هذا فحمله ومضيا معاً.

وإذ هما فى الطريق بلغ جماعة من الناس فألقى عليهم بتحية الإسلام.

فأجابوه واقفين ومردددين وعلى الأمير السلام.

وبهت صاحب الحمل وعلى الأمير السلام. أى أمير يعنون؟

هكذا سأل الشامى نفسه.

ولقد زادت دهشته حينما رأى بعض هؤلاء الرجال يسرع صوب سلمان ليحمل عنه قائلين: عنك أيها الأمير.

فعلم الشامى إنه أمير البلدة فسقط فى يده وهريت كلمات الاعتذار

والأسف واقترب ينتزع الحمل منه، ولكن سلمان هز رأسه رافضاً وهو يقول:
لا حتى أبلغك منزلك.

أنجد فرقاً بين عمل سلمان هذا وبين عمل رجل كعمر بن الخطاب وهو
يحمل الدقيق والسويق إلى امرأة نفساء.

أنجد فرقاً بين هذا العمل الذي قام به سلمان الفارسي وبين ما قام به
أبو بكر الصديق عندما أصر بعد توليته الخلافة على أن يحلب الشياه
والنوق لقوم كان يحلب لهم قبل توليته أعباء المنصب.

إنهم أصحاب مدرسة واحدة.

إنهم رجال الدعوة الجديدة.

إنهم أتباع محمد الذي صنعهم على عينه.

إنهم أصحاب المنهج الجديد. منهج اتصال السماء بالأرض.

يدخل سعد بن أبي وقاص على صاحبنا سلمان الفارسي هذا وهو في
النزع الأخير فيقول له: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد نأخذه عنك. فقال
يا سعد:

أذكر الله عند همك إذا هممت.

وعند حكمك إذا حكمت.

وعند يدك إذا قسمت.

لقد كان الرسول - ﷺ - أعرف الناس برجاله. وأعرف الناس بأصحابه
ومن هنا كانت كلمته المشهورة: سلمان منا آل البيت.

ومن هؤلاء الرجال بلال.

فمن بلال هذا؟..

وفى أى بلاد الله نشأ وإلى أيها رجل؟..

إنه حبشي من أمة السود جعلته مقاديره عبداً لأناس من بنى جُمَح بمكة حيث كانت أمه إحدى إمائهم وجواريهم.

إن سواد بشرته وتواضع حسبه ونسبه وهوانه على الناس كعبد رقيق لم يحرمه حين أثر الإسلام ديناً من أن يتبوأ المكان الرفيع الذي يؤمله له صدقه ويقينه وطهره وتفانيه.

إن سواد بشرته وتواضع حسبه ونسبه لم يحل بينه وبين أن يمتشق حسامه ويطارد رأس الكفر أمية بن خلف سيده في الجاهلية وعدو الله في الأرض.

ويقول بصوته المدوي لأصحابه: هذا هو أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجا ومازال يضربه بسيفه حتى تحول إلى جثة هامدة وألقى عليه نظرة طويلة ثم هرولاً مسرعاً وصوته الندي يصيح: أحد: أحد.

ذهب يوماً يخطب لأخيه زوجة فقال لأبيها:

«أنا بلال وهذا أخى عبدان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله وكنا عبيدين فأعتقنا الله غير أن أخى امرؤ سوء.

إن تزوجوه فالحمد لله وإن تمنعوه فالله أكبر..

هكذا لا يدلّس عليهم ولا يخفى من أمر أخيه شيئاً ولا يذكر أنه وسيط ولا ينسى إنه مسئول أمام الله فيما يقول:

«وقد زوجه القوم مطمئنين إلى هذا الصدق وحسبهم أن يكون بلال وسيطاً بين ابنتهم ومن خطبها إليه.

ومنهم عمار بن ياسر.

الذى يقول عنه حذيفة بن اليمان الخبير بلغة السرائر وهو يعالج سكرات الموت عندما سأله أصحابه الحافون من حوله: بما تأمرنا إذا اختلف الناس؟..

فأجابهم حذيفة:

عليكم بابن سمية: فإنه لن يفارق الحق حتى يموت..

عمار هذا يقول فيه الرسول ﷺ: إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه.

وحين وقع سوء تفاهم عابر بين خالد بن الوليد وبين عمار قال الرسول - ﷺ: «من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله».

عمار بن ياسر الذى يقول عنه رسول الله: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية» وتكرر التنبأ مرة أخرى حين يسقط جدار كان يعمل تحته فيظن بعض إخوانه أنه قد مات فيذهب ينعاه إلى الرسول ويفزع الأصحاب من وقع النبأ لكن الرسول - ﷺ - يقول فى طمأنينة وثقة:

«ما مات عمار تقتل عمار الفئة الباغية».

عمار الذى نزل فيه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (١).

لقد شهد مع الرسول - ﷺ - بدرأً وأحداً والخندق وتبوك وبقيتها جميعاً.

ومن هنا كان الرسول - ﷺ - يزكى إيمانه ويرفعه بين أصحابه ويقول: «اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وحين كان أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» يختار ولاية المسلمين فى دقة وتحفظ كانت عيناه تقعان دوماً فى ثقة أكيدة على عمار بن ياسر.

وهكذا سارع إليه وولاه الكوفة وجعل ابن مسعود معه على بيت مالها.

وكتب إلى أهلها كتاباً يبشرهم فيه بواليتهم الجديد فقال: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ومن أهل بدر.

ولقد زادته الولاية تواضعاً وورعاً وزهداً.

(١) سورة النحل آية رقم: ١٠٦.

يقول له واحد من العامة وهو أمير الكوفة: يا أجدع الأذن يعيره بأذنه التي قطعت بسيوف المرتدين في حرب اليمامة فلا يزيد الأمير الذي بيده السلطة على أن يقول لشاتمته: «خير أذنى سببت لقد أصيبت في سبيل الله».

يقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -

«رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟»
أنا عمار بن ياسر هلموا إليّ فنظرت إليه فإذا أذنه مقطوعة تتأرجح وهو يقاتل أشد القتال.

يقاتل أشد القتال. لأنه كان يقاتل وهو ضامن إحدى الحسينيين.

إما الاستشهاد في سبيل الله ليكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
وإما النصر والفوز وفتح الطريق أمام دين الله وشرعه حتى يصل إلى الناس كافة. ويدخلون في دين الله أفواجاً.

ووثق كل فرد من هؤلاء الذين تربوا على مائدة الإسلام إن كان في مقدوره أن يستتر من الناس، ولكنه لا يستطيع أن يستتر من الله، وإن كان في مقدوره أن يغلق على نفسه باباً لا يراه منه أحد ولكن الله يراه، فإن أقام سياجاً بينه وبين الناس فما هو بمستطيع أن يقيم سياجاً بينه وبين الله قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (١) وقال أيضاً:
﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (٢).

ومن هنا وجد السلوك الإنساني الذي بهر العالم بأسره، ودفعهم هذا السلوك إلى الخروج من الجزيرة العربية وانداحوا في أربعة أركان الأرض هداة ودعاة.

(١) سورة طه آية رقم: ٧.

سورة المجادلة آية رقم: ٧.

هداة إلى الحق، ودعاة إلى الله الواحد الأحد.

وما هي إلا فترة قصيرة من عمر الزمن، حتى مدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان. ونحن في هذا الكتاب نقدم المنهج والدليل اللذين صنعا هذا السلوك الفريد عند المسلم الأول. فهل نستطيع في أوائل القرن الحادى والعشرين، وبين أيدينا المنهج والدليل، المنهج الذى وضع قواعده خالق الإنسان وموجده، والدليل الذى أرشدنا إليه رسول البشرية ومنفذه. أن نعود بالمسلم المعاصر إلى سلوكيات الجيل الأول؟..

وهل فى مقدورنا أن ننقذ البشرية من التردى والإسفاف الذى تأنف منه سلوكيات الإنسان المؤمن الذى يرى أن الناس كلهم خلق لله تعالى فهم إخوة فى الخليقة؟..

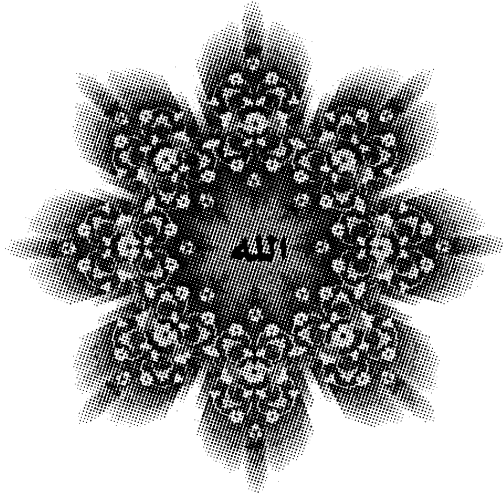
وما داموا كذلك فلن يفرقهم الجنس أو اللون ولن يتفاضلوا بالعصبية أو القبيلة.

نعم سلوكيات الإنسان المؤمن الذى يعتقد أن الناس كلهم خلُقوا من نفس واحدة فهم إخوة فى الإنسانية. والناس كلهم ينبغى أن يعبدوا الله ويلتقوا فى حماه فهم إخوة فى العقيدة. قال تعالى: ﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَوَّجَّهَ اللَّهُ﴾ (١).

إن هذا الخطاب هو خطوة على الطريق. طريق التقوى والإيمان. وعودة جادة إلى الأمة الوسطية- التى هى خير أمة أخرجت للناس أن تقوم بدورها الذى أناطه الله بها.

دورها فى إقامة المجتمع المسلم- والدولة المسلمة، والأمة المسلمة تحت مظلة القرآن وهديه.

(١) سورة البقرة آية رقم: ١١٥.



المقدمات بن عمرو بن ثعلبة

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾.

(الأنعام: ٥٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال سعد نزلت هذه الآية فينا ستة : في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار
وبلال والمقداد .

والحديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ٤٥ ، ٤٦ ، ٢٤١٣ .

وابن ماجه في الزهد ٤١٢٨ .

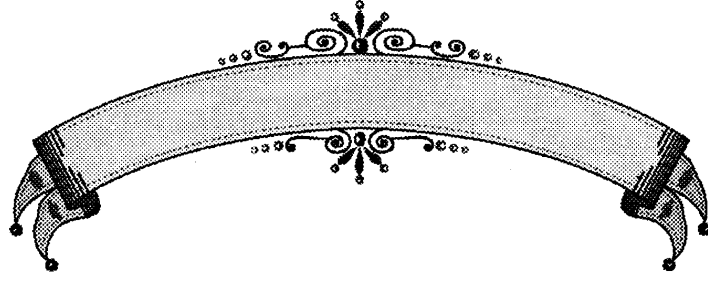
وأخرجه ابن جرير ١٢٨ : ٧ .

والسيوطي في الدر المنثور ١٣ : ٣ .

والبيهقي في دلائل النبوة .

وذكره صاحب كتاب أسباب نزول القرآن ص ٢١٩ .

فمن هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة رضي الله عنه ؟..



قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه

أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس.

وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يذكر المشركين فقال:

يا رسول الله:

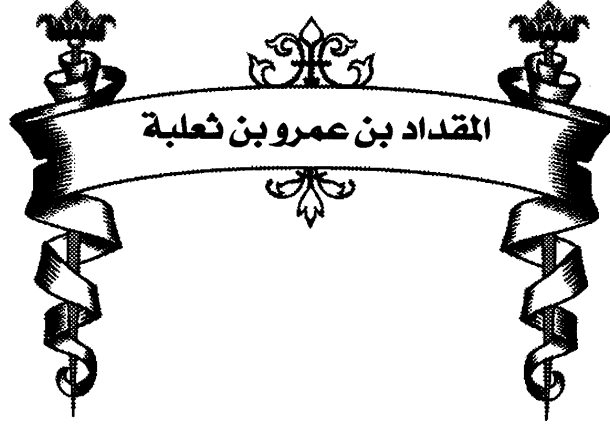
إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى:

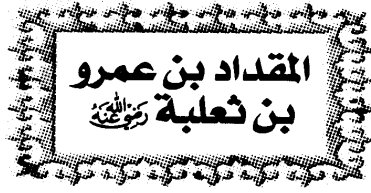
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

ولكننا نقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك.

قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه..

الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٤٨٢





فارس عملاق من فرسان مدرسة النبوة.
ومقاتل كان دائماً يخترق صفوف الأعداء فيفرون هاريين.
وكان أسود الوجه أبيض القلب صافى السريرة.
وكان عالى الصوت يرج الأرض تحت أقدام الأعداء رجا.
جاء إلى مكة- وهو يخطو الخطوات الأولى فى سلم الفتوة والشباب.
فتعلم فنون الحرب والقتال.
وله دراية وخبرة عالية (باستراتيجية) المعارك.
وأصبح محارباً لا يعرف طعم الهزيمة.
وفارساً يفر من هيبته الأبطال.
وعندما أعلن الرسول ﷺ الدعوة إلى التوحيد.
بادر المقداد فأعلن إسلامه.
ومن هذا التاريخ أصبح المقداد إنساناً جديداً.
إنساناً جديداً فى معاملة الآخرين.
إنساناً جديداً يعبد الله كأنه يراه.
إنساناً جديداً فى تفكيره وسرعة بديهته.
إنساناً جديداً فى حله وترحاله والتزامه بأوامر الإسلام.

نشأته وحياته..

اعتاد المقداد أن يفتدو إلى عمله مبكراً...

التزاماً بقوله ﷺ:

«البركة في البكور».

فإذا جاء المساء فهو مع الرسول ﷺ.

يتفقه في دينه، ويتعرف على شريعة ربه.

فإذا جن الليل فهو مع ربه راکماً ساجداً حتى يلحق بزمرة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾^(١).

ويصمت التاريخ فلا يتحدث عن المقداد في بداية الدعوة في مكة.

ولا يضعه في قائمة المستضعفين من المؤمنين.

الذين كانت قريش تخترع الأساليب في تعذيبهم والتكيل بهم..؟؟

ونتساءل: كيف نجا المقداد من تعذيب أعداء الدعوة..؟

أكان يخفي إسلامه..؟

ومن هنا نجا جسده من سياط مردة الشياطين..؟

أم أنه كان قوياً يصرع الرجال ويجندل الفرسان..؟

ولذلك هابته قريش ولم تفكر في إيذائه أو الاقتراب منه..؟

إننا نميل إلى الرأي الأول.

وهو أنه كان لا يظهر إسلامه.

والدليل على ذلك: أنه عندما أراد الهجرة خرج مع قافلة للمشركين.

وانضم إلى صفوف المسلمين عندما نشبت المعركة بينهم.

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦.

وذلك فى السرية التى بعث فيها الرسول ﷺ عبدة بن الحارث إلى ثنية المرة.

فلقوا جمعاً من قريش عليهم عكرمة بن أبى جهل ٩٩٠٠
ولم يكن بينهم كبير قتال.

المقداد فى مدينة الرسول ﷺ

.. وصل المقداد إلى المدينة والتقى برسول الله ﷺ.

فآخى بينه وبين جبّار بن صخر.

جبّار أحد السبعين فى بيعة العقبة الثانية.

ويقول عن نفسه: صليت مع النبى ﷺ.

فقممت عن يساره فأخذنى وجعلنى عن يمينه..

يقول المقداد:

لما نزلنا المدينة عشرنا رسول الله ﷺ يعنى فى كل بيت عشرة.

فكنت فى العشرة الذين كان النبى ﷺ فيهم.

ولهذا قال الرسول ﷺ:

«إن الله عز وجل أمرنى بحب أربعة من أصحابى..

وأخبرنى أنه يحبهم:

فقليل يا رسول الله، من هم ٩٠٠.

قال: على بن أبى طالب ؓ.

والمقداد بن عمرو ؓ.

وسلمان الفارسى ؓ.

وأبو ذر الغفارى ؓ.

زواج المقداد بن عمرو..

كان المقداد رجلاً طويلاً، أسمر اللون- أبيض القلب.
كثير شعر الرأس واسع العينين.
مقرون الحاجبين، طيب القلب، صافى السريرة.
تقدم لخطبة إحدى النساء من رجل من قريش، فأبى أن يزوجه..
وسمع الرسول ﷺ بهؤلاء القوم الذين رفضوا أن يزوجه.
فقال لهم:
لكنى أزوجه ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب.
وبرّ الرسول ﷺ بما وعد.
وتزوج المقداد من ضباعة.
وضباعة هذه عمتها عاتكة بنت عبد المطلب صاحبة الرؤيا المشهورة
والتي قالت فيها لأخيها العباس بن عبد المطلب قبل غزوة بدر..

رؤيا عاتكة وغزوة بدر..

يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى..؟
وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكنتم ما أحدثك به..
قال: وما رأيت؟
قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح.
ثم صرخ بأعلى صوته «ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث...».
فأرى الناس اجتمعوا حوله..؟
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هو حوله مال به بعيره على ظهر

الكعبة ثم صرخ بمثلها:

«ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث.

ثم مال به بغيره على رأس أبي قبيس. فصرخ بمثلها.

ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل
تفتت.

فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة..

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتموها.

ثم خرج من عندها فلقى الوليد بن عتبة، وكان صديقاً للعباس.

فذكر له الرؤيا فذكرها الوليد لأبيه عتبة.

فشاعت في مكة وتناقلتها الأفواه.

قال العباس: وفي اليوم التالي غدوت لأطوف حول الكعبة.

فإذا أبو جهل مع جماعة من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة.

فلما رآنى أبو جهل قال:

«يا أبا الفضل: متى حدثت فيكم هذه النبوة..

قلت: وما ذاك...

قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة..

قلت: وما رأت..

قال: يا بنى عبد المطلب، أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ

نساؤكم..

ثم تابع حديثه قائلاً:

لقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال:

«انفروا في ثلاث.
فسنتريص بكم هذه الثلاث.
فإن يك حقاً ما تقول فسيكون.
وإن تمض الثلاث، ولم يكن من ذلك شيء.
نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت في العرب...»
ثم ماذا: صدقت رؤيا عاتكة...»
ولم يمض ثلاث حتى كان ضمضم بن عمرو الغفاري يصرخ ببطن الوادي
وهو يقول:
يا معشر قريش:
اللطيمة اللطيمة.
أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه...»
لا أرى أن تدركوها الفوث.. الفوث...»
وخرجت قريش برجالها وعتادها.
خرجت بشبابها ونسائها.
خرجت وهي تعد للشر عدته.
وتريد أن تتال من محمد وأصحابه.
وعلم الرسول ﷺ فنأدى في أصحابه وأنصاره وأخبرهم عن قريش.
فقال أبو بكر فقال وأحسن.
ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن.
ثم قام المقداد بن عمرو فقال:
«يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك.

والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١).
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.
فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه.

هذه الكلمات الصادقة المخلصة الصادرة من قلب مؤمن.
تدل على صاحبها وتكشف عن المعدن الأصيل.
والنفس المؤمنة التي يضمها إهاب الصحابي الجليل المقداد بن عمرو.
فلما سمع الرسول ﷺ كلام المقداد أشرق وجهه، ودعا له إلى خير.
ثم قال لأصحابه سيروا على بركة الله.
وصدقت رؤيا عاتكة.. وتساقط القتلى من كل بيوتات قريش.
كما قالت الرؤيا إن الصخرة تفتت ولم تترك بيتاً إلا أصابته ٩٩٠٠

(١) سورة المائدة آية: ٢٤.

المقداد بن عمرو يأسر النضر بن الحارث

لقد كان المقداد أحد الرماة الشجعان في تلك الغزوة.

وتمكن من أسر فارسها النضر بن الحارث.

الذي كان من أشد قريش في تكذيب النبي ﷺ والأذى لأصحابه..

وقدمه المقداد للرسول ﷺ.

فأمر ﷺ على بن أبي طالب فقتله.

فقال قتيلة بنت الحارث أخت النضر:

أحمد يا خير نسل كريمة

في قومها والفعل فعل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما

من الفتى وهو المفيظ المحقق

لو كنت قابل فدية لفيديته

بأعز ما يفلوبه ما ينفق

والنضر أقرب من أسرت قرابة

وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن هشام إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال:

«لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه».

واستمر المقداد في قرية من الرسول ﷺ.

ويشارك جماعة المسلمين حلوا الحياة ومرها.

ونقول: إن المقداد القائد وجماعة المسلمين الأول الذين التقوا حول نبيهم

وأجابوا داعي الله.

هم الصفوة المختارة التي اختارها الله لدينه.

فكانوا المقدمة في الأمة الوسط.

الأمة الوسط: التي قال الله تعالى فيها:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١).

الأمة الوسط: التي ستكون شاهدة على الناس..

ويكون الرسول شاهداً عليها.

وحاكماً على أعمالها.

الأمة الوسط التي تلقت كتاب الله فعملت به.

الأمة الوسط: التي طهرت الأرض من الشرك والكفر والبهتان.

وأقامت بنود التوحيد عالية خفاقة في ربوع الكون.

وكان هذا إيذاناً بالطوفان الذي اقتلع الكفر والضلال.

المقداد بن عمرو في فتح مصر..

اشترك المقداد بن عمرو مع الوفد الذي أرسله عمرو بن العاص إلى المقوقس كطلبه..

ووعى المقداد أن عبادة رسول حرب من الطراز المتفرد.

لقد أربع المقوقس بسلامة بنيانه وقوة إيمانه.

ثم عرف يضرب في المحز كما يقولون: فهو يقول للمقوقس.

إن كان شكلي قد أربعك فهناك أصحابي كلهم على شاكلتي.

وإن كان قد أصابني الكبر فهناك على الضفة الأخرى فرسان المعارك.

وهؤلاء جميعاً قد فرغوا من الدنيا وفرغت منهم الدنيا وكلهم يتمنى أن

ينال الشهادة.

(١) آل عمران آية رقم ١١٠.

ويتساءل المرء؟

من كان يتصور أن هؤلاء الرجال الذين خرجتهم البادية.
وقست عليهم ظروف الطبيعة وعاشوا حياتهم الجاهلية بعيدين عن خدع
الحرب ومعرفة خبايا النفوس.
تكون لهم المقدرة الفائقة من الحرب النفسية التي شنها عبادة على
عظيم مصر.

فقضى على كل مقاومة عنده وملأ نفسيته بالرعب والفرع.
وإذا ما وصل قائد إلى هذه الحالة من الاضطراب والهول.
فقد خسر المعركة وسلمت بلاده.
وهكذا هزم القائد فهزمت مصر- وسقطت قلاعها أمام القوة الضاربة المسلمة.
واستراح المقداد بعد فتح مصر.
واطمأن قلبه- وهو يشاهد جيوش المسلمين تخرج من مصر المسلمة
لتتشر كلمة التوحيد على هؤلاء الذين يعيشون في أحراش أفريقيا على
البدائية والفطرة.

ثم تنتقل الكتائب الإسلامية عبر البحر المحيط إلى الأندلس.
فينشر الإسلام، وتملأ القلوب بالإيمان.
عندها أغمض المقداد عينيه- إلى الأبد.
وفارقت روحه جسده إلى بارئها في منطقة الجرف بأرض مصر.
ثم حمل إلى المدينة- فصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنه
أجمعين، وأسكنهم فسيح جناته.
ثم ماذا؟
افتقدت مدرسة النبوة فارساً آخر من فرسانها؟
ولا يزال مكانه شاغراً.



أدب الحوار فى منهج الإسلام

كيف نستطيع أن نقيم أدب الحوار. الحوار الذى يجمع ولا يفرق، ويوحد ولا يشتت..؟

أيمكن أن يتم ذلك عن طريق العلم النافع والفهم الصائب..؟
أيمكن أن يتحقق ذلك عن طريق الخلق السمع والأدب الجم..؟
أم أن أدب الحوار لا يتحقق إلا عن طريق ترك الجدل والمراء والبعد عن اللجاج واللدن فى الخصومة.

إن القرآن الكريم يقدم لنا المنهج الأمثل فى إقامة أدب الحوار والمستعرض لآياته البيّنات يرى أنه أصل القواعد، وقعد الأصول تحسباً لهذه الغاية.

وأول هذه القواعد التى أمرنا الله سبحانه وتعالى بها أن نتلقى العلم النافع وأن نحسن اختيار من نتلقى عنه العلم. قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٢).

ولكن من هم أهل الذكر..؟

أهم أصحاب الذاكرة الواعية، والعقلية اللاقطلة التى تذكر ولا تنسى وتدقق ولا تهمل..؟

أم أن أهل الذكر هم الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض..؟
إن بعض المفكرين يحصر أهل الذكر فىمن حباهم الله الفهم الواعى لكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم.

(٢) سورة الفرقان آية رقم : ٤٩.

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ٧.

لأن الذكر هو القرآن. قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

والعلم النافع الذي يدعو إليه أهل الذكر لا يتم إلا عن طريق الضوابط الدقيقة والقواعد السليمة.

ومن هذه الضوابط: أنه يطالبنا بالبعد عن المناقشات العقيمة التي لا تنتج علماً ولا تقدم معرفة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥).

والواقع أنه لا يضل العقول ولا يعوق عن التقدم مثل المجادلات البيزنطية التي تبدد الجهود وتضل العقول، وتثير الخلافات في غير طائل. وقد قال الله تعالى في شأن المجادلين:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٥)

وقال ﷺ

«من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ريبض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له بيت في وسطها» (٦).

(١) سورة الحجر آية رقم: ٩. (٢) سورة الأنعام آية رقم: ٦٨.

(٣) سورة غافر آية رقم: ٥. (٤) سورة الحج آية رقم ٦٨ - ٦٩.

(٥) سورة الأنعام آية رقم: ١٢١.

(٦) السنيث أخرجه الترمذي في كتاب البر وقال حسن صحيح وابن ماجه في المقدمة باب اجتنب البدع والجدل رقم ٥١ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

ومن الضوابط أيضاً الإقبال على العلم المفيد وترك ما لا طائل وراءه وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله:

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١).

ومن صفاتهم التي مدحهم الله بها قوله:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٢).

وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٣).

ووصف الله سبحانه وتعالى الجنة التي أعدت للمؤمنين بقوله:

﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ﴾^(٤).

وما دامت الجنة خالية من اللغو فهي خالية أيضاً من الكذب.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾^(٥).

وقد نهى الله تعالى عن الإلحاح في طلب المحال أو ما يشبه المحال فقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٦).

وهو هنا يعلمنا أدب السؤال في منهج المعرفة، وما دام الله سبحانه وتعالى هو الذى ينزل الشريعة، ويخير بالغيب، فمن الأدب أن يترك المؤمنون لحكمته تعالى تفصيل الشريعة أو إجمالها وأن يتركوا له كذلك كشف هذا الغيب أو ستره، وأن يقفوا هم في هذه الأمور عند الحدود التي أرادها العليم الخبير.

ولذلك قال لهم الرسول - ﷺ -:

«سلوا الله علماً نافعاً وتمودوا به من علم لا ينفع».

(١) سورة الفرقان آية رقم: ٧٢.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٣.

(٣) سورة القصص آية: ٥٥.

(٤) سورة الطور آية رقم: ٢٣.

(٥) سورة النبا آية: ٢٤.

(٦) سورة المائدة آية: ١٠١.

ولعل سائلاً يقول: لقد حصرت العلم في دائرة محصورة ومعرفة محدودة وهم أهل القرآن، وأهل القرآن هم حملة الشريعة.

ومن الضوابط أيضاً لإقامة أدب الحوار الإخلاص لله تعالى والتجرد من الأهواء وحب الذات بحيث تكون غاية الإنسان رضا الخالق لا ثناء الخلق، وسعادة الآخرة لا منفعة الدنيا، وإيثار ما عند الله على ما عند الناس.

ولهذا قال السلف الصالح: شر إله عبد في الأرض الهوى، وذلك لأنه يضل الإنسان عن الحق قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ (١).

ويحضرني في هذا المقام قصة الإيثار العالي والترفع عن اتباع الهوى وحب الذات عند الصحابي الجليل خالد بن الوليد.

ومن ذلك أن الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد حطم آخر قلاع الروم فوق أرض اليرموك وتقام أيام النصر ويدخل أحد الشعراء ويمدح خالداً القائد المنتصر، ويعطيه خالداً مبلغاً كبيراً من المال، ويصل خبر هذا العطاء إلى الحاكم العام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عمر الساهر على أمر الرعية - عمر الذي يملأ الخوف - من ربه - كل جارحة من جوارحه فيرسل عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح قائلاً أما بعد.

فقد بلغني أن ابن الوليد قد تبرع بخمسمائة دينار لرجل واحد وهذا مبلغ يكفي لإشباع خمسمائة جائع، فأعزله عن القيادة وأسأله عن هذا المال أهو من ماله الخاص؟..

فإن كان كذلك فقد أسرف، والإسراف صفة لا يصح أن يتصف بها قادة المسلمين، وبذر أمواله والمبذرون إخوان الشياطين. وإن كان هذا المال من خالص غنيمة المسلمين، فقد خان الأمانة والخيانة أيضاً ليست من صفات

(١) سورة الجاثية آية: ٢٢.

القيادة ويصدع أبو عبيدة بالأمر ويتم عزل خالد، ويقاسمة أبو عبيدة جميع ماله وكما ذكرنا من قبل..

ولكن لا تنتهي العملية عند هذا الحد.

فضباط بنى أمية وشبابها لا يعجبهم هذا الوضع إنهم قادة الجيش المنتصر، إنهم فرسان الحرب ورهبان الليل، لا يعرفون طعم الهزيمة ويتقدم أحدهم إلى خالد بن الوليد ويقول: إنها الفتنة يا خالد.

ويرد عليه القائد المنتصر المعزول، وماذا نفعل يا رفيق السلاح..؟

ماذا نفعل يا أخا العرب وقد رغب ابن الخطاب في ذلك وأمر بتنفيذه..؟

ويرد عليه الضابط قائلاً: سنملؤها خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب في المدينة.

وهنا يقول خالد، خالد الذي تربى في مدرسة النبوة في مدرسة الإيمان.

لا يا أخى: لقد حطمنا المدائن في أرض فارس، ودمرنا القلاع على بطاح

الروم. فهل توجد قوة ضاربة تقف أمام المسلمين وتحتاج إلى سيف خالد؟

ويقول الرجل: لا. لا توجد قوة ضاربة تقف الآن أمام المسلمين.

عندها يقول خالد:

إذن الدولة الإسلامية الآن في حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها إلى

سيف خالد. لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود.

ومن الضوابط لإقامة أدب الحوار: التحرر من التعصب للرأى والتعصب

للمذهب.

فعلينا أن نحترم رأى الآخرين، ونقدر وجهات نظرهم وأن نعطي آراءهم

الاجتهادية حقها من الاعتبار والاهتمام وذلك مبنى على أصل مهم وهو أن

كل ما ليس بقطعى من الأحكام فهو أمر قابل للاجتهاد. يقول الإمام

الشافعى - رحمته الله - . رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل

الصواب. ثم يقول والله ما أبالي أن يظهر الحق على لساني أو على لسان غيري.

ومن الأمثلة على عدم التعصب للرأى والهوى ما حدث فى مسجد الكوفة، من ذلك أن الإمام أبا حنيفة استفتى فى مسألة بعد صلاة العشاء فأفتى فيها ولكن تلميذه أبا يوسف لم يعجبه ما قاله أستاذه فى شأن هذه الفتوى وعند خروجهما من المسجد، وقبل أن يدلّفا من بابه قال التلميذ الفتى لأستاذه لقد جانبك الصواب يا شيخى فيما قلته بشأن هذه الفتوى وأخذ الشيخ يوضح لتلميذه ما غاب عنه.

ويرد التلميذ على أستاذه بما لديه من حجج وأدلة.

ومازالا يتحاوران حتى أذن لصلاة الفجر وهما واقفان أمام باب المسجد عندها قال أبو حنيفة لتلميذه عد بنا لصلاة الفجر، ثم نعود مرة أخرى لإكمال الحوار فى هذه المسألة. حدث ذلك لأن أدب الحوار فى منهج الإسلام يوجب على المسلم أن يكون عدلاً مع من يحب ومن يكره فلا يخرجهم الكره عن الحق ولا تدخله المحبة فى الباطل، ولا تمنعه الخصومة من أنصاف خصمه ما دام الحق معه.

جلس عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقسم الفنائم بين أفراد الجيش المحارب، - وفجأة وجد أمامه - قاتل أخيه زيد بن الخطاب الذى أسلم وحسن إسلامه - بعد قتله زيدا، وأصبح جندياً فى جيش الإسلام فما كان من عمر - رضي الله عنه - إلا أن أشاح بوجهه.

فقال له القاتل المسلم:

أنكرهنى يا عمر؟

فقال نعم كما تكره الأرض الدم.

عندها قال القاتل: أمانى حقى إذا؟

فقال عمر الذي تربي في مدرسة الإيمان: أما هذه فلا لأن الله تعالى يقول:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١).

عندها قال الرجل: الواثق من عدل عمر:

إذن لا أعبأ بحبك ولا بكرهك فهذا شيء تعباً به النساء.

. ومن أدب الحوار أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات والاعتراف بالخطأ والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم والاستفادة مما عندهم من علم وحكمة: اتباعاً لهدى الرسول - ﷺ - :-

«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»^(٢).

ومن الضوابط لإقامة أدب الحوار إحسان الظن بالآخرين والتماس الأعذار لهم إن أخطأوا كما كان يفعل بعض السلف الصالح ويقول: ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين عذراً ثم أقول لعل له أعذاراً أخرى لا أعرفها، وكانوا يقبلون فتاوى المفتين في المسائل الاجتهادية فيصوبون المصيب، ويستغفرون للمخطئ ويحسنون الظن بالجميع .

لقد كان في الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ومن بعدهم من يقرأ البسملة، ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر وكان منهم من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت فيها ومنهم من يتوضأ من الرعاف والقيء والحجامة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يرى في مس المرأة نقضاً للوضوء ومنهم من لا يرى ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل ومنهم من لا يرى في ذلك بأساً.

(١) سورة المائدة آية رقم: ٨.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في العلم ١٩ وابن ماجه في كتاب الزهد ١٥ بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

وهذا كله لم يمنع من أن يصلى بعضهم خلف بعض- كما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي يصلون خلف أئمة من المالكية وغيرهم ولو لم يلتزموا بقراءة البسمة لا سرّاً ولا جهرّاً.

وصلى الرشيد إماماً وقد احتجم فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة مع أن الحجامة عنده تنقض الوضوء.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة فقليل له فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلى خلفه؟.. فقال: كيف لا أصلى خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب.

وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت، والقنوت عنده سنة مؤكدة في صلاة الصبح فقليل له في ذلك فقال: أأخالفه وأنا في حضرته^(١).

هؤلاء الرجال كانوا- والحق يقال- يتعاملون من منطلق إسلامي أصيل لا يخرجهم الغضب عن الحق ولا يدخله الرضا في باطل.

كانوا يفعلون ذلك، لأن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبيعتها.

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٢).

ولكنه جلت قدرته لم يشأ لحكمة يعلمها لهذا:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

مختلفين في حياتهم وتصرفاتهم فمنهم من يميل إلى التيسير، ومنهم من يميل إلى التشديد، ومنهم من يأخذ بظاهر النص ومنهم من يأخذ بفحواه

(١) كتاب أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور/ جابر فياض. (٢) سورة هود آية: ١١٨.

وروحه، ومنهم من يسأل عن الخير، ومنهم من يسأل عن الشر مخافة أن يدركه ومنهم ذو الطبيعة المنبسطة ومنهم ذو الطبيعة الأنطوائية المنكمشة وهذا الاختلاف في صفات البشر واتجاهاتهم النفسية يترتب عليه لا محالة اختلافهم في الحكم على الأشياء والمواقف.

إذن لا مانع من الاختلاف ولكن أدب الحوار يعلمنا كيف تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا.. كيف يخالف المسلم أخاه المسلم في رأيه دون أن تمس أخوته أو يفقد محبته أو احترامه لمخالفه ودون أن يتهمة في عقله أو في علمه أو دينه..؟

لقد كان بين عمر بن الخطاب. وعلى بن أبي طالب - رضي الله عنهما - بعض الاختلافات في وجهات النظر ولكن في نطاق أدب رفيع وخلق عالٍ لم تعرف البشرية مثله.

وفي يوم من الأيام علم عمر أن امرأة مغيبية - غاب عنها زوجها - تدخل عليها، فأنكر ذلك وأرسل إليها أجيبى عمر..؟

فقالت: يا ويلاه مالى ولعمر..؟

فبينما هي في الطريق إليه فزعزت فضرها الطلق فدخلت داراً فألقت ولدها فصاح الصبي صيحتين ثم مات.

فاستشار عمر بعض أصحابه.

فقال بعضهم: ليس عليك شيء يا أمير المؤمنين إنما أنت وال ومؤدب وصمت على - رضي الله عنه - .

فأقبل عليه عمر وقال:

ما تقول يا على في هذه القضية..؟

قال: إن كان هؤلاء الرجال قد قالوا ما قالوه برأيهم فقد أخطأوا وإن كان قد قالوه إرضاء لهواك فلم يخلصوا لك النصيح.

وأرى أن دية الطفل عليك فأنت أهنئتها وألقت ولدها بسببك فنزل عمر على رأى الإمام على ودفع لها دية الطفل.

وأدب الحوار يعلمنا أن الفتوى يمكن أن تتغير بتغير الأحوال والأزمان والأشخاص من ذلك ما حدث فى عقوبة شارب الخمر فأبو بكر يجلد أربعين وعمر يجلد ثمانين حين رأى الناس قد تمادوا فى الشرب فرأى فى زيادة العقوبة ردعاً وزجراً.

وقال عمر بن عبد العزيز- تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور ورفض مبدأ الهدية له ولولاته، ولما قيل له: إن رسول الله - ﷺ - قبل الهدية- وقال: لو أهدى إلى كراع لقبلت.

قال رحمه الله- كانت له - ﷺ - هدية وهى الآن لنا رشوة.

من هنا نرى أن الاجتهاد مشروع، واختلاف الرأى لازم والشرع لم يحرم المجتهد المخطئ من الأجر، وكل يعمل بما ترجح له، وهذا هو معنى التوسعة والرحمة.

كل ما هنالك يجب علينا أن نحترم التخصص فكل علم أهله، ولكل فن رجاله. فكما لا يجوز للمهندس أن يفتى فى أمور الطب ولا للطبيب أن يفتى فى شئون القانون. كذلك لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلاً مباحاً لكل من هب ودب من الناس بدعوى أن الإسلام ليس حكراً على فئة من الناس، وأنه لا يعرف طبقة رجال الدين التى عرفت فى أديان أخرى.

وهذا حق وصدق. إن الإسلام لا يعرف طبقة رجال الدين ولكنه يعرف علماء الدين المتخصصين الذين أشارت إليهم الآية الكريمة:

﴿قُلْ لَّا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأل أهل الذكر فقال تعالى:

(١) سورة التوبة آية رقم: ١٢٢.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾^(٢).

ويحضرني في هذا المقام ما حدث بين عمر بن عبد العزيز وابنه، فقد أراد عمر أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الراشدين وذلك بعد أن يتمكن من حكمه ويعود الناس على هذه الأشياء شيئاً فشيئاً. ولكن ابنه الشاب الغيور أنكر على أبيه عدم إصراره في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم ورد الأمر إلى شرع الله تعالى: فقال له يوماً. مالك يا أبت لا تسرع في تنفيذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدر غلت بي وبك في سبيل إظهار الحق.

فقال الحاكم العالم بطبيعة البشر: لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة، وإنّي أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيتركوه جملة فيكون من ذلك فتنة.

ومن أدب الحوار في منهج الإسلام أن يتم عن طريق الكلمة الطيبة وتتحية الكلمة الخبيثة قال تعالى:

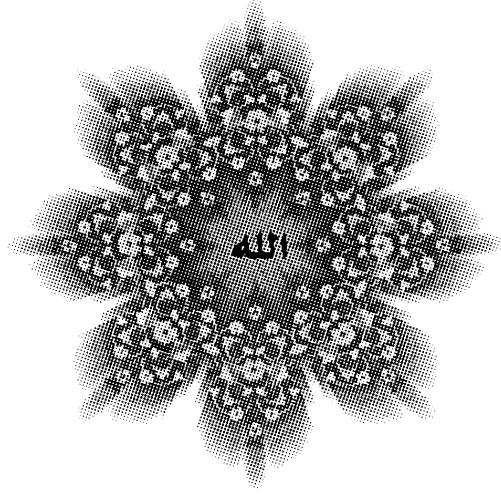
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْنٌ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٣).

الكلمة الطيبة: هي كلمة الحق وهي كالشجرة الطيبة ثابتة الجذور سامقة الفروع لا تززعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الجهل والبغى، وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان، سامقة متعالية تطل على الشر والجهل من عل وإن خيل للبعض أحياناً أن الشر يطاولها في الفضاء، وهي مثمرة يانعة، لا ينقطع ثمرها. لأن عباراتها وقوة إيمانها تثبت في القلوب الخير والفلاح دائماً.

(٢) سورة فاطر آية رقم: ١٤.

(١) سورة النحل آية رقم: ٤٣.

(٣) سورة إبراهيم آية: رقم ٢٤ - ٢٦.



مشام بن عتبة بن أبي وقاص

رضي الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

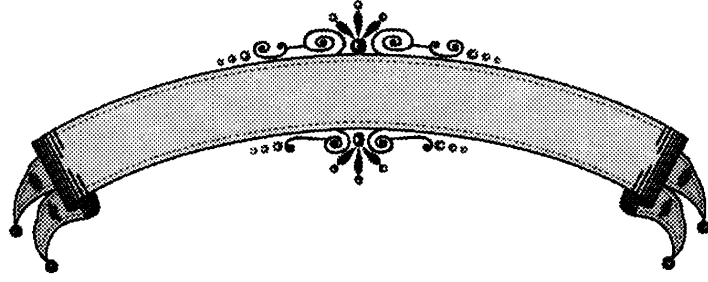
قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ
مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

(التوبة: ١٢٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في كل من استجاب لأمر الله تعالى وحمل سيفه وقاتل في سبيل الله.
ومن هؤلاء هشام بن عتبة وخالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وغيرهم.
فمن هو هشام بن عتبة رضي الله عنه؟



قال أبو الطفيل عامر بن وائلة:

يا هشام الخير جزيت الجنة
قاتلت في الله عدو السنة
أفلح بما فزت به من منة





حياته ونشأته

من الفرسان الذين عرفتهم معارك الجاهلية وفتوحات الإسلام.
وقائد محنك خبير بإدارة المعارك وتحقيق النصر.
ومعانيد صلب ابتعد عن دخول الإسلام فترة طويلة من الزمن أسلم عام
الفتح- الفتح الكبير وأخذ يتسمع مع عشرة آلاف مقاتل قول الله سبحانه
وتعالى- وهو يردده بلال مؤذن الرسول ﷺ بصوته الشجي القوي المعبر:
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (١).
وشاهد الأصنام والأوثان وهي تتهاوى وتتساقط متهشمة منحطة بإشارة
من الرسول ﷺ لتفسح المجال لكلمة التوحيد كلمة «لا إله إلا الله».
ويعلن الرسول ﷺ ميلاداً جديداً لعودة البشرية قاطبة إلى عبادة الواحد
الأحد خالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت..
ويتساءل المرء كيف تأخر إسلام هشام بن عتبة إلى ذلك التاريخ وهو ابن
أخ لعملاق الإسلام سعد بن أبي وقاص؟
نعم سعد: القائد المحنك، والفارس المجرب، بطل القادسية، ومدائن
كسرى وفتح العراق وناشر على أرضه اسم الله.
(١) سورة الفتح آية رقم: ١، ٢.

سعد: أحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للخلافة والشورى وقال: وهو يلفظ آخر أنفاسه، إن أصابته المرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالي^(١). وهو من قبل هذا ومن بعده خال الرسول ﷺ روى جابر عن عبد الله بن مسعود: قال أقبل علينا ابن أبي وقاص فقال النبي ﷺ هذا خالي فليرني امرؤ خاله^(٢).

وفى إحدى الليالي في يثرب أرق الرسول ﷺ فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني».

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - فلم تمض لحظة واحدة إذ سمعنا صوت السلاح فقال الرسول ﷺ من هذا؟..

قال: أنا سعد بن أبي وقاص، أنا أحرسك يا رسول الله، فدعا له رسول الله ﷺ.

إن سعداً بات يحرس رسول الله ﷺ صاحب الرسالة وقد دعى بعد ذلك لحراسة الأمة الإسلامية من أقوى قوة ضاربة عرفتها البشرية في ذلك الوقت قوة الفرس، التي كانت تتخذ من أبناء العرب حراساً وعمالاً وجنوداً وخفراء. وإذا كان هذا وأكثر منه حدث من أقرب المقربين إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.

لماذا تأخر إسلام هاشم؟..

أليس هذا أمر يدعو إلى العجب والتساؤل؟..

وإذا كنا لا نجد إجابة واضحة أو أسباباً جوهرياً لتخلف هشام عن الإسلام طوال هذه الفترة. فلا يسعنا إلا أن نكل الأمر إلى الله تعالى الذي قال لرسوله ﷺ:

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢: ٦٠٩.

(٢) المصدر السابق ٢: ٦٠٩. (٣) سورة الأنعام آية رقم ٧١.

وقوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١).

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى لعبده هشام بن عتبة خيراً فهداه إلى الإسلام حتى يكون قوة ضاربة للكفر وأهله ورسول سلام يدعو إلى دين الله بإذن من الرسول ﷺ.

هشام بن عتبة في معركة اليرموك

عقد خليفة المسلمين أبو بكر الصديق على جمع الجنود لبيعثهم إلى الشام عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

وأخذ يرسل الجنود مع القادة حتى تكامل عدد المسلمين على أرض الشام أربعة وعشرين ألفاً.

فأفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان فلما انتهى إليه الخبر قال لهم هرقل:

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم...»

وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم، فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأى بالحرب.

عند ذلك سار هرقل إلى حمص وأرسل الجيوش بقيادة الأمراء. وكان عددهم يزيد عن المائة والعشرين ألفاً.

فطلب المسلمون من أبي بكر مدداً فأرسل إلى خالد الذي كان على أرض العراق أن يخترق الحدود والسدود وينضم إلى جيوش المسلمين على أرض

(١) الأنعام رقم ٨٨.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٣.

الشام وعندما وصل خالد إلى أرض الشام أمر بتجميع الجيوش تحت قيادة واحدة وقال: «فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم واليوم الآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليوم إليكم، فأمره عليهم وخرجت الروم في تعبئة كاملة يقال إنهم بلغوا مائتين وأربعين ألفاً وتكامل عدد المسلمين قرابة الأربعين ألفاً.

وبينما السيوف تعمل عملها، والرقاب تتطاير، والمعارك تشتد وتساقط القتلى بالألوف من الجانبين.

خرج من صفوف الروم «جرجه» أحد الأمراء الكبار واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت عنقا فرسيهما فقال جرجه:

«يا خالد أخبرني فأصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟»

قال: لا.

قال: فيها سميت سيف الله؟

قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه.

فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين. ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

قال جرجه: يا خالد إلى ما تدعون؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى.

قال: فمن لم يجيبكم؟

قال: فالجزية ونمنعهم.

قال: فإن لم يعطها؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله؟

قال فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا - شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرجه: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم وأفضل.

قال: كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا؟

فقال جرجه: بالله لقد صدقتي ولم تخادعني؟

قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام.

ودارت المعركة واشتد وطيسها. وزحف خالد بالمسلمين فضرب فيهم ومعه جرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب وصلى المسلمون صلاة الظهر والعصر إيماء، وأصيب جرجه رحمه الله، ولم يصل إلا الركعتين مع خالد رضي الله عنه.

وانهزم الروم وقتل منهم قرابة المائة والعشرين ألفاً، وفر الباقون وتركوا أرضهم وديارهم وانبعث في الأفق صوت قوى جياش يردد قول الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (١).

إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢).

وقدمت جيوش الروم منهزمة إلى انطاكية- مجلس الحكم لهرقل فقال لهم ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم اليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون دائماً أمامهم؟

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم. ومن أجل أنا نشرب الخمر، وهم لا يشربون، ونحن نزن، وهم لا يقتطفون الفاحشة، ونأتى الحرام. وهم يحللون، وننقض العهد وهم يوفون، ونغصب ونظلم: وهم لا يظلمون لأن الظلم عندهم ظلمات يوم القيامة. ونأمر بما يفضب الله وننهي عما يرضيه ونفسد في الأرض فلا بد أن نقتلع منها ليستولوا عليها تنفيذاً لقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٣).

قال هرقل: أيها الشيخ لقد صدقتي ودللتني على أسباب الهزيمة وإذا

(٢) سورة الأحزاب الآيات من ٢٥ - ٢٧.

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥.

كان ذلك كذلك فأين هشام ابن عتبة..؟

لقد ابلى في المعركة بلاءً، وكان يتبع خطوات القائد خالد بن الوليد، ليحمي ظهره من الأعداء، ولكنهم فتحوا ثغرة في ميمنة الجيش واخترقوا صفوف المسلمين وليس لهم هدف إلا رأس خالد بن الوليد الذي كان في شغل شاغل في جند له مع أحد قادة جيش الروم. ولكن هشام استطاع أن يصددهم ويردهم على أعقابهم خاسئين بعد أن أصابه أحدهم بسهم في عينه اليسرى فذهب بها. وجلس في خيمة خالد يطببه بيده حتى جاء أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بتوجه هاشم بن عتبة إلى أرض العراق. وحاول خالد أن يرجئه حتى يبرأ تماماً، ولكنه قال لقائده.. لا بد من تنفيذ أمر خليفة المسلمين. فهو ولا شك فيه مصلحة عامة للإسلام والمسلمين.

هشام بن عتبة في معركة القادسية

لقد كانت هذه المعركة من أشد المعارك التي خاضها المسلمون على أرض فارس والسبب في ذلك أن الفرس دخلت المعركة بسلاح جديد لا خبرة لهم به- وهو سلاح الفيلة هذا الحيوان المتوحش والقوى الصلب والذي يحمل فوق ظهره أكثر من خمسة وعشرين جندياً، ويستعمل خرطومهم كمدفع سريع الطلقات يلتقط به فرسان المسلمين من فوق ظهور خيولهم ليكونوا لأقدامه وسادة يثب عليها ليتناول فارساً آخر.

وما كاد سعد يشاهد شراسة الفيلة وهي تعمل عملها في صفوف المسلمين حتى نادى في أبناء عمومته ماذا نفعل يا أتباع محمد..؟

وسمع سعد صوت ابن أخيه هشام بن عتبة وكأن الأمر كان معداً- فلم تمض لحظات حتى خرجت الإبل في كتيبة مجللة مبرقعة وعليها فرسان ملثمون يحملون لهباً ومشاعل يحيط بها رجال أقوياء يقودهم هاشم بن عتبة.

وشاهدت القيلة هذا الهول المرعب ففرت هاربة تحطم صفوف الفرس،
وتوجد الخلل بين تشكيلاتهم، وتبعهم فرسان المسلمين.

وفي الجانب الآخر صوت يقود المعركة ويوجه سيرها ويشعل الحمية في
قلوب رجالها إنه صوت سعد الذي كان يملأ سماء المعركة دويًا قويًا.
تقدم يا قعقاع.

حطم تلك الكراديس يا مغيرة.

يا أصحاب محمد. يا أهل بدر يا رجال موقعة اليمامة تقدموا فالله
معكم وناصركم. عندها ارتفع صوت علا على صوت سعد، صوت يهز الكون
بالتكبير والتهليل والشكر لله تعالى- إن هذا الصوت يعرفه سعد جيداً إنه
صوت هلال بن علقمة.

وانداح هذا الصوت في أرجاء المعركة ليبشر أتباع محمد ﷺ بقتل
«رستم» قائد الفرس.

واعتلى هلال بن علقمة فوق سريره. وهو يقول:

«قتلت رستم ورب الكعبة».

فتحلقوا حوله وكبروا خاشعين لله وانتهت المعركة بالنصر المؤزر والفتح
المبين.

هشام بن عتبة قائداً لمعركة جلولاء

بعد هزيمة الفرس في المدائن سار كسرى هارباً إلى حلوان وشرع في أثناء سيره في جمع الرجال والأعوان والجنود من البلدان فاجتمع له جيش كبير، وأمّر على الجميع مهران، وسار كسرى إلى حلوان- وأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في «جلولاء» واحتفر خندقاً عظيماً حولها. وأقاموا بها في العدد والعدة وآلات الحصار.

عندها كتب سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخبره بذلك. ٩٩.

فكتب إليه عمر أن يقيم بالمدائن، ويبعث ابن أخيه هشام بن عتبة أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو وعلى الميمنة سعد بن مالك، وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك، وعلى الساقة (المؤخرة) عمرو بن مرة الجهني.

ففعل سعد الذي أمر به أمير المؤمنين وسير جيشاً تعداده اثنا عشر ألفاً يقودهم هشام بن عتبة.. وفيه من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى انتهوا إلى جلولاء وقد خندق الفرس عليها- وملؤوا الأرض حولها بحسك الحديد إلا طريقاً يخرجون منه.

فحاصروهم هشام بن عتبة وكان الفرس يخرجون من خندقهم ويقاتلون المسلمين قتالاً لم يسمع بمثله. حتى كان يوم حمى فيه القتال، واشتد النزال واضطربت نار الحرب. وقام هشام في الناس خطيباً فحرضهم على القتال والتوكل على الله وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت وحلفوا بالنار ألا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب واستمر القتال حتى فنى الشباب بين الطرفين، وتقصفت الرماح من الجانبين فعمدوا إلى استعمال السيوف «والطبرزينات»- وذهبت

فرقة من الفرس وجاءت مكانها أخرى.

فقام القعقاع في المسلمين فقال: أهالكم ما رأيتم أيها المسلمون..؟

قالوا: نعم. إنا كالون متعبون، وهم مريحون..؟

فقال: بل إنا حاملون عليهم ومجدون في طلبهم، حتى يحكم الله بيننا فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم، فحمل وحمل الناس وانفرد القعقاع بمجموعة من الفرسان والأبطال الشجعان حتى انتهى إلى باب الخندق، عندها نادى المنادى اتبعوا القعقاع إلى باب الخندق، فزحف المسلمون كال موج المتلاطم وأعملوا فيهم السيوف، ففروا هاربين فتلقاهم حسك الحديد فكان من قتل بهذا الحسك الذي وضعوه بأيديهم أكثر ممن قتل بسيوف المسلمين. وأخذهم المسلمون من كل وجه ذهبوا فراراً إليه حتى قدر عدد القتلى بمائة ألف من الفرس.

وغنم المسلمون أرضهم وحليهم وكنوزهم ودوابهم- وكانت شيئاً كثيراً يستعصى على الحصر والعد.

ثم بعث هشام بالفنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص، فنفل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسمة ذلك على الغانمين.

ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- فأمر بوضعها في المسجد. وأمر عبد الله بن أرقم، وعبد الرحمن بن عوف بحراستها حتى الصباح.

ثم جاء عمر وأمر بكشفها، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده، وذهب الأصفر وفضته البيضاء بكى عمر.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين..؟

فقال عمر: والله ما ذاك يبكي. وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا. وعندها يصبح بأسهم بينهم شديداً. ثم قسمه بينهم..

فهل تحقق ما تتبأ به أمير المؤمنين؟
وهل سيوف المسلمين التي كانت تصوب إلى رقاب الأعداء استمرت على ذلك أم أنها شرعت إلى الداخل.
ونتساءل هل اختلف المسلمون على الذهب والفضة؟
وهل قامت بينهم المعارك والحروب من أجل عروض ومغانم الدنيا.
أم أن المعارك التي شنت والحروب التي اشتعلت كان وراءها أشياء أخرى. شتت وحدتهم وفرقت جمعهم؟
إن الخبر اليقين سيقدمه لنا هشام بن عتبة عند اشتراكه في معركة الجمل ومعركة صفين؟

معركة الجمل وصفين

أفرزت معركة الجمل وصفين جرحاً في القلوب، وندماً في بعض الصدور وتوبة لكثير من المسلمين- وكان من أهم نتائج هاتين الموقعتين: ظهور من سمووا بالخوارج لخروجهم على الإمام الحق.
عندها قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- للإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة- أي أخرج الصلاة وأدخل بها في وقت الإبراد فلا تفتي حتى آتي القوم.
قال ابن عبد البر: فدخل عليهم وهم قائلون- مستريحون وقت الظهيرة- فإذا هم متجهمة وجوههم من السهر؟
وقد أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ركب الإبل من كثرة السجود وعليهم قمص مفسولة.
فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟
قال ابن عباس قلت: ما تعيبون مني فلقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما

يكون من ثياب اليمينية.

قال ثم قرأت هذه الآية:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١).

فقالوا: ما جاء بك..؟

فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد؟

وجئتكم من عند ابن عم الرسول ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله. جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم.

قال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً - لا تجادلوهم - فإن الله تعالى يقول:

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٢)

فقال بعضهم: بلى. فلنكلمنه.. فلنكلمنه.

قلت: فكلمنى منهم رجلان أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقتم عليه..؟

قالوا: ثلاثاً. قلت: ما هن..؟

قالوا: حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (٣).

قالوا: قاتل ولم يَسْبُ ولم يغنم.

إن كانوا كافرين، فقد حل قتالهم وسبيهم. وإن كانوا مسلمين فلا يحل قتالهم

قلت: وماذا أيضاً..؟ قالوا: ومحا اسمه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين..؟

(١) سورة الأعراف آية رقم ٣٢.

(٢) سورة الزخرف آية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٥٧.

قلت: أرايتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون.

قالوا: وما لنا لا نرجع...؟

قلت: أما حكم الرجال في أمر الله فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (١).

وقال في المرأة وزوجها ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٢).

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال فنشدتكم الله أن تعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين أفضل وإصلاح ذات البين بينهم أفضل، أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة...؟

قالوا: بلى هذا أفضل قلت: أخرجت من هذه...؟

قالوا: نعم.

قلت: فأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أفترسبون أمكم عائشة...؟ فإن قتلتم نسبها فترسبون منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قتلتم ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضاللتين؟ أخرجت من هذه...؟

قالوا: بلى.

قلت: وأما قولكم محا نفسه عن إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون به، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو قال

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٥.

(٢) سورة النساء آية رقم ٣٥.

رسول الله ﷺ - أكتب يا علي هذا ما صالح عليه رسول الله. فقال
أبو سفيان وسهيل بن عمرو:

لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

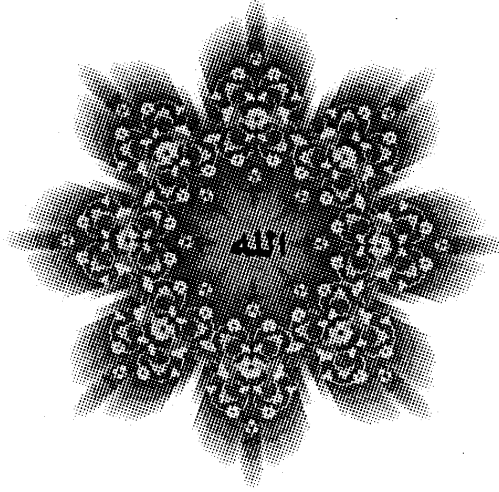
قال رسول الله ﷺ إنك تعلم يا إلهي أنني رسولك امح يا علي واكتب:

هذا ما أخطأ عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو

قال:

فرجع منهم ألفان.. وبقي بقيتهم. لأنهم لم يستعملوا عقولهم، ولا لجأوا

إلى كتاب ربهم.





الإسلام بين الأمس واليوم

المستعرض لحياة القائد العملاق هشام بن عتبة، يرى أنه حضر المعركة الفاصلة التي قضت على آخر معاقل الروم فوق أرض الشام وهزمت دولتهم هزيمة منكرة لم تقم لها قائمة أمام دولة الإسلام بعد ذلك.

وكذلك حضر القائد العملاق المعركة الفاصلة على أرض فارس والتي قضت على نفوذهم وشتتت قواتهم وقضت على أمرائهم وحكامهم ثم انداحت جيوش المسلمين فى أربعة أركان الأرض. وطويت المسافات تحت أقدامهم. ولم تمض إلا فترة وجيزة، حتى كان صوت المؤذن، الله أكبر يدوى فى أنحاء المعمورة.

يدوى صوت الله فى الأندلس ويصل إلى مشارف المعمورة.

يدوى صوت الله فى الصين ويصل إلى آخر حدود السند والهند.

ويدوى صوت الله فى القيروان حتى يصل إلى «بانزرت» آخر مشارف تونس.

ويدوى صوت الله على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويشمل قبرص وصقلية وكورسيكا.

ويتحول هذا البحر حتى يصبح بحيرة إسلامية.

ويدوى صوت الله على مشارف روسيا ويتوغل فى داخلها ويستولى على ثلاثة أرباعها.

يستولى على بخارى والقوقاز.

ويستولى على طشقند وسيبيريا.

ويستولى على جبال الأورال.

وعلى بحر قزوين.

ويدوى هذا الصوت، صوت الله في ثلاث قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا وتزال الحدود والسدود وتتلاشى الحدود السياسية والجغرافية. ويسير المسلم بلا جواز أو هوية سوى جواز الإسلام وهوية التوحيد من فارس حتى مراكش ويصل مدهم إلى آسيا الصغرى. وتتطلق من هذه البلاد الجيوش الإسلامية المتتابعة فتفتح البلاد المتاخمة وتحولها إلى قاعدة إسلامية. وتوغل المسلمون في أوروبا حتى بلغوا أسوار فيينا. والسؤال الذى يطرح الآن: لماذا لا ينتصر الإسلام اليوم كما كان ينتصر بالأمس ولماذا لا يقوم أتباعه بدور الريادة والقيادة فى العالم كما فعل أجدادهم وأباؤهم عند ظهوره...؟

أهناك شئ طرأ عليه فغير مفاهيمه فلم تعد تعمل...؟

أو انتقص من أركانه فلم يعد يتقدم...؟

الله يعلم أن شيئاً من ذلك لم يكن، فكتابه الذى بين أيدينا الآن هو كتابه من يوم أن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

وإذا كان ذلك كذلك: فما العلة فى ضعف المسلمين وابتعادهم عن دور القيادة ومراكز التوجيه...؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن الراصد لحركات المسلمين من عدة قرون يرى أن الكثير منهم قد تفلت من تعاليم دينه، وابتعد عن هدى نبيه وترك نور إسلامه، فلفهم ظلام شامل، لا يدرى أحد كيف الخروج منه أو الخلاص من ثقله.

فالذى ينقص الإسلام الآن هم الرجال: الرجال الذين يؤمنون به كعقيدة تحكم تصرفاتهم، وتضبط سلوكياتهم، ويحكمونه فى شؤونهم الخاصة والعامة ويجعلونه دستور الدساتير فى شرعهم، ومصدر القوانين فى حكمهم.

لو وجد هؤلاء الرجال؟ رجال الإسلام؟؟

ونتساءل لقد كان رجال الإسلام يملأون الساحة، فلماذا فرغت منهم؟
وكان صوتهم يدوي في جنبات الأرض فلماذا لم يعد العالم يسمع لهم
صوتاً أو يرى لهم فعلاً...؟

الحقيقة التي لا ينكرها أحد من المنصفين، والراصدين لخطوات التاريخ
في عصرنا الراهن: أن الدعاة للحركات الإسلامية في كثير من البلاد نزل
بهم من البلاد ما لو نزل بالجبال الشم لدكت أركانه، وتساقطت بنيانه.

لقد سيقوا إلى السجون في كثير من الأوقات، وقدمت أعضاؤهم طعاماً
للكلاب وصب عليهم العذاب صيباً، وديست حرمااتهم، وانتهكت أعراضهم،
ووضعت تحت الأقدام النجسة مصاحفهم، وتفننت وسائل الإعلام من
صحافة وإذاعة مرئية ومسموعة، على إلصاق كل الموبقات بهم، ورميهم
بأحط الصفات وإخراجهم من زمرة البشر؟

وكثير منهم فارق الحياة داخل أقبية السجون، وتوارت جثته في جنح
الظلام ومن يأتته أجله، خرج من السجن وهو بالأموات أقرب.

ونقول: هذا الذي حدث في هذا العصر، حدث لكل الدعاة السابقين في
كل عصر ومصر، ولم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا المخلصون وأصحاب
الدعوات، وكأن هذا ضريبة الإيمان.

أو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هؤلاء الجبارين والطفاة أداة تعذيب
وتتنكيل لأتباع دينه والمخلصين من أبناء الإنسانية، وذلك لحكمة قد تغيب
عمن يتقول بلسانه، ومن هو على الحق واليقين بقلبه.

قال الله تعالى:

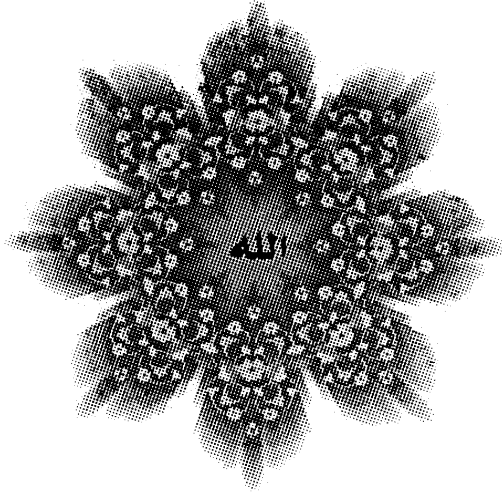
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ
قَرِيبٌ﴾ (١).

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢١٤.

نعم إن النصر في النهاية يكون للمؤمنين، وللعباد المخلصين القانتين
لربهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ (١).

اللهم إن نسألك النصر والظفر، للإسلام والمسلمين، حتى يفرح المؤمنون
بنصر الله ينصر من يشاء.



أبو محجن الثقفي

رضي الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(المائدة: ٩٠)

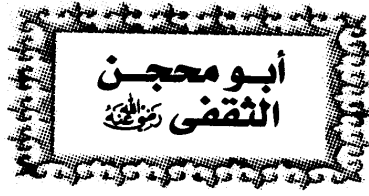
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية لقول عمر بن الخطاب،
رضي الله عنه، اللهم بين لنا بياناً شافياً في الخمر.

وقال بعضهم نزلت في قيس بن عاصم وأبي محجن الثقفي.

ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ج ٢ ص ٥٦.

فمن هو أبو محجن الثقفي رضي الله عنه؟



حياته ونشأته

فارس من فرسان الجاهلية والإسلام.
ومقاتل لا يشق له غبار، وخبير بالنفوس عالم بخباياها.
عرف متى يقدم وكيف يحجم. نشأ في قبيلة ثقيف تلك القبيلة التي لم
تعرف طعم الهزيمة قط. ولم تستطع قبيلة أن تتال منها.
ولقد كانت دائماً تعمل على تطوير أسلحتها من السيف إلى المدفع، ومن
الرماية إلى المتجنيق، ومن الخيل والإبل إلى الدبابة.
نعم الدبابة التي تخترق الأسوار وتدمر الحصون. وتربك العدو فيضر
هارباً من أرض المعركة. وكانت أرضها خصبة، وعيونها فوارة، وخيراتها كثيرة.
أما عن أهلها فكانت حرفة صناعة الأسلحة. وتربية الخيول العتاق.
وكانت ديانتهم التي يدينون بها عبادة الطاغية «اللات» أحد الآلهة التي
تُعبد في ذلك الزمان البعيد. قال الله تعالى:
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ (١).
ولقد سمعت ثقيف بالإسلام ولكنها لم تعلن إسلامها، وبقيت على شركها
وكفرها حتى بعد فتح مكة.
ثم أراد الله سبحانه وتعالى لهم الخير فهداهم إلى الإسلام.

(١) سورة النجم آية رقم ١٩ - ٢٠

إسلام أبي محجن الثقفي

متى أسلم أبو محجن؟ ومتى استقر الإسلام في قلبه؟
إن أوثق المصادر التي بين أيدينا تقول إن إسلامه تأخر حتى أسلمت
ثقيف.

وكانت بداية ذلك أن عبد ياليل كان سيد ثقيف.

وله الكلمة الأولى فيهم.

والمدافع عن كيانهم وعزهم بعد مقتل عروة بن مسعود.

لقد أخذ عبد ياليل ستة من رؤساء ثقيف وسار بهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

فلما اقتربوا منها ونزلوا أحد الأماكن. وجدوا المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه -
يرعى غنمه. وركائب أصحاب النبي ﷺ.

وما كاد يراهم المغيرة. حتى ترك الركائب ووثب ماشياً ليبشر رسول الله
ﷺ بقدوم وفد ثقيف عليه.

فلقيه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قبل أن يدخل إلى رسول الله.

فأخبره المغيرة عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون الإسلام.

ثم ماذا؟ يشترط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ويأخذوا من رسول الله
كتاباً إلى قومهم وأهلهم.

فقال أبو بكر للمغيرة دعني أنا الذي أحدث رسول الله عنهم.

ففعل المغيرة.

عندها دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم. ثم عاد
المغيرة إلى وفد ثقيف. وأعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ. ولكنهم لم
يفعلوا وحيوا بتحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ أقام لهم مكاناً يستريحون فيه في ناحية المسجد:

وكان خالد بن العاص - رضي الله عنه - وهو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم.

وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده.

وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله - ﷺ - حتى يأكل منه خالد إلى أن أسلموا.

وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ:

«أن يدع لهم الطاغية- صنم اللات- لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنوات.

فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم.

فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم.

حتى سألوا شهراً شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى. وكانوا يريدون بذلك- فيما يظهر- أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم ويكرهون أن يروعا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام..؟؟

فأبى رسول الله ﷺ.

ثم عفا لهم ﷺ أن يهدموها بأيديهم. وأرسل لهدمها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة.

وسألوه أيضاً أن يعفيهم من أداء الصلاة، ألا يكسروا أصنامهم بأيديهم «فقال الرسول ﷺ أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه. وأما الصلاة. فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه.

فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن العاص. وكان من أحدثهم سناً.

فعل الرسول ﷺ ذلك لأنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم كتاب الله تعالى.

هدم الطاغية (اللات)

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين. بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب. والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية.

ثم ماذا: تم هدمها وتسويتها بالأرض.

وتلاشت الآلهة المزيفة التي هي من شجر وحجر.

وعلت كلمة التوحيد - توحيد الخالق المبدع الذي خلق فسوى.

الخالق المبدع الذي له ملك السموات والأرض التي تسبح بحمده. وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

وتم إسلام أبي محجن الثقفي - وبهذا الإسلام - ونطقه بشهادة أن لا إله إلا الله انتقل نقلة بعيدة حيث لا يعبد إلا الله، ولا يرجو الخير من سواه. وأخذ أبو محجن يتسمع إلى الصوت الشجي والذي يردد قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران رقم ٢٦.

أبو معجن وتعاطى الخمر

في الجاهلية الأولى كان العرب جميعاً يشربون الخمر. يشربونها في ظعنهم، ويشربونها في إقامتهم. يشربونها في الصباح ويشربونها في المساء.

حتى صارت من العادات التي يصعب على الإنسان أن يقلع عنها. ولقد علم اللطيف الخبير بخلقه ذلك. ولذا عندما أراد أن يحرم عليهم الخمر التي تذهب بعقولهم سلك معهم طريق التدرج في تحريمها حتى لا يكون عليهم عبء ثقیل لا يطيقون تحمله. والله تعالى يقول:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

من هنا كانت الخطوة الأولى في تحريم الخمر بيان المضار التي تحدثها الخمر أكثر من المنافع قال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٢).

ثم كانت الخطوة الثانية الامتناع عن تناول الخمر في أوقات الصلاة قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٣).

وبذلك اتسعت المسافات بين الشرب والترك.

فهم لا يشربونها في الصباح مخافة أن تأتي صلاة الظهر وهم سكارى ومثله بعد صلاة الظهر حتى لا يفاجئهم العصر. ولا بعد صلاة العصر حتى لا يأتي عليهم المغرب وعقولهم ليست معهم.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

(٢) سورة النساء آية رقم ٤٣.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢١٩.

عندها بقى وقت واحد يمكن أن يتعاطوا فيه الخمر- وهو ما يكون بعد صلاة العشاء الآخرة.

ولقد كان للإرادة القوية التى كان يتمتع بها المسلمون الدور الكبير فى تحريم الخمر تحريماً قاطعاً. عندما نزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾.

ولقد شرب أبو محجن الخمر فى خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحدها ثم شربها.

وأقيم عليه حد الشرب مرة أخرى.

ثم فكر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فى نفيه إلى جزيرة فى البحر وبعث معه رجلاً فهرب منه. ولحق بسعد بن أبى وقاص - رضي الله عنه - بالقادسية.

وكان أبو محجن قد همَّ بقتل العامل الذى بعثه معه عمر. فأحس الرجل بذلك فخرج فاراً فلحق بعمر وأخبره خبره.

فكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص بحبس أبى محجن. فحبسه.

(١) سورة المائدة آية رقم ٩١.

أبو محجن ومعركة القادسية..

كانت معركة القادسية من المعارك الضارية في تاريخ الإسلام.
وكانت هذه المعركة على أرض الفرس.
وقد جمع لها الفرس كل ما يملكون من قوة ضاربة، وأسلحة متطورة،
وخبرات أجنبية ولكن الإرادة القوية. والإيمان الجياش في قلوب المسلمين
والرغبة في نيل الشهادة.
نعم الشهادة التي كان يطلبها المسلمون بإلحاح من ربهم بعد أن يحقق
لهم النصر، جعلت كفة الميزان تميل لصالح المسلمين جند الله في الأرض.
وكانت المعارك تدار في الأراضي المكشوفة. وتستمر طول النهار.
فإذا أوشكت الشمس على المغيب تحاجز الفريقان لينالا قسماً من
الراحة وليجمع كل فريق قتلاه استعداداً ليوم جديد.
ولقد كان أبو محجن يتابع المعركة من داخل سجنه. ويقتله الحزن
والأسى والألم ألا يكون جندياً من جنود الفتح.
جندياً يدافع عن دينه ويدعو الآخرين إليه. فأخذ يقول:

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشهوداً على وفاقها
إذا قمت عناني الحديد وغلقت
مصارع دوني قد تعم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
وقد تركوني واحداً لا أخا لي
وقد شف جسمي أنتى كل شارق
أعالج كبلأ مصمتاً قد برانيا

فلله درى يوم أترك موثقاً
ويذهل عنى أسرتى ورجاليها
حبسنا عن الحرب الموان وقد بدت
وأعمال غيرى يوم ذاك الموالها
فلله عهد لا أخيس بمهده
لئن فرجت إلا أزور الحوائها

فلما كان يوم قس الناطف بالقادسية، والتحم القتال: سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد، وعاهدها أنه إن سلم عاد إلى حاله من القيد والسجن.

وإن استشهد فلا تبعة عليها فى ذلك.

فخلت المرأة سبيله وأعطته الفرس.

فالتحم أبو محجن مع المقاتلين. فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله. فنظر إليه سعد فجعل منه يتعجب ويقول:

من ذلك الفارس..؟ إنه يقاتل قتال المستميت.

إنه يقاتل ليظهر نفسه مما ارتكبه فى سالف الأيام.

يقاتل لنصرة دين الله. لعل الله تعالى يقبل توبته ويغفر له حوبته إنه يجندل صناديد الفرس، ويخترق صفوفهم. وكأنه النار المشتعلة ألقيت على الهشيم فلم تبق منه ولم تذر.

حتى أراد الله النصر بأمره، ونصر الله المؤمنين نصراً مؤزراً.

ولكن أبا محجن لم ينل الشهادة.

ثم عاد من حيث أتى ورد الأمانة التى أعطيت له، ووضع قدميه فى

القيد حتى يجعل الله من أمره يسرى.

إنها الحرب التي تطهر الرجال في بوتقتها وتقربهم إلى ربهم.
عندها يزهدون في الدنيا العريضة وما حوت. ويعافوا الشهوات بكل ما
ألت ويصبحوا خلقاً جديداً تربطهم بالسماة أسباب غير منظورة.
ثم ماذا؟ عاد سعد إلى أهله وذويه بعد يوم من القتال المرير.
فقال له زوجته: كيف كان قتالكم؟

فجعل سعد يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس
أبلى لولا أنى تركت أبا محجن في القيود لظننت أنها بعض شمائل وطعنات
أبى محجن..؟

فقال زوجته: والله إنه لأبو محجن. لقد كان من أمره كذا وكذا.
فقال سعد: والله ما أبلى أحد من المسلمين ما أبلى أبو محجن في هذا
اليوم. والله لا أضرب رجلاً أبلى في المسلمين ما أبلى. فدعا به وحل قيوده
وقال:

«والله لا نجلدك بعدها أبداً..؟»

قال أبو محجن.. وأنا والله لا أشربها أبداً كنت آنف أن أدعها من أجل
جلدكم إذ يقام على الحد وأطهر منه.
فأما إذ أسقطتم الحد فوالله لا أشربها أبداً ثم قال:

رأيت الخمر طالحة وفيها

خصال تهلك الرجل الحلما

فلا والله أشربها حياتي

ولا أشفي بها أبداً سقيما

وعاد مسلماً ملتزماً ومؤمناً قانتاً، وربانياً ساجداً، وجندياً مجاهداً في
سبيل الله.

وأصبح أبو محجن: لا يفرغ من معركة حتى يدخل في أخرى ليزيل هذا
الركام المتعفن الذي يقف أمام دعوة الإسلام.
حتى إنه لم يمض على ذلك فترة وجيزة من عمر الزمن حتى دانت
بالإسلام بلاد فارس وما جاورها من بلاد السند والهند.
وبلاد الشام ذات الحداثق الغناء والبساتين الفيحاء وما جاورها من بلاد
الترك والروم.
إنهم الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن ونهلوا من ينابيع الإيمان ثم
خرجوا إلى الدنيا ذات الأركان التي لا تحد.
«فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للبشرية كلها لا فضل لعربي
على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.
هذا العدل الذي لم تعرف البشرية له نظيراً من قبل انتشر في كل بقعة
من بقاع الأرض. عندها قال الرسول ﷺ:
«لكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم»^(١).
ويعبر شاعرهم- وهو يشاهد ما فعله هؤلاء الأبطال من حضارة وتمدن
بقوله:

كانوا رعاة جمال قبل نهضتم
وبمدها ملأوا الأفاق تمدينا
لو كبرت بأفاق الصين مثننة
سمعت في الغرب تهليل المصلينا

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة ٤٩ وفي المناقب ٧٣ وأبو داود في كتاب الأدب ١١١
وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٣٦١، ٥٢٤ (حلبى).

فتح همدان وجرجان وأذربيجان

توغل المسلمون في بلاد الفرس بقيادة القائد العملاق نعيم بن مقرن.
وشاهد هؤلاء هولاً كبيراً. وجيوشاً جرارة.

وكان أبو محجن الثقفي يطلب الشهادة من ربه في كل معركة يخوضها،
ويلقى بنفسه في المهالك. ولكن الله تعالى - لم يرد له ذلك. فكان سيفه
ورمحه يحصدان الأعداء حصداً.

ويفر من أمامه ما تبقى من تلك الفلول.

حتى دانت لهم البلاد فبعضهم دخل إلى دين الله أفواجاً طائعين مؤمنين
موحدين بخالق الأرض والسموات.

والبعض الآخر اصطلحوا على دفع الجزية. ٩٩.

ثم ماذا؟ آن للمسافر أن يؤوب. ولل فارس أن يستريح عندها استقر أبو
محجن على أرض «أذربيجان» ثم وفاه أجله - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه
فسيح جناته بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين.

لقاء بين ضرغام بن أبي محجن وبين معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين

التقى ضرغام بن محجن الفارس المعلم في جيش المسلمين- على أرض الشام ومعاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين في ذلك الوقت.
فقال معاوية يا ضرغام أبوك الذي قال:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه
تروى عطامي بعد موتى مروقها
ولا تظنني بالفلانة فإني
أخاف إذا ما مت ألا أدوقها

فقال ضرغام: يا أمير المؤمنين لو شئت لقلت أحسن من هذا من شعره.
قال معاوية: وما ذاك يا ضرغام.
قال الفتى الحريص على ألا تخذش سيرة والده بعد مماته. قوله:

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته
وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي



المخدرات أو حرب التدمير فى عالمنا المعاصر

يتساءل المرء لماذا يطلق على المخدرات بأنها حرب التدمير؟..
ولماذا تغمر البلاد الإسلامية- بالذات- بهذا الكم الهائل المتنوع من كل أصنافها والدين يحرمها.
ومن هم وراء هذه الكميات المتلاحقة التى تأتى بثمن مرة ومن غير ثمن فى كثير من المرات؟..
وما الهدف والغاية من وراء حرب المخدرات هذه المعلنة حيناً والمتخفية تحت ستار الدبلوماسية و «البروتوكولات» مرات؟..
إن ما قرره مجلس الشعب المصرى فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٨٦/١/٢ يكشف القناع عن هذه الحرب.
لقد قال المجلس كما جاء فى مضبطته: إن هناك دولاً أجنبية وفى مقدمتها إسرائيل تسعى سعيًا حثيثاً لنشر وترويج السموم البيضاء فى مصر. ودول الخليج. وإن هذه الظاهرة قد بدأت مع ازدياد حركة السياحة الإسرائيلية. إلى مصر فى بداية الثمانينيات^(١)..
وما قاله مجلس الشعب المصرى فى جلسته.
أكده وصرح به اللواء حسنى عبد العظيم مدير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات فى مصر لمجلة الشرق الأوسط قال:
إن إسرائيل تعتبر أحد المنافذ الرئيسية- بل والمهمة- فى السنوات الأخيرة. بعد عودة العلاقات بينها وبين مصر.
والدليل على ذلك: دخول كميات كبيرة من مسحوق «الهيروين» بطريق

(١) الأخبار المصرية ٣ / ١ / ١٩٨٦.

مباشر أو غير مباشر.

ثم قال: وذلك تمشيًا مع سياستها العدوانية في تحطيم وتشويه صورة الشباب المصري. وإغراق الأسواق المصرية بالسبوم^(١).

ونتساءل: ماذا تستفيد إسرائيل من تشويه صورة الشباب المصري؟

وماذا تجنى من وراء إغراق الأسواق المصرية والعربية بالمخدرات؟

هل تبغى إسرائيل الربح من وراء ذلك؟

وهل هي في حاجة إلى المال؟

أم أن الحقيقة التي تريدها إسرائيل أكبر من الربح ومن المال؟

ولهذا تعمل جاهدة على شن هذه الحرب في صورة المخدرات يقول أحد المفكرين المخلصين من أبناء هذه الأمة:

«الدور الإسرائيلي في تجارة المخدرات دور خطير وله أبعاد سياسية متعددة وأهداف عليا تتعلق بمخططات إسرائيل.

إسرائيل التي تطمح في إقامة الدولة العالمية.

هذه الدولة يكون مركزها «أورشليم» و «القدس»؟

ثم ماذا؟ عن طريق هذه الدولة تحكم إسرائيل العالم من خلال «مسيخهم» الدجال المنتظر.

والذي أكدت مجيئه لهم كل التنبؤات منذ عهد أرميا وأشعيا. والذي امتلأ به العهد القديم- التوراة- المحرفة.

والذي قال الله تعالى عن هذا التحريف:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٩.

(١) مجلة الشرق الأوسط العدد ٦٦ في ١٦ أكتوبر ١٩٨٧م.

وأيضاً كتابات أحبارهم فى المشناة والجمارة من التلمود الذى وضعه
أيضاً أحبارهم- وهو المسيح الدجال.

الذى تحدثت عنه الأحاديث النبوية المستفيضة والموجودة فى كتاب
صحيح البخارى ومسلم. وبعض كتب الصحاح الأخرى^(١).

يقول الدكتور/ أحمد الرزوقي: فى ندوة المخدرات بجامعة الملك
عبد العزيز بالرياض. السعودية.

« تأكد لدى وزارة الداخلية فى المملكة العربية السعودية أن هناك أطرافاً
دولية. تعمل بشكل مكثف على غزو المملكة العربية السعودية ودول الخليج
بالمخدرات. وهدفها الرئيسى تفتيت المجتمع العربى والإسلامى وتدميره.

وما قاله الدكتور الزروقى ردهه النائب العام لجمهورية مصر العربية
حيث قال:

إننا نواجه مخططاً دولياً يستهدف تخريب مصر اجتماعياً وأخلاقياً
واقتصادياً وهذه المخدرات التى تأتى إلينا عبر الحدود والسدود ندفع قيمتها
بالعملة الصعبة بما يصل إلى مليارات من الدولارات. وهذا يستنزف رصيد
مصر من هذه العملات.

بالإضافة إلى أن إدمان المخدرات من شأنه أن يؤدى إلى تفسخ القوة
البشرية. التى هى عصب الأمة.

ولا شك أن هذا يكون له أثر كبير فى ضعف الإنتاج..^(٢)

ويؤكد هذه الحقيقة اللواء جميل اليمان مدير عام جهاز مكافحة
المخدرات بالمملكة العربية السعودية بقوله:

هناك عصابات يهودية تعمل وتحرض وتسهل عمليات التهريب إلى دول
الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية.

(١) راجع المذاهب المعاصرة. د. عبد الرحمن عميرة ص ٩٦ ط الهيئة العلمية للفتوى والإرشاد السعودية.

(٢) جريدة الأهرام العدد ١٣٠٦ فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٥.

وقد ذكر أن السلطات في مكافحة المخدرات بالسعودية تمكنت من ضبط ومصادرة ٢٧٦ ألف مخدرة خلال ست سنوات(١).

ونقول: يا له من خطب جسيم ٢٧٦ ألف قذيفة وقنبلة موقوتة يوجهها الأعداء إلى شبابنا. ولهذا نستطيع أن نقول ونؤكد أن ما يفعله هؤلاء الأعداء من تصدير هذه السموم إلى بلادنا ليس المقصود به التجارة الرائجة ولا البضاعة الرباحة فقط.

وليسست هي أسلوباً من أساليب الريح والخسارة. ولكنها- والحق يقال- نوع من أنواع الحرب الموجهة التي يشنها هؤلاء الأعداء علينا.

إن الذين يحملون هذه المواد إلى بلادنا ليسوا إلا جواسيس ترسلهم إسرائيل لا لتدمير المنشآت الحربية.

أو كشف الأسرار التكتيكية.

ولكنهم جواسيس يدمرون أغلى شيء تملكه الدولة وتحرص عليه.

إنهم الشباب رصيد الأمة في السلم والحرب.

رصيد الأمة في العمل والإنتاج والتصدير.

رصيد الأمة في شتى ميادين الحياة.

ومصادقاً لما نقول ما صرح به شيخ الصحفيين في مصر- مصطفى أمين حيث قال: أحب أن أحذر كل أب وكل أم في بلادنا بخطر داهم يهدد الشعب المصري كله، وهو أشبه بقنبلة ذرية ألقيت على بلادنا.

هذه القنبلة تفتك كل يوم بالآلاف من الشباب والشابات. وتقضى عليهم أو تحولهم إلى أشباح وإلى مجرمين.

مطلوب من كل أم في مصر، وفي كل البلاد العربية والإسلامية أن تشترك في هذه المعركة. وأن تمنع جريمة قتل شاملة يقوم بها عملاء ماتت

(١) المصدر السابق (الأهرام) ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٥.

ضمائهم، ورضوا أن يكونوا الخنجر الذى يفعد فى ظهر مصر.

ومطلوب من الدولة أن تحارب الآن معركة حياة أو موت.

وأن تضرب بيد من حديد على هؤلاء المهربين الذين يكونون الطابور الخامس ضد بلادنا^(١).

لقد وصف شيخ الصحفيين مروجى المخدرات بأنهم عملاء لدولة أجنبية وليسوا تجاراً يبيعون الربح.

واتهمهم بأنهم الطابور الخامس أى جواسيس يعملون لصالح الأعداء ولهذا فهم يخربون ويدمرون ويفسدون فى الأرض.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(٢).

وبهذا نصل إلى حكمة التشريع فى جعل عقوبة مروجى المخدرات الإعدام.

وقد أفتت هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية فى قرارها الصادر برقم ١٢٨ وتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٤٠٧ هـ متضمناً ما يلى:

أولاً: بالنسبة لمهرب المخدرات فإن عقوبته القتل لما يسببه تهريب المخدرات وإدخالها البلاد من فساد عظيم.

هذا الفساد لا يقتصر على المهرب نفسه بل يتجاوز ذلك إلى الأمة بأسرها ويلحق بالمهرب الشخص الذى يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج، ويمون بها المروجين.

وبناء عليه فقط صدر أمر خادم الحرمين الشريفين المبلغ من وزارة العدل^(٣) ووزارة الداخلية برقم ٤ / ب / ٩٦٦٦ بتاريخ ١٠ / ٧ / ١٤٠٧ هـ بالعمل بموجبه وتعميمه على المحاكم.

(١) جريدة الأخبار المصرية العدد الصادر فى شهر ٨: ١٩٨٥. (٢) سورة المائدة آية رقم ٢٣.

(٣) والدول التى تحكم بإعدام المهرب والتاجر: هى الصين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وأندونيسيا، ومصر العربية وسيرالانكا، وإيران، (وتحكم على المتعاطى أيضاً بالإعدام).

ويتوقع أن تدخل دول مجلس التعاون قريباً هذه القائمة.

ولا شك أن مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عندما أصدر قراره بقتل مروجي المخدرات، نظر إليهم على أنهم من المفسدين في الأرض، العاملين على قتل النفوس بهذه السموم.

والله سبحانه وتعالى حكم على المفسدين في الأرض بالقتل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ (١).

وقال عن قتل العمد:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢).

ليس هذا فحسب، ولكن مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية نظر إلى هؤلاء المروجين على أنهم يعملون بترويجهم المسكر والمخدر على إشاعة الفحشاء في المجتمع وهؤلاء توعدهم الله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣).

والذي قال فيهم رسول الله ﷺ:

«من شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته».

وتارك الصلاة عمداً كافر. كما قال الرسول ﷺ:

«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» (٤).

(١) سورة المائدة آية رقم: ٣٣.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٣٢.

(٣) سورة النور آية رقم: ١٩.

(٤) رواه الترمذي في الإيمان ٩ والنسائي في الصلاة وابن ماجه في الإقامة ٧٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٢٤٦.

والذى يقع على أمه وذوى أقربائه. زان، والزانى عقابه الرجم فضلاً عن تقطيع الأرحام.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (١).

أما بقية الدول الأخرى التى أصدر قانونها إعدام مروجى المخدرات فهل هذا يتوافق مع شرع الله؟

إعدام مروجى المخدرات

ونقول: لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن إدمان العقل للمخدرات يؤدى إلى الجنون، أى فقدان العقل، العقل الذى أوجب فيه الرسول - ﷺ - الدية كاملة على من يتسبب فى فقدده، وذلك فى كتابه إلى عمرو بن حزم - رضى الله عنه .

يقول ابن قدامة: أوجب الرسول - ﷺ - فى العقل الدية كاملة، لأنه أكبر المعانى قدساً، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان، وبه تعرف حقائق المعلومات، ويدخل به تكليف الشرائع، وهو أيضاً شرط فى ثبوت الولايات وأداء العبادات.

وإدمان الخمر يؤدى فى النهاية إلى الاكتئاب الذى يكون من نتائجه الانتحار:

يقول الشاعر العربى يصف مدمنى الخمر:

يا ساهتى الخمر فى كؤوسكما أم فى كؤوسكما هم وتسعيد
أصخرة أنا مالى لا تحركى هذه المدام ولا تلك الأغاريد

إن كثرة الخمر أفقدت الشاعر الرغبة فى الحياة، ولم تعد - كما كان سابقاً - تسبب له النشوة التى كان يشعر بها، بل أصبحت الخمر تسبب له

(١) سورة محمد آية رقم: ٢٢.

الهم والغم والاكتئاب، حتى أصبح كالصخرة الصماء التي لا تشعر بالفرح ولا تطرب للغناء.

وهذا حال المدمن المكتئب الذي لا تُسرّى عنه الخمر، وتصبح الحياة في نظره بلا طعم فيلفه اليأس، ويلقى به في أتون الانتحار.

فإذا علمنا أن إحدى الدول أحصت عدد مدمني المخدرات الذين أعلنوا عن أنفسهم، فتجاوزوا المليون ونصف المليون، فكم يكون عدد المدمنين الذين يتسترون على أنفسهم؟

وكم تكون مصيبة هذه الدولة إذا لجأت هذه الأعداد الضخمة إلى الانتحار نتيجة الاكتئاب الذي تصاب به؟ وكما حدث في الانتحار الجماعي الذي قام به شباب إحدى الدول.

إذا عرفنا ذلك أيقنا أن عقوبة الإعدام التي قررتها بعض الدول على مروجي المخدرات أقل مما يجب بكثير.

وثبت أيضاً أن المخدرات تؤدي إلى الإضرار بالنفس حتى تقضى بصاحبها إلى الموت المحقق.

وفي تقرير الصحة الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٩١م أن عدد المصابين بالإيدز نتيجة تعاطيهم المخدرات المفشوشة ببيودرة الجماع البشرية المطحونة. تجاوز العشرة ملايين في دول أفريقيا وآسيا وأوروبا.

وأن هذه المخدرات أدت إلى التوسع في انتشار الدعارة وأن عدد الفتيات- في إحدى الدول التي تدعى الحضارة والمدنية- واللاتي حملن سفاحاً من سن ١٢ إلى ١٧ عن طريق مزاولة هذه المهنة لتوفير ثمن الجرعة من المخدرات- واللاتي لا يصبرن على تعاطيها- بعد أن أصبحن مدمنات تتجاوز ٢، ١ مليون فتاة- رغم انتشار استخدام وسائل منع الحمل وتدريسها في المدارس بدءاً من المرحلة الابتدائية.

ولقد تمت ولادة ٤٩٪ منهن ولادة طبيعية ويطلق عليهن فى تلك البلاد الأمهات العذارى..

وتم إجهاض الباقي ويبلغ عددهن ٤٠٠،٠٠٠ حالة أى ٣٨٪ من جميع حالات الحمل السفاح.

فهل إذا لجأت هذه الدول إلى فرض عقوبة الإعدام على مروجى المخدرات الذين تسببوا فى هذا الهول الكبير وهو انحطاط فئة من البشرية إلى درجة يترفع عنها الحيوان. تكون ملومة على ذلك..؟

أم نقول إن هذه العقوبة- والحق يقال- تكون أقل مما يجب..؟
ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للتزيد أو التهويل أن المخدرات تقضى على ثروات البلاد.

أولاً: ما تنفقه الدولة لمكافحة هذه السموم، ومنع دخولها ووصولها إلى أيدى المدمنين. ويدخل تحت هذا البند جزء كبير من ميزانية وزارة الداخلية وميزانية حرس الجمارك والموانئ الجوية والبحرية والبرية.

ثانياً: الخدمات الطبية، والمعالجات النفسية والاجتماعية التى تقدم لعلاج المدمنين، هذا إلى إجراءات برامج التوعية بجميع مستوياتها، كما قد تشارك فى هذه النفقات وزارات أخرى كالتعليم والإعلام.

ثالثاً: الإنفاق المستتر وهو نوعان:

أحدهما: ما ينفقه المدمنون ثمناً للمواد المخدرة، ويدخل فى ذلك ما يترتب على الإدمان من اختلال ارتباطهم بمواقيت العمل، وكثرة الغياب بسبب اعتلال الصحة، وتناقص إنتاجية المتعاطى.

ثانيهما: الخسائر البشرية التى يتكبدها المجتمع كجزء من المجتمع كجزء من المعاناة مع مشكلة المخدرات، والمقصود مجموع الأفراد الذين يخرجون كلياً أو جزئياً من حساب القوة العاملة.

ويأتى فى حساب الأرباح والخسائر البشرية أيضاً جميع الأفراد العاملين فى حقل التهريب والاتجار غير المشروع فى هذه السموم. إن هذه الخسائر تقدر فى الدولة الواحدة بمئات الملايين. ومصادقاً لذلك قول الدكتور «التويجى»:

«إن شاربى الخمر فى عاصمة عربية يتسببون فى خسارة سنوية مقدارها ٣١٩٥ مليوناً من الجنيهات، وشربت دولة محدودة السكان ٣،٥ مليون كيلو جرام من المشروبات الكحولية عام ١٩٧١م ارتفعت عام ١٩٨١م إلى تسعة ملايين كيلو جرام، وتتفق دولة عربية على المخدرات ١٥٠٠ مليون جنيه سنوياً. وتتفق الأمة العربية وهى فى حالتها الراهنة من التخلف ٦٤ ألف مليون دولار (٦٤ بليوناً) سنوياً على الخمر والمخدرات»^(١).

كيف يتخلص المدمنون من الإدمان؟..

وإذا كان ذلك كذلك فما هو الحل؟..
هل تكفى عقوبة الإعدام مع هؤلاء العملاء الذين يقومون بدور الطابور الخامس بالنسبة لأوطانهم؟..
أم أن هذا علاج مؤقت قد يفيد مع هؤلاء الذين باعوا دينهم وضمايرهم للشيطان. وهم المروجون.
وتبقى مشكلة المدمنين فى حياتنا تؤرق كل المخلصين من أبناء هذه الأمة. إننا نرى وشاركنا فى هذا رأى الكثير ممن يرجون الخير للبشرية كلها حيث يتفقون على أن الحل فى الإسلام.
الإسلام الذى يستطيع عن طريق الإيمان الذى يبيته فى النفوس أن يزيل العوامل العديدة التى تدفع بالإنسان إلى تعاظم المخدرات وغيرها من الموبقات.

(١) مجلة الخليج العدد ١٦ السنة الخامسة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م ص ٩-٢٩.

والإسلام يوجه الطاقات إلى غاية سامية، فلا يجد الشباب هذا الفراغ الذى يلقي إلى التهلكة.

إن الروح الإسلامية التى حررت الجزيرة العربية من إدمان الخمر فى صدر الإسلام، قادرة على أن تحرر الإنسان من ريقة الكحول فى القرن العشرين عن طريق الاعتقاد الدينى العميق.

لقد قال الكاتب الأمريكى الأسود «جيمس بالدون» وهو يخاطب رفقاءه السود:

«عودوا إلى دينكم الحقيقى، انزعوا عنكم أغلال المخدرات، واحموا نساءكم من الزنا».

ثم ماذا؟.. لقد استطاع الإسلام أن يفعل مع هؤلاء السود فى أمريكا ما لم تستطع أن تفعله أجيال من موظفى الضمان الاجتماعى، ومئات القرارات والدراسات واللجان التى كُلفت بإصلاح أحوال السود.

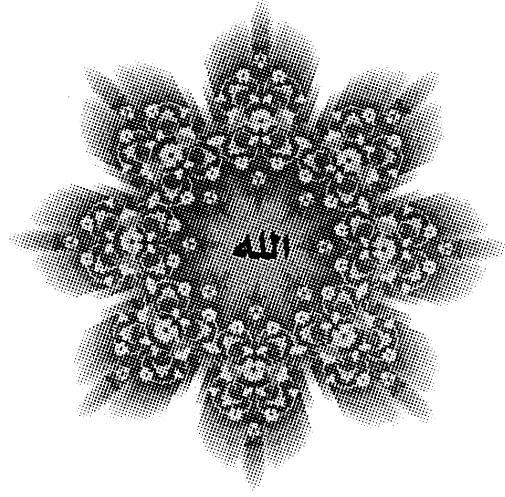
واستطاع الإسلام فى وقت قصير جداً أن يحول هؤلاء البائسين مدمنى الخمور والأفيون والهيروين، ممن فشل فى علاجهم الأطباء النفسىون والمصلحون الاجتماعيون، ونفضوا أيديهم عنهم معلنين أنهم لا علاج لهم إلا الطهارة والنقاء، عندها توقفوا فجأة عن الشرب وعن الإدمان.

يقول المؤرخ العالمى «أرنولد توينبى» فى كتابه «محاكمة الحضارة»:

«إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ريقة المخدرات عن طريق الاعتقاد الدينى العميق».

فهل يمكن أن تعود لنا الروح الإسلامية؟..

نرجو أن يتحقق ذلك.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء.



أبو موسى الأشعري - عبد الله بن قيس

رضي الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ
أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

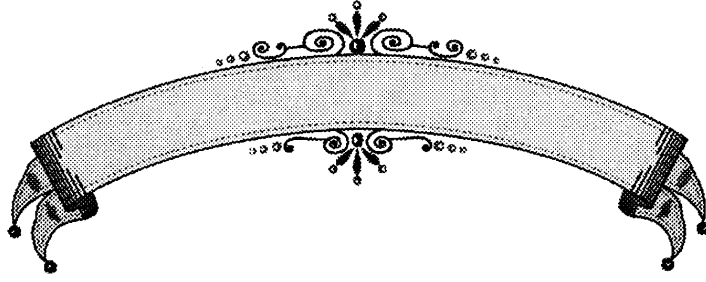
(المائدة: ٥٤)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

قال الإمام القرطبي فى تفسيره نزلت فى الأشعرين. ففى الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعرين وقبائل اليمن من طريق البحر فكان لهم بلاء فى الإسلام فى زمن الرسول - ﷺ - ج ٦ ص ٢٢٠ وروى الحاكم أبو عبد الله فى المستدرک بإسناده أن النبى ﷺ أشار إلى أبى موسى لما نزلت الآية فقال: هم قوم هذا.

قال القشيري فاتبع أبا الحسن قومه.

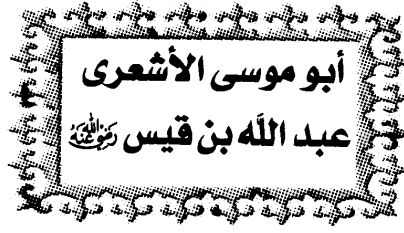
فمن هو أبو الحسن رضي الله عنه...؟



قال الرسول ﷺ: «هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري.
قال الرسول ﷺ: «إن عبد الله بن قيس أو الأشعري: أعطى مزمراً من
مزامير آل داود.

رواه البخاري في فضائل القرآن ٣١





حياته ونشأته

من السابقين إلى الإسلام بدينهم إلى الله .
ومن الأشعريين الذين وصفهم الرسول ﷺ بأنهم أرق أفئدة، وألين قلوباً^(١) .
وفارس تخشاه الفوارس، وتقر من أمامه الأبطال .
قال عنه رسول الله ﷺ : «سيد الفوارس أبو موسى الأشعري»^(٢) .
هاجر إلى أرض الحبشة في بضعة وخمسين رجلاً من قومه، فأدخلوهم
إلى النجاشي وعنده أبو جعفر بن أبي طالب - وهو يقول له: ما هذا الدين
الذي فارقتم قومكم في دينهم ولم تدخلوا في ديني؟ .
فقال جعفر - رحمته الله :

«أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي
الفواحش ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا
على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته ونخلع
ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق
الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي ٧٤ وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ ٨٢، ٨٤، ٨٩ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ ٧١ وَالدَّارِمِيُّ
فِي الْمَقْدِمَةِ ١٤ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْمُسْنَدِ ٢: ٢٣٥، ٢٥٢: ٢٥٨ حَلَبِي.

(٢) ذَكَرَهُ صَاحِبُ الطَّبَقَاتِ ٤: ١٠٧ .

والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها المهلك».

قال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء...؟

قال جعفر: نعم.

قال النجاشي: فاقرأه عليّ.

فقرأ جعفر صدرأ من سورة مريم عليها السلام. فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فأنتم آمنون في أرضي من سبكم غرم^(١).

وعاش المهاجرون في أرض الحبشة في أكرم جوار، ثم هاجروا إلى المدينة عندما استقر المسلمون فيها وكان ذلك حين افتتح الرسول ﷺ حصن خيبر.

وقسم لهم الرسول ﷺ من فئ خيبر بعد أن أجلى رسول الله اليهود منها وأورثهم أرضهم وأموالهم وقال ﷺ لهم: لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليّ.

وكان أبو موسى وأهله يصلون صلاة الليل ويمكثون فيها كثيراً يدعون ويستغفرون.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢٧١ وسيرة ابن هشام ١: ٣٦٠ والروض الأنف ٣: ٢٧٤.

فعلم الرسول ﷺ بصلاتهم. فجاء المسجد وقد انفلتوا من صلاتهم فقال لهم:

«ابشروا أن من نعمة الله عليكم أنه ليس من الناس أحد يصلى هذه الساعة غيركم، أو قال: «ما صلى هذه الصلاة أحد غيركم» .

يقول أبو موسى: فرجعنا فرحين بما سمعنا من رسول الله ﷺ ونقول حدث هذا في صدر الإسلام.

أما بعد ذلك فقد تكاثر المتهاجدون في صلاة الليل حتى قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١).

وقال أيضاً عن رسوله وجماعة المسلمين:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢).

إن قيامك وصلاتك أنت وطائفة من الذين آمنوا معك قبلت في ميزان الله إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع، وتركت دفع الفراش في الليلة القارصة، ولم تسمع نداء المضاجع المغرى واستجابت لنداء الله، إن ربك يعطف عليك يا محمد ويريد أن يخفف عنك وعن أصحابك، والله يقدر الليل والنهار، فيطيل من هذا ويقصر من ذلك فيطول الليل ويقصر وأنت ومن معك ماضون في القيام وفي التهجد، وهو لا يريد أن يعنتكم ولا أن يشق عليكم وإنما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فحافظوا على أنفسكم.

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦.

(٢) سورة المزمل آية رقم ٢٠.

ويجلس الرسول ﷺ في مسجده ويتحلق المسلمون حوله ويقترب أبو موسى الأشعري منه وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(١).

يا رسول الله ما الترتيل؟

قال ﷺ: «هو التنضيد والتسبيق وحسن النظام، ويؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درجة الجنة ويقال له: اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

قال أبو موسى يا رسول الله أحسن صوتي بالقرآن؟

قال ﷺ:

«يا أبا موسى: الله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»^(٢).

فكان أبو موسى - رضي الله عنه - يقرأ القرآن بصوت جميل وترتيل حسن وأن النبي ﷺ وعائشة مرا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته ثم إنهما مضيا.

فلما أصبح لقي أبو موسى رسول الله ﷺ. فقال: يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود^(٣)، قال كيف يا رسول الله؟

قال: استمعت لك البارحة وأنت ترتل القرآن.

قال أبو موسى: لو علمت يا رسول الله لحبرته لك تحبيراً.

لقد عاش أبو موسى الأشعري مع الرسول ﷺ وكان يتبعه في حله وترحاله، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

(١) سورة المزمل آية رقم ٤.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتابه صلاة المسافرين ٢٢٣ - ٢٢٤ بسنده عن أبي هريرة ورواه البخاري في التوحيد ٥٢.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين ٢٢٥ بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

مقتل أبي عامر الأشعري وأجهاز أبي موسى على قاتليه

لقد كانت غزوة حنين والفرزوات التي جمعت فرسان ثقيف وأبطالها ولكن الله سبحانه وتعالى أعز جنده ونصر عبده وهزمت هوازن وثقيف شر هزيمة. ولقد التقى أبو عامر الأشعري وابن عمه أبو موسى الأشعري في يوم أوطاس بعشرة من المشركين. فقال أبو عامر يا أبا موسى كن رداءً لى من خلفى واحذر أن أوتى من قبلك ثم تقدم أبو عامر فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: «اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر».

ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة، وبقي العاشر. فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه. فقال الرجل: اللهم لا تشهد علىّ.

فكف عنه أبو عامر. فأقلت، ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر»... ٩٩
ثم اشتبك أبو عامر مع أخوين مشركين هما العلاء وأوفى ابنا الحارث وأنشغل أبو موسى بجمع أسلاب القتلى فقتلا أبا عامر. وما كاد أبو موسى يرى ابن عمه قتيلاً حتى نزل عليهما بسيفه فقتلتهما. فقال رجل من بنى جُشم بن معاوية يرثيهما:

إن الرزية قتل العلاء
وأوفى جميعاً ولم يسند^(١)

(١) أى لم يدركا ويهما رمق فيسندا إلى ما يمسكهما.

هما القاتلان أبا عامر

وقد كان ذا هبة^(١) أريدًا^(٢)

هما تركاه لدى معرك

كأن على عطفه مجسدا^(٣)

فلم تر في الناس مثليهما

أقل عثاراً وأرمى يدا

إن الإنسان ليعجب من هؤلاء الناس الذين كانوا يلقون بأنفسهم إلى التهلكة، وتتساءل في حيرة. لماذا كانوا يفعلون ذلك؟

أمن أجل الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر..؟

أمن أجل الأوثان التي لا تنفع ولا تضر..؟

إن هذه الأصنام والأوثان لا تقدم ولا تؤخر، ولا تملك من أمرها شيئاً. لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(٤).

لماذا لم يستعمل هؤلاء الناس عقولهم..؟ لماذا لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض، حتى يهتدوا إلى خالق الكون، وموجد الحياة والموت..؟

ولكنهم لم يفعلوا وبقوا في جهلهم وغيهم. من هنا كانت سيوف الإيمان تحصدهم حصداً، وتطهر الأرض من كفرهم وضلالهم في الدنيا، وكان عقاب الله ينتظرهم في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٥).

(١) وذا هبة: معنى سيفاً صارماً قاطعاً بتاراً. (٢) الأريد: السيف المطعم بالجواهر وهو مصقول.

(٣) المعرك: مكان الحرب، والمجسد: الثوب الملطخ بالزعفران.

(٤) سورة مريم الآيات ٩٣ - ٩٥. (٥) سورة الأعراف آية ١٧٩.

أبو موسى الأشعري والياً على البصرة

هل شارك أبو موسى في حروب الردة، هل رافق خالد بن الوليد في معركة اليمامة؟ هل شاهد طلحة الأسدي الذي ادعى النبوة وهو يفر من المعركة فرار الأجر. ويتجه إلى أرض الشام عليه يجد حجراً يختبئ فيه من جند الله كما يختبئ الثعلب من عيون الصيادين.

هل رافق المثني بن حارثة، وهو يدوي بكلمة التوحيد، على أرض فارس؟

هل شارك سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية وشاهد مقتل رستم قائد الفرس وهو يسقط صريعاً في أرض المعركة؟

إن ذاكرة التاريخ الواعية، لا تذكر له خبراً في تلك الحوادث العملاقة، والتي كان لها أكبر الأثر في نشر الإسلام وإعلاء كلمة: الله أكبر.

ولكنه يظهر والياً على البصرة بعد رجوعه من أرض الشام في خلافة عمر بن الخطاب- ولقد كان كارهاً في الولاية راغباً عنها حتى أخبره عمر رضي الله عنه أن بها جهاداً، وأن بها رباطاً. في سبيل الله. عندها قبل ولاية البصرة.

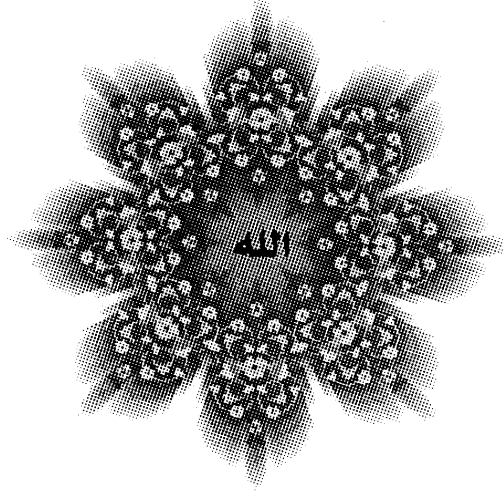
ولقد كان أبو موسى الأشعري صادقاً مع ربه، صادقاً مع نفسه صادقاً مع رعيته حريصاً على الوفاء بوعدده.

يقول أنس بن مالك- رضي الله عنه - طلب مني أبو موسى الأشعري وهو وال على البصرة أن أجهّزه حتى جاء ذلك اليوم الذي حدده، وقد بقي من جهازه شيء لم أفرغ منه.

فقال: «يا أنس إنني خارج ومرتحل»؟

فقلت: لو أقيمت أفرغ من بقية جهازك؟

فقال: يا أنس إنى قلت لأهلى إنى مرتحل يوم كذا وكذا وإنى إن كذبت على أهلى كذبونى، وإن خنتهم خانونى، وإن أخلفتهم أخلفونى.
فخرج - ﷺ - وقد بقى من حوائجه بعض شىء لم يفرغ منه.
إن صدق الكلمة والوفاء بالوعد من صفات المؤمنين، وإن المراوغة وخلف الوعد من صفات المنافقين.
ولقد كان هؤلاء الرجال الذين تربوا فى مدرسة النبوة من أوفى الناس وعداً، ومن أصدقهم حديثاً. حتى لقوا الله تعالى وهو عنهم راضٍ.



أبو موسى الأشعري في معركة صفين

قُتل الخليفة عثمان - رضي الله عنه - بأيدي آثمة، وبكيد مدبر، وانقسم المسلمون إلى فرق وأحزاب، فرقة تطالب بدم عثمان والقصاص من القتلة وفرقة بايعت الإمام علياً - رضي الله عنه - والفرقة الثالثة اعتزلت جماعة المسلمين، واستقرت في ديارهم. تعبد الله تعالى، وتجار بالدعاء إلى ربها أن يخلص الأمة الإسلامية من تلك الفتنة التي فرقت جمعهم وشتت وحدتهم وجعلت بأسهم بينهم شديداً.

حتى كانت معركة الجمل بين الإمام علي، وأم المؤمنين عائشة، ومعها الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - أجمعين، ثم كانت معركة صفين. ولقد كان الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري معتزلاً كل هذه الحوادث لا تدخل له فيها من قريب أو بعيد.

لقد التقى جيش الإمام علي وجيش معاوية - رضي الله عنه - في مكان يسمى صفين.

ولقد اختار جيش علي مكاناً ثم عسكر فيه - واختار جيش معاوية مقابلاً لجيش علي مكاناً آخر.

ثم اختار الإمام علي وفداً من جيشه بقيادة بشير بن عمر الأنصاري وقال لهم: إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة، واسمعوا ما يقول لكم فلما دخلوا على معاوية قال بشير بن عمرو:

«يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك، ومجازيك بما قدمت يداك.

وإني أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة، وألا تسفك دماءها بينها.

فقال معاوية: هلا أوصيت بذلك صاحبكم؟..»

فقال له: إن صاحبى أحق هذه البرية بالأمر فى فضله ودينه وسابقته وقربته، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك فى دنياك، وخير لك فى آخرتك. فقال معاوية: ويطل دم عثمان... لا والله لا أفعل ذلك أبداً وعاد الوفد دون أن يحرز تقدماً فى جمع شمل الأمة الإسلامية وبعد عدة شهور والجيشان مرابطان على أرض صفين وفى شهر المحرم أرسل على وفد آخر إلى معاوية بقيادة عدى بن حاتم.

فلما دخلوا على معاوية: قال عدى بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد: يا معاوية فإننا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ونحقق به الدماء، ويأمن به السبل، ويصلح ذات البين، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها فى الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك فإنه يا معاوية، لا يصيبك الله ومن معك مثل يوم الجمل.

فقال له معاوية:

كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات والله يا عدى، كلا والله إنى لابن حرب لا يقعق لى بالشنان، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وإنك لمن قتلته، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتلك الله به.

ثم تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنكم دعوتمونى إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فمعنا هى، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان، وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلته، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبيب بن ربعى:

أنشدك الله يا معاوية، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان.

قال معاوية:

لو تمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكنى كنت قتلته بغلام عثمان.

فقال شبيب بن ربعي:

والله الأرض والسماء لا تعمل إلى قتل عمار حتى تنذر الرءوس عن
كواهلها، ويضيق فضاء الأرض، ورحبها عليك.

فقال معاوية:

لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق.

وخرج الوفد من بين يديه وذهبوا إلى على فأخبره بما قال:

ثم توالى الرسل والوفود بين الجيشين وكل من الجيشين متمسك برأيه
وبما خرج من أجله.

عندها تلاحم الجيشان في معركة ضارية، وتساقط القتلى من
الفريقين، وأوشكت الدائرة أن تدور على أهل الشام.

عندها أشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى كتاب الله
وأمر جيشه برفع المصاحف في وجوه جيش على.

واستجاب على- رضى الله تعالى عنه- إلى ذلك وقرأ على الصحابة
الذين عارضوه في رأيه كيف أدعى إلى تحكيم كتاب الله فأرفض والله تعالى
يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٣.

أبو موسى الأشعري وقصة التحكيم

اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص بدومة الجندل في شهر رمضان وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس، منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وغاب عن الاجتماع سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - الذي كان بالبادية معتزلاً - فخرج إليه ابنه عمر فقال يا أبة:

قد بلغك ما كان الناس بصفين وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة.

فقال سعد: لا أفعل.

إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفى التقى» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً».

ثم رجع عمر بن سعد، وجاء لأبيه أخوه عامر فقال:

«يا أبة: الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا؟»

فقال سعد: يا بني أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأساً؟ لا والله حتى أُعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه، وإن ضربت به كافراً قتلته. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد الفنى الخفى التقى».

اجتماع الحكمين

اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين، ونظرا في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما.

وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله عمر بن الخطاب. فقال له عمرو: فوّل ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في الفتن معك، وهو مع ذلك رجل صدق. ثم رجع عمرو عن تولية ابنه وقال: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطلع.

وكان ابن عمر فيه غفلة فقال له عبد الله بن الزبير:

أفطن وانتبه...؟

فقال عبد الله بن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا بن العاص: إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت السيوف وتشابكت الرماح فلا تردهم في فتنة مثلها. أو أشد منها.

ثم إن عمرو بن العاص حاور أبا موسى أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه.

ثم حاوره ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً.

وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر بن الخطاب، فامتنع عمرو أيضاً.

ثم اصطالحا على أن يخلعا معاوية وعلياً، ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم.

ثم جاء إلى المجمع الذي فيه الناس، وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي

موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً.

فقال له: يا أبا موسى قم فاعلم الناس بما اتفقنا عليه.

فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه - ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصح لها، ولا ألم لشعثها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه وإنى قد خلعت علياً ومعاوية.

ثم تتحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا موسى قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإنى قد خلعت كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان والمطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه^(١).

عندها تفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة.

وأما أبو موسى فاستحى من على فذهب إلى مكة.

هل خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، وهل عمى عليه حقيقة ما يضمرة حتى أوقعه فيما أوقعه فيه..؟

ولكن أليس المؤمن بمنأى عن الخداع..؟

أم أن الخداع ممكن أن ينطلى على المؤمن وغير المؤمن.

وذلك لقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقوله أيضاً: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣).

(١) راجع البداية والنهاية بتصرف ج ٧ ص ٣٨٣ - ٣٨٤. (٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٩.

إننا نرجح أن الداهية عمرو بن العاص قد خدع بحيلته أبا موسى الأشعري والدليل على ذلك أن معاوية بعد التحكيم أراد أن يجعل أبا موسى الأشعري يبايعه على الخلافة- وأغراه بأشياء كثيرة، ولكن أبا موسى رفض ذلك رفضاً باتاً من ذلك.

قال أبو موسى: كتب إلى معاوية سلام أما بعد: «فإن عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعتني عليه، وأقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني عليه، لأبعثن ابنك أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة وإنى كتبت إليك بخط يدي، فاكتب إلى بخط يدك..

فكتب أبو موسى إليه قائلاً:

أما بعد: فإنك كتبت إلى في جسيم أمر أمة محمد عليه السلام لا حاجة لي فيما عرضته عليّ. .

وحدث مسروق بن الأجدع قال: كنت مع أبي موسى أيام الحكمين وفسطاطي إلى جانب فسطاطه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل فلما أصبح أبو موسى رفع رفر فسطاطه فقال:

«يا مسروق بن الأجدع.

قال: إن الإمرة ما أوتمر فيها، وإن الملك ما غلب عليه بالسيف. نعم إن الملك في حاجة إلى مجموعة من المردة والشياطين ليرعبوا الضعفاء ويخدعوا الأقوياء.

والملك في حاجة إلى قوة لا تقهر، ومال لا ينفد، ورجال لا يعرفون غير السمع والطاعة.

وهذا ما كان ينقص جيش علي- عليه السلام - وزخر به جيش معاوية رحم الله الجميع وحسابهم على الله.

أبو موسى والدعوة إلى العلم..

روى أن رسول الله ﷺ خطب على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرهم ولا ينهونهم؟»

والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنهم بالعقوبة...»

ثم نزل رسول الله ﷺ .

فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟...

قالوا: الأشعريين قبيلة أبي موسى الأشعري - ﷺ .

فأتوا رسول الله - ﷺ - فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير، وذكرتنا بشر فما بالنا؟...

فأعاد عليهم ما ذكره في خطبته، ليعلمن قوم جيرانهم، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا...؟

فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟...

فأعاد عليهم ما قاله .

فقالوا:

يا رسول الله أمهلنا سنة، فأمهلهم وقرأ عليهم قول الله تعالى:

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

فالرسول ﷺ دعا الأشعريين- وهم كانوا أهل علم- أن يعلموا جيرانهم ويفقهونهم في دينهم- وأعلن ﷺ:

الحرب على الذين يقصرون في طلب العلم، وأعطى مهلة عام واحدة للقضاء على الجهالة والجهل ولا عجب في ذلك لأن أول ما نزل من القرآن كان دعوة إلى العلم. قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢).

ولقد اتسم الإسلام منذ نزول الآيات هذه بالطابع العلمي، ودعا المسلم أن يطلب من ربه أن يزيده علماً بقوله:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٣).

يقول أبو موسى الأشعري:

وهذه إحدى سمات المسلم، ومن استوى يوماء فهو مغبون، ومن لم يكن إلى زيادة فهو حتماً إلى نقصان.

وإن مداد العلماء المتقين ليوزن في ميزان الخير والحسنات يوم القيامة بدم الشهداء.

فيرجع مداد العلماء.

(١) سورة المائدة الآيتان رقم ٧٨-٧٩.

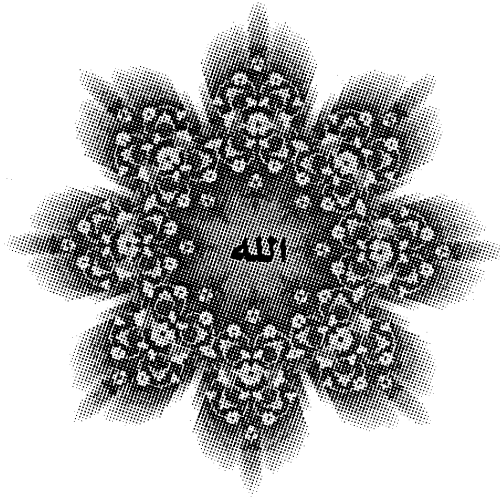
(٢) سورة العلق الآيات ١-٥.

(٣) سورة طه آية رقم ١١٤.

والعلم فى مجال الإسلام لا يقتصر على الجانب المادى فقط، لأن النظرة الإسلامية إلى العلم، هى أوسع بكثير، وأعمق من النظرة الحديثة التى تقصر العلم على الجانب المادى.

فهو يشمل الحياة الدنيا بكل ما فيها من جوانب رحاب، من تعمير، وتشبيد واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وكنوز.

وهو يشمل أيضاً الحياة الأخرى وما تتطلبه من صدق وإخلاص، وعبادة الله تعالى وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.





العلم فى منهج الإسلام

إذا كانت المدارس الفكرية القديمة عرّفت الإنسان بأنه حيوان ناطق فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فنبه على أن قيمة الإنسان الحقيقية إنما تكون وتتحقق ببلوغه مرحلة من مراحل العلم، وتقدمه فى مضمار الثقافة.

والعلم فى الإسلام دعامة من دعائمه، وركن من أركانه، ولقد مدح الله القلم الذى يسطر العلماء به أفكارهم، حين أقسم به تعالى فى قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢).

ومدح العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣). ورفع الله قيمة العلماء بقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٤).

وكثيراً ما كان صلوات الله وسلامه عليه يحض أصحابه رضوان الله عليهم على تعلم اللغات الأجنبية، ليضيفوا إلى معارفهم ثقافة غيرهم من

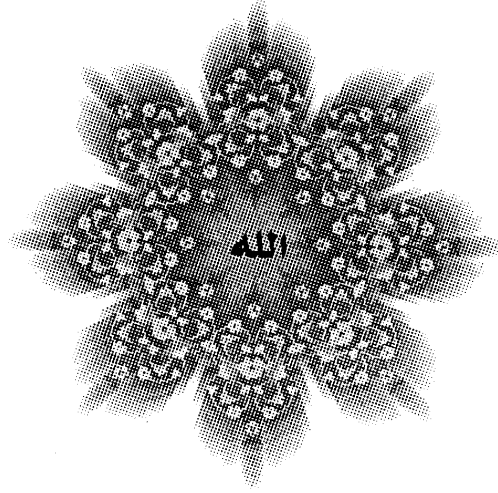
(١) سورة الزمر آية رقم ٩.

(٢) سورة القلم آية رقم ١.

(٣) سورة فاطر آية رقم ٢٨.

(٤) سورة المجادلة آية رقم ١١.

الأمم، بل إنه حدد عاماً واحداً لمحو الأمية.
والعلم في مجال الإسلام لا يقتصر على الجانب المادى فقط، لأن النظرة
الإسلامية إلى العلم، هي أوسع بكثير، وأعمق من النظرة الحديثة التي
تقتصر العلم على الجانب المادى.
فهو يشمل الحياة الدنيا بكل ما فيها من جوانب رحاب، من تعمير،
وتشييد واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وكنوز.
وهو يشمل أيضاً الحياة الأخرى وما تتطلبه من صدق وإخلاص، وعبادة
للله تعالى، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.



منهج الإسلام فى الدعوة إلى العلم

سلك القرآن الكريم فى إرشادنا إلى العلم مسلكاً علمياً وافياً يختلف كل الاختلاف عن المناهج الأخرى الجدلية والظنية التى تختلف بها العقول، وتتعارض فيها الأفهام.

ويقوم منهج الإسلام على دعامتين قويتين:

١- **أولاهما:** أن نستفيد من تجارب غيرنا سابقين لنا أم معاصرين وعبر عنها بالسمع قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١).

٢- **وثانيهما:** استعمال العقل والتجارب فى طلب الحقيقة لنهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيرنا، وعبر عنها بالعقل قال تعالى: ﴿إِنْ شَرُّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ولم يكتف القرآن بذلك بل وضع ضوابط، لعل الشاردين عن الجادة المتجهين إلى موائد الشرق والغرب يعودون إلى رشدهم ويعودون إلى كتاب الله تعالى، ينهلون من معينه ويفتخرون من هدايه. من ذلك:

١- ألا يكتم عالم ما اهتدى إليه من معارف وعلوم، فإن هذه المعارف ليست ملكاً خالصاً له، وإنما هى هداية من الله وبتوفيق منه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

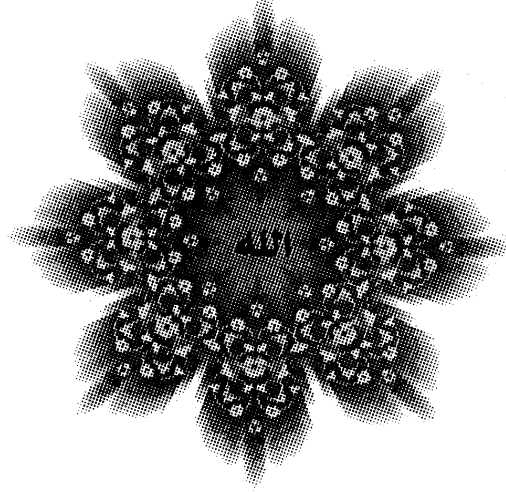
(١) سورة ق آية رقم ٣٧.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٢.

الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا
فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾

٢- أمانة العلم ينبغي أن تكون في المحل الأول من الاعتبار بحيث ينقل
العالم معلوماته واضحة دقيقة لا يس فيها ولا تحريف، ولا زيادة ولا نقصان
قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)



(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٥.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٢.

عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلاول
رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

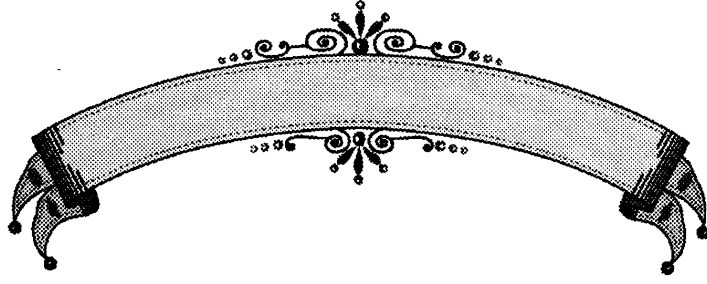
قال الله تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ .

(المنافقون: ٨)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

هذه الآية نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول زعيم المنافقين.
فقال عبد الله بن عبد الله - رضي الله عنه - يا رسول الله أنت العزيز وهو
الذليل.
ثم وقف عبد الله على باب المدينة ومنع أباه من الدخول وشهر فى وجهه
السيف حتى أذن له رسول الله ﷺ
فمن هو عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول؟..



قال عبد الله بن أبي ابن سلول: لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل، والله لئن أذنت لي في قتله لقتلته.. ٩٩
فقال ﷺ: لا يتحدث الناس ويقولون محمداً يقتل أصحابه، ولكن برأ أباك، وأحسن صحبته..»

الاستيعاب ٢: ٦٤١





حياته ونشأته:

من قبيلة الخزرج التي كان لها دور في الجاهلية وتاريخ الإسلام.
ومن الصحابة الذين تعمق الإيمان في قلوبهم فصنع منهم سادة وقادة.
ومن هؤلاء الرجال الذين ضحوا بأموالهم وأرواحهم في سبيل نصرته
الإسلام والمسلمين.

ومن المحاربين الذين خاضوا المعارك التي خاضها الإسلام رغبة في أن
يستقر في كل قلب، وتكون مبادئه، هي دستور الحياة، حتى يرث الله الأرض
ومن عليها.

ونشأ في بيت عز ومجد، وتعلم ركوب الخيل، واستعمال السيف ورمى
الرمح وإصابة الهدف وهو في أول فجر الشباب.

والده: عبد الله بن أبي ابن سلول: زعيم الخزرج في الجاهلية، وكانت له
ثروة كبيرة جمعها من عدة طرق، منها عروض التجارة، وقرضه لأصحاب
الحاجات بالربا، ودفع الجوارى إلى مزاولة البغاء طلباً للكسب.

ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(١).

وقبل هجرة الرسول ﷺ كان أهل المدينة وأصحاب المكانة فيها يجمعون
له الخرز ليصنعوا له تاجاً ليتوجوه ملكاً عليهم. فلما جاء الرسول ﷺ انفض

(١) سورة النور آية رقم ٣٣.

الناس من حوله، والتفوا حول الرسول ﷺ وتبعهم في ذلك أقرب الناس إليه وأسرته وأهل بيته ولم يجد عبد الله بن أبي من حيلة، فأظهر إسلامه، وأبطن كفره، وهو الذى أشاع حادث الإفك ومعه مجموعة من المنافقين وكان الهدف من ذلك:

١- الطعن في عرض النبى ﷺ وأبى بكر الصديق - رضى الله عنهما

٢- أن يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية.

٣- أن يشعل في داخل المجتمع الإسلامى جذوة من نار الفتنة بين الحيين الأوس والخزرج، وبذلك ينفس عن حقه وغيظه الذى يملأ قلبه من جراء الرجل الذى سلبه ما كان يطمع فيه من ملك وتتويج.

عبد الله بن عبد الله يقف في وجه أبيه ويمنعه من دخول المدينة

غزا رسول الله ﷺ بنى المصطلق فنزل على ماء من مياههم يقال له «المريسيع» فوردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أجير له من غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه- فازدحم جهجاه وسان بن وبر الجهنى حليف بن عون بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبى ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها.. قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلاليب قريش إلا كما قال الأول:

«سمن كلبك يأكلك».

أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم.. أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم.. أما والله لو أمسكتهم عنهم ما

بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب. فقال: «مر به عباد بن بشر فليقتله».

فقال رسول الله ﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا.

ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن الرسول ﷺ يرحل فيها، فارتحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيدا بن أرقم قد بلغه ما سمع، فحلف بالله: ما قلت ولا تكلمت به، وكان في قومه شريفاً عظيماً. فقال: من حضر مجلس رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، وينزل قول الله تعالى فاصلاً في هذه القضية: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۚ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لِنُرجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلاًها.

فقال له رسول الله ﷺ أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟

قال: وأى صاحب يا رسول الله؟

قال: عبد الله بن أبي.

قال: وما قال؟

قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل.

قال: فأنت يا رسول الله.. والله لتخرجنه منها إن شئت هو والله الذليل

(١) سورة المنافقون الآيات من ٧-٨.

وأنت العزيز.

ثم قال: يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكاً».

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه، فأتى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإذا كنت لا بد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخرز ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي..؟ يمشى في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ «بل نرفق به، ونحسن صحبته ما بقى معنا». وجعل بعد ذلك إذا أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه.

وقفل الناس راجعين إلى المدينة وكل منهم في حلقه غصة مما قال عبد الله بن أبي ابن سلول..؟

ثم يفاجأ المسلمون بعبد الله بن أبي يقف على باب المدينة وقد استل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له ابنه وراءك.

فقال الأب: مالك ويليك..؟

فقال الابن: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل.

فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير خلف الجيش فشكا إليه عبد الله بن أبي ما صنع ابنه.

فقال ابنه: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له.

فأذن له رسول الله ﷺ.

فقال الابن: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن.

الرسول - يكفن والد عبد الله بقميصه ويصلى عليه عند وفاته..

مات عبد الله بن أبي: عندما جاءه أجله: ولكل أجل كتاب، ولا شك أن الابن امتلأ قلبه حزناً لفراق أبيه- بالرغم من عدم رضاه عما كان يصدر منه من أعمال. وهذا ما فعله عبد الله بن عبد الله تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (١).

وانطلق عبد الله إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه- وصل عليه- واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال ﷺ: إذا فرغتم من تجهيزه فأذنوني.

فلما أراد أن يصلى عليه- جذبه عمر. وقال يا رسول الله أليس قد نهى الله أن تصلى على المنافقين..؟

فقال رسول الله ﷺ: «أنا بين خيرتين:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٢)

فصلى عليه:

ورضى الابن بذلك وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

قال ﷺ: لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها.

(١) سورة لقمان آية رقم ١٥.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٠.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

استشهاد عبد الله في معركة اليمامة

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ونجم النفاق وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، وعظم الخطب، واشتدت الحال.

وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (١).

قالوا: فلسنا ندفع زكاتها إلا إلى من صلاته سكن لنا. عندها عقد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أحد عشر لواءً وسير كل لواء إلى جهة عينها له وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي في الجيش الذاهب إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة - ودارت المعركة وحمى الوطيس وتساقط القتلى من الجانبين ويقال إن عدد القتلى من الجانبين يزيد عن عشرة آلاف قتيل، وقتل من المسلمين ستمائة قتيل وفيهم من سادات الصحابة ثابت بن قيس، وزيد بن الخطاب وعبد الله بن عبد الله بن أبي، وأبو دجانة سماك بن خرشة ومنهم الطفيل ابن عمرو وغيرهم.

رحم الله شهداء اليمامة وأسكنهم فسيح جناته إنه الغفور الودود مجيب الدعوات ومفرج الكربات.

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.



الإيمان وأثره في تقدم الشعوب عبد الله بن عبد الله بن أبي ومدرسة الإيمان

قامت هذه المدرسة على أسس الإيمان وإشارتها إليه: نعم الإيمان الجياش الصادق، الإيمان الذي حرر الوجدان من عبادة أحد غير الله والخضوع لأحد غير الله.
خرجت امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ.

فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟
قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين.
قالت: أرونيهِ حتى أنظر إليه، فلما رآته قالت:
«كل مصيبة بعدك جلل».

إنها تولول، ولم تفقد صوابها، ولم تدع بدعوى الجاهلية «لم تفعل ذلك لأنها آمنت إيماناً لا تزعه الجبال أن قتلاها في الجنة عند ملك مقتدر، ووعت قول ربها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرزَقون﴾^(١).

إن قتلاها أدوا ما كلفوا به، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه أما الرسول- فخسارة المسلمين فيه عظيمة، فلا بد من بقائه حتى يبلغ رسالة ربه ويتم نور الله.

ومن هنا كانت كلمتها الصادقة: كل مصيبة بعدك جلل. أي قليل.

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩.

وقدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته حبيبة- زوج الرسول ﷺ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه..
فقال: يا بنية، والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به
عني..؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس..
هكذا فعلت الفتاة العربية مع أبيها، وجابته بحقيقته. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١)

وما دام الإيمان لم يخامر قلبه، وكلمة التوحيد لم يجريها على لسانه
فهو نجس حتى يتطهر.

وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يمس هذا الفراش فضلاً عن أن يجلس
عليه، حتى ولو كان هو الوالد الذي له حق التربية والتوجيه.

قال عروة بن مسعود الثقفي لأصحابه: بعدما رجع من الحديبية التي
يعسكر فيها جيش الإسلام بقيادة رسول الله -ﷺ:

«أى قوم والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى وقيصر، والنجاشي
والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله
إن تتخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا
أمرهم ابتدروا أمره.

وإذا توضأ كانوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده،
وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

ليس الحب فقط، وليس التعظيم والاحترام لرسول الله -ﷺ- رسول
الله الذي أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن عبادة الأوثان إلى
عبادة الواحد الديان.

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٢.

رفعوا الصحابي الجليل خبيبا بن الأرت على خشبة ليقتلوه أو يصلبوه ثم نادوا عليه: أتحب أن يكون محمد مكانك؟
قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فتعجبوا منه وقتلوه.

وترس أبو دجانة يوم أحد على رسول الله ﷺ ويقع النبل في ظهره وهو متحن عليه. وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ألا ترى ما يقول أبوك...؟»

قال: ما يقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله..؟

قال: يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..؟

فقال: لقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل..؟

أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني، ولكن إن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به.
فقال رسول الله - ﷺ - لا. بر أباك وأحسن صحبته.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال:

أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..؟

أما والله لتعرفن أن العزة لله ولرسول الله - ﷺ - والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله..

فقال: يا للخزرج، ابني يمنعي بيتي..؟

يا للخزرج ابني يمنعي بيتي..؟

فقال: والله لا يأويه أبداً إلا بإذن منه.

فتجتمع إليه رجال فكلموه.

فقال والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله.

فاتوا النبي - ﷺ - فأخبروه.

قال: اذهبوا إليه فقولوا له خله ومسكنه، فأتوه. فقال أما إذا جاء أمر النبي - ﷺ - فنعم وعندما عرف شباب الإسلام هذا الطريق، طريق الإيمان والحب حملوا المصحف للهداية.

وحملوا السيف لإزالة الباطل.

ثم ماذا؟ انداحوا في أربعة أركان الأرض، ينشرون الأمن بعد الخوف، والنور بعد الظلام، والهدى بعد الضلال، فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال، وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.

إن الإيمان وحده هو الذى فعل فيهم هذا، نقلهم من رعاة إبل جفاة غلاظ يشعلون الحرب لأوهى الأسباب إلى هداة ودعاة هداة إلى الحق، ودعاة إلى الله الواحد الأحد.

فالإيمان هو الذى أزال الصدأ عن الجوهر المكنون فى النفس العربية وجعل من سكان البادية أساتذة العالم، يختطون من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعى ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه.

هؤلاء العمالقة الذين تشربوا روح الإيمان، أفرغت فيهم الحياة أفضل ما تملك من قوى حسية ومعنوية.

خرجوا إلى الدنيا والظلام شامل، والجهل حاكم والعقائد زيف وأباطيل فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان.

الإنسان: بغض النظر عن معتقده وجنسه ولونه. وسرى في الكون كله قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

(١) سورة النحل آية رقم ٩٠.

سعيد بن العاص بن أمية

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

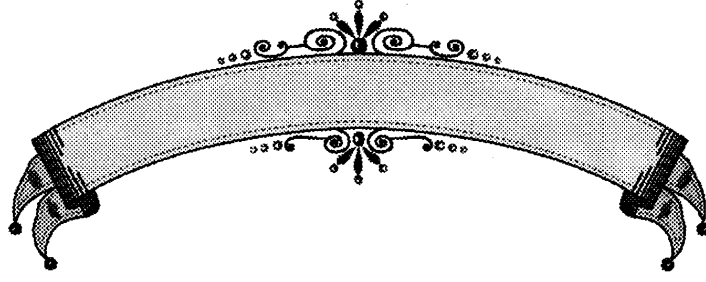
قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّْا وَلَا أَذَى لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(البقرة: ٢٦٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال العلماء والمفسرون نزلت هذه الآية في سعيد بن العاص - رضي الله عنه -،
وعثمان بن عفان - رضي الله عنه - وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه .
راجع تفسير القرطبي ٢ : ٣٠٥ وما بعدها .
وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٨٩ .
فمن هو سعيد بن العاص ؟..



جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بُرْد وقالت: يا رسول الله إني نذرت أن
أعطي هذا الثوب أكرم العرب، فقال ﷺ: أعطه هذا الغلام- يعني سعيد بن
العاص فلذلك سميت الثياب السعيدية به، وأنشد الفرزدق قوله:

تري الفر الجحاجع من قريش
إذا ما الخطب في الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيد
كانهم يرون به هلالا





حياته ونشأته

كان أكرم العرب بشهادة الرسول ﷺ وأميرا من الأفضاذ الذين تولوا أكثر من ولاية. ومن هؤلاء الرجال القانتين العابدين الذين تولوا جمع القرآن الكريم ويعلمونه للناس. وحكيم يعرف جيداً مداخل الأمور ومخارجها. وعابد قانت، كان يصوم النهار ويقوم الليل، ولم يتخلف قط عن صلاة الجماعة في المسجد الجامع. والده: العاص بن أمية كان من صناديد قريش ومن أشرافها، وممن وقفوا أمام دعوة الإسلام وقدم المال والسلاح لحرب أتباعها والوقوف أمام نشرها. ثم قتل في غزوة بدر كافراً. وزوجته أم البنين بنت الحكم بن العاص نفاه الرسول ﷺ للطائف وبقي فيها إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه فرده إلى المدينة. وأخوها مروان بن الحكم كان يقال له: خيط باطل، وضرب يوم الدار على قفاه، فجرى لقبه، فلما بويع له بالإمارة قال فيه أخوه عبدالرحمن بن الحكم:

هو الله ما أدري وإنى لسائل

حليمة مضروب القفا كيف يصنع

لحا الله: ما أمروا حبيط باطل^(١)

على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

نشأ سعيد: فى بيت عثمان بن عفان رضي الله عنه صهر الرسول ﷺ تزوج رقية وولدت له غلاماً سماه عبد الله، وماتت رقية فزوجه الرسول ﷺ أم كلثوم فماتت عنده أيضاً فقال ﷺ: لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان.

يقول الرسول ﷺ: «أصدق الناس حياء عثمان» فى هذا البيت الذى يعقب فيه أريج النبوة، ويملؤه الإيمان والحياء- نشأ سعيد بن العاص، فتعلم القرآن ووعى سنة الرسول فكان فقيهاً فى دينه، عالماً بشريعة ربه، خطيباً فصيح اللسان، قوى الحجة تخرج كلماته صادقة قوية فتستقر فى قلوب سامعيه.

استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والياً على العراق عمر الذى كان إذا أراد والياً دقق وفحص، واختبر وجرب، وكان يرهق الناس معه فى البحث عن الولاة، من ذلك أن عمر قال لأصحابه دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى...؟

قالوا: يا أمير المؤمنين فلان.

قال: لا حاجة لنا فيه.

قالوا: فمن تريد...؟

قال: أريد رجلاً إذا كان فى القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

ولعل سعيد- كانت تتمثل فيه هذه الصفات، وإلا لمزله عن الولاية قبل

(١) يقال: حبيط عمله: أى بطل والحبيط: انتفاخ فى البطن أو ورم من أثر الجروح، أو فساد عمل.

وفاته رضي الله عنه.

ثم لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين جعله فيمن يكتب المصاحف، وكان سعيد أشبه الناس لحية برسول الله ﷺ.

ثم ولاه عثمان رضي الله عنه ولاية الجيش لمحاربة طبرستان وكان في الجيش الحسن والحسين، والعبادة الأربعة، وحذيفة بن اليمان، ومعهم جماعة من صحابة رسول الله ﷺ فسار بهم سعيد فمر على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى جرجان فقاتلوه حتى احتاج جيشه أن يقيم صلاة الخوف.

وسأل سعيد حذيفة بن اليمان كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره فصلى الجيش كما أخبرهم حذيفة.

ولما طال أمد حصار المسلمين لحصن جرجان طلب أهلها الأمان فأعطاهم سعيد الأمان على ذلك على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، على أن يدفعوا له الجزية التي أمر بها الإسلام.

وأخذوا منهم أموالاً طائلة.

ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص وامتنعوا عن دفع الجزية وهي ثلاثمائة ألف دينار، فما كان من سعيد إلا أن وجه لهم جيشاً بقيادة يزيد بن المهلب، فدمر حصونهم، وغنم أموالهم، وأجبرهم على الاستمرار في دفع الجزية طبقاً للشروط السابقة.

سعيد بن العاص والياً على الكوفة

وصل إلى مسامع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن الوليد بن عقبة والى الكوفة صلى بأهلها الصبح أربعاً ثم التفت إلى المصلين وقال أزيدكم ٩٠٠ فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مازلنا معك في زيادة منذ اليوم ٩٠٠ ويصور الشاعر العربي هذه الحادثة على لسان الحطيثة قائلاً:

شهد الحطيثة يوم يلقى ربه
أن الوليد أحق بالفسد
نادى وقد تمت صلاتهمو
أزيدكم سكرأ وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا
لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذا جريت ولو
تركوا عنانك لم تزل تجرى^(١)

لقد أصيب المسلمون بشرخ كبير هز وجدانهم وكيانهم، وكان بداية ذلك عندما أخذ يثب على ولايات المسلمين من له قرابة أو مصاهرة، أو صاحب حظوة لدى الحاكم.

لقد رفض محمد ﷺ أن يولى عمه العباس، ولاية من الولايات ورفض أن يوليه على الصدقات، وعندما ألح عليه في ذلك قال له: «يا عباس أنت عمي ولا أغنى عنك من أمر الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية».

(١) راجع ترجمة وافية للوليد بن عقبة في كتابنا (رجال أنزل الله فيهم قرآناً).

واقتردى بهدى الرسول ﷺ وسار على نهجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يسجل التاريخ عنه حادثة واحدة أنه ضعف أمام أحد أقاربه، وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما بال خليفة رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يولى أخاه على الكوفة ويعزل الرجل الذي كان يقول عنه الرسول ﷺ هذا خالي فليرنى امرؤ خاله؟..

ويعزل: عمرو بن العاص عن ولاية مصر، ويولى أخاه عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي أمر الرسول ﷺ بقتله حتى لو وجد متعلقاً بأستار الكعبة؟.. وانتشرت حادثة الأمير وأصبحت حديث السمار في مجالس الكوفة عندها أصدر الخليفة عثمان بعزله عن ولاية الكوفة، وتوليها لسعيد بن العاص رضي الله عنه .

وأمر عثمان باستقدام الوليد إلى المدينة، وأقيم عليه في الميدان العام حد الشرب أربعين جلدة.

وسار سعيد بن العاص في ولايته سيرة حسنة، وأقام بين أهلها ميزان العدالة، وجيش منهم الجيوش لحرب المعاندين المناوشين للإسلام من أهل الروم والترك.

وكان أول عمل يصدر من سعيد بن العاص بعد توليه ولاية الكوفة أن أمر سلمان بن ربيعة على جيش لغزو البلاد المجاورة، وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة^(١) نائب تلك الناحية بمساعدته، فسار سلمان بجيشه حتى بلغ (بلنجر) فحاصروها ونصبت عليها المجانيق والعرادات.

وعندما علم أهل (بلنجر) بذلك خرجوا إليهم في جيش كبير وعاونهم الترك بالرجال والعتاد واشتبك الجيشان في معركة طاحنة، وقتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة- وكان يقال له ذو النور- وانهزم المسلمون وتفرقوا وكان في

(١) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي، والى من الصحابة، كان يلقب ذا النور ولاء عمر بن الخطاب قضاء الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليه بقسمة الفنائم.

هذا الجيش الصحابي الجليلان أبو هريرة، وسلمان الفارسي ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة، استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان رضي الله عنه بجند الشام يقودهم الصحابي الجليل حبيب بن مسلمة، وفيها فتح ابن عامر (مرو) و (الطلقان) و (القاريات) و (الجوزجان) و (طخارستان) وقد خرجت منهم خارجة فأرسل إليهم أبو عامر: الأحنف بن قيس فحاصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى هزمهم، وفروا إلى حصونهم، ثم صالحوه على مال جزيل، وعلى أن يضرب على أراضى الرعية الخراج، فصالحهم الأحنف على ذلك، وكتب لهم كتاب صلح ثم بعث الأحنف الأقرع ابن حابس إلى (الجوزجان) ففتحها بعد قتال وقع بينهم، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ثم نصرُوا نصرًا مؤزرًا.

ثم صار الأحنف إلى (بلخ)^(١) فحاصره حتى صالحوه على أربعمائة ألف، ثم ارتحل يريد الجهاد، وداهم الشتاء فقال لأصحابه ما تشاءون؟ فقالوا: قد قال عمرو بن معديكرب:

إذا لم تسطع شيئاً فدمه

وجاوزه إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ثم عاد إلى ابن عامر فقبل لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك.
فقال: لا جرم، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أحرم بعمره من موقفى هذا مشمرًا فأحرم بعمره من نيسابور.

لقد فتحت الدنيا أمام المسلمين، ورزقهم الله الرزق الكثير الوفير الذى «لا يحصى ولا يعد، وصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

(١) بلخ من أجل مدن خراسان وأكثرها خيرًا بناها الإسكندر وكانت تسمى الإسكندرية قديمًا وهى قريبة من ترمذ.

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾.

لقد أدى سعيد بن العاص واجبه نحو ربه ونحو دينه وافتتح الكثير من البلدان، وجمع منها الأموال الكثيرة، التي ساعدت المسلمين للضرب في فجاج الأرض ونشر دين الله.

ولكن أهل الكوفة لم يوافق هواهم سعيد بن العاص، كما رفضوا الكثير من الولاة قبله، وفي ذلك قال شاعرهم:

فررت من الوليد إلى سعيد

كأهل الحجر إذا جزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام

أمير محدث أو مستشار

لنا نار تخوفنا فنخشى

وليس لهم ولا يخشون نار

وتم عزل سعيد بن العاص من ولاية الكوفة- ثم ماذا؟ قتل عثمان رضي الله عنه قتلتها الأيدي الآثمة ودخل المسلمون بعدها في فتنة طاحنة الفتنة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢).

(١) سورة الطلاق آية رقم ٢-٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩١.

اعتزال سعيد وبعده عن شئون الحكم

قتل عثمان رضي الله عنه فاعتزل سعيد في بيته، وقد كان كما يصفه الرواة حسن السيرة، جيد السريرة، وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف، والبر الكثير، وكان يصبر النقود في الصرر ويضعها بين أيدي المصلين من ذوى الحاجات في المسجد وعن خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببرد فقالت: إني نذرت أن أعطى هذا الثوب أكرم العرب» فقال ﷺ: اعطه هذا الغلام- يعنى سعيد بن العاص- وهو واقف وأنشد الفرزدق في ذلك قوله:

ترى الفر الجعاجح من قريش

إذا ما الخطب في الحدثان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد

كأنهم يرون به هلالا

ولما استقرت الأمور لمعاوية رضي الله عنه أمره على ولاية المدينة فصار فيها سيرة حسنة، وكان محبوباً من أهلها، قريباً إلى قلوبهم لأنه كان دائماً يتعرف على شئونهم، ويسرع في قضاء مصالحهم، وينصف مظلومهم من ظالمهم. قال عبد الملك بن عمير بن قبيصة: بعثني زياد في شغل إلى معاوية، فلما فرغت من أموري قلت:

«يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك..؟»

فسكت ساعة ثم قال:

«يكون الأمر بين جماعة: إما كريم قريش سعيد بن العاص.

وإما فتى قريش حياء ودهاء وسخاء: عبد الله بن عامر.

وإما رجل سيد كريم كالحسن بن علي بن أبي طالب.
وإما القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله:
مروان بن الحكم.

وإما رجل فقيه فيه عقل ورزانة: عبد الله بن عمر بن الخطاب.
وإما رجل فقه الشريعة مع دواهي السباع وزوغان الثعلب: عبد الله بن
الزبير.

لقد حصر معاوية الخلافة من بعده في سبعة أشخاص.
فالأول: كريم شجاع له دراية ودربة بشئون السياسة، وقواعد الحكم
حيث كان والياً على الكوفة مرة وعلى المدينة مرات.

والثاني: له خبرة ودراية بالولايات فقد كان والياً على البصرة ووالياً على
فارس، وكان سخيّاً كريماً، حليماً ميمون النقيية، كثير المناقب، وكان قائداً
شجاعاً افتتح أطراف فارس كلها وعامة خراسان وأصبهان وحلوان وكرمان،
يقول عنه زياد الأعجم^(١):

أخ لك لا تراه الدهر إلا
على العلات بساماً جواداً
سألتناه الجزيل فما تلكا
وأعطى فوق منيتنا وزاداً
مراراً ما رجعت إليه إلا
تبسم ضاحكاً وثى الوسادا

الرابع: كان رجلاً حازماً قوياً صلباً في دينه، تولى أكثر من ولاية.

(١) هو زياد بن سليمان الأعجم أبو أمانة المديني، كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم ولد ونشأ في
أصفهان وانتقل إلى خراسان فسكنها ومات فيها.

والخامس: الفقيه القانت الحكيم العاقل الذى رفض أبوه أن يوليه ولاية، وقال يكفى آل الخطاب ما نالهم من الخلافة.

والسادس: صاحب سياسة ودهاء، وعقل وفكر، وقد تقلد الخلافة ولم يدم بها كثيراً حتى قتل شرقتلة فى بيت الله الحرام.

والسابع: بوع بالخلافة ولكنه كان فيها زاهداً وتنازل عنها لمعاوية.

روى ابن كثير فى البداية والنهاية أن سعيد بن العاص استسقى يوماً فى بعض طرق المدينة فأخرج له رجل من داره ماء فشرب، ثم بعد حين مر من هذا المكان فوجد الرجل يعرض داره للبيع، فسأله: لماذا يبيع داره؟

فقال على دين مقداره أربعة آلاف دينار.

فبعث إلى غريمه فقال: هى لك على، ثم قال لصاحب الدار: استمتع بدارك. إنها أريحية الإسلام، إنه التعاون على الخير، إنه التعاون على البر كما أمرهم الله تعالى بقوله:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١).

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة فقالت له امرأته: إن أميرنا هذا يوصف بكرم، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشئ...؟

فقال: ويحك لا تخلقى وجهى.

فألحت عليه فى ذلك، فجاء فجلس إليه، لما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً فى مكانه.

فقال له سعيد: أظن جلوسك لحاجة...؟

فسكت الرجل.

فقال سعيد لفلمانه: انصرفوا، ثم قال له سعيد: لم يبق غيرى وغيرك.

(١) سورة المائدة آية رقم ٢.

فسكت ، فأطفأ سعيد المصباح، ثم قال:

«رحمك الله لست ترى وجهي فاذا ذكر حاجتك».

فقال: أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك.

فقال له: إذا أصبحت فقابل وكيلي فلاناً، فلما أصبح الرجل، فقال له

الوكيل: إن الأمير قد أمر لك بشيء كثير فأت بمن يحمله معك.

فقال: ما عندي من يحمله، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال:

حملتيني على بذل وجهي للأمير، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله.

وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام، ولو كان مالا لما احتاج إلى من

يحملة، ولأعطانيه.

فقالت له المرأة: فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذ.

فرجع الرجل إلى الوكيل.

فقال له الوكيل: إنني أخبرتك الأمير أنه ليس لك أحد يحمله، وقد أرسل

بهؤلاء الثلاثة الأرقاء يحملونه معك...؟

فذهب الرجل، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة

آلاف درهم.

فقال الرجل لهؤلاء الأرقاء: ضعوا ما معكم وانصرفوا.

فقالوا: إن الأمير قد أطلقنا لك، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد

إلا كان الخادم الذي يحملها من جملة العطاء.

قال: فحسن حال الرجل.

إن سعيد بن العاص يعلم علم اليقين، أن هذا المال الذي هو في حوزته:

هو مال الله.

الذي يقول في محكم كتابه:

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (١).

فالمال عارية مردودة، إلى خلق الله تعالى، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى يضاعف لصاحبه أضعافاً مضاعفة، يقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

وقوله أيضاً:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣).

وروى أن سعيد خطب أم كلثوم بنت علي من فاطمة التي كانت تحت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فأجابت إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها ذلك، وفي رواية إنما كره ذلك الحسين وأجاب، فهيأت دارها ونصبت سريراً وتواعدوا للكتاب، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجه منه فبعث إليها بمائة ألف وفي رواية بمأتى ألف مهراً، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه.

ولكنه ترك التزويج جملة وترك جميع ذلك المال هدية لها.

وروى ابن عساكر: أن أعرابي سأل سعيد بن العاص، فأمر له بخمسمائة.

فقال الأعرابي: خمسمائة درهم أو دينار ٩٠٠.

فقال سعيد: إنما أمرت لك بخمسمائة درهم، وقد جاش في نفسك أنه دنانير، فادفع إليه خمسمائة دينار.

فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي.

فقال له سعيد مالك ٩٠٠ ألم تقبض نوالك ٩٠٠.

قال: بلى والله ٩٩٠ ولكن أبكى على الأرض كيف تأكل مثلك.

(١) سورة الحديد آية رقم ٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٦١.

وقال عبد الحميد بن جعفر:

«جاء رجل في حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة، فقليل له: عليك بالحسن بن علي بن أبي طالب».

أو عبد الله بن جعفر^(١).

أو سعيد بن العاص بن أمية.

أو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

فانطلق الرجل إلى المسجد فإذا سعيد بن العاص داخل إليه فقال:

من هذا؟

فقليل: سعيد بن العاص، فقصده فذكر له ما أقدمه، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابي:

اثت بمن يحمل معك؟

فقال: رحمك الله إنما سألتك مالاً لا تماًراً.

فقال: أعرف ذلك أثت بمن يحمل معك؟

فأعطاه أربعين ألفاً فأخذها الأعرابي وانصرف ولم يسأل غيره.

ودخلت على سعيد امرأة من العابدات- وهو أمير الكوفة- فأكرمها وأحسن إليها فقالت:

لا جعل الله لك إلى لثيم حاجة، ولا زالت المنّة لك في أعناق الكرام.

وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه.

إنها دعوات صادقة خرجت من قلب مؤمن كان في كربة ففرجه الله عليها عن طريق سعيد بن العاص، جعلها الله في حسناته يوم القيامة.

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها، وهو أول من ولد فيها من المسلمين، وأتى الأمراء في جيش على يوم صفين، ومات بالمدينة عام ٨٠هـ رحمه الله.

راجع الإصابة: ٤٥٨٢.. وفوات الوفيات ١: ٢٠٩.

حكم ووصايا سعيد بن العاص..

يقول الله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١).

أوتى القصد والاعتدال فلا يميل يمنة أو يسرة، أوتى الحكمة فلا يتعدى الحدود، أوتى الحكمة فهو يدرك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور وأوتى البصيرة المستتيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده.

كما قال الرسول ﷺ «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ومن أوتى الحكمة: يتذكر فلا ينسى، وينتبه فلا يغفل، ويعتبر فلا يدخل الضلال والهوى.

ولقد كان الصحابي الجليل سعيد بن العاص، كذلك ملئ فقهاً وعلماً، وسخاء وجوداً.

يقول لابنه: يا بني قدم لله المعروف ابتداء من غير مسألة، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه، أو جاءك مخاطراً لا يدرى أعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته.

ويقول سعيد رضي الله عنه: لجلسي على ثلاث:

١- إذا دنا رحبت به.

٢- وإذا جلس أوسعت له.

٣- وإذا حدث أقبلت عليه.

ويوصي ابنه قائلاً: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيا فتتهون عليه- وفي رواية- فيجتري عليك.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

لقد كان سعيد رضي الله عنه يعمر دنياه لآخرته تنفيذاً لقوله تعالى:
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (١).

فكان- والحق يقال- كثير الإحسان، كثير العطاء، كريم الإخلاص عميق
الوفاء صاحب خلق ودين.

وفاة سعيد بن العاص..

لما حضرت سعيد الوفاة جمع بنيه وقال لهم: لا يفقدن أصحابي غير
وجهي وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجروا عليهم ما كنت أجرى عليهم،
واكفوهم مؤنة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه،
وارتعدت فرائضه مخافة أن يُردَّ.

ثم ماذا؟ غاب عن الوعي، ولكن لازالت الحياة تجري في جميع
جسده، ولما عاد له الوعي، أوصى بسداد جميع ديونه مما تركه من عقار
ومال، ثم نطق بالشهادة وفاضت روحه إلى بارئها.
رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين.

(١) سورة القصص آية رقم ٧٧.



قضية التوحيد والقرب من الله تعالى

أين الله...؟

هل الله غائب حتى نفتش عنه..؟

وهل هو بعيد عنا حتى نقطع الأميال سعياً إليه..؟

إن الله معنا دائماً نحسه فى داخل شعورنا يحفظنا ويرعانا.

ونحسه فى داخل كيانتنا قوة تدفعنا إلى العمل.

ونلمسه فى كل خلجة قلب إيماناً يملأ الصدور.

ونلمسه فى كل همسة نفس نوراً يبدد ظلام الشك، ويمتد هذا النور

حتى يحيط الكون كله ويشمل العالم بأسره. قال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

أما أننا نريد أن نعرف كنه ذاته وحقيقة صفاته..؟

إن كان ذلك كذلك فالرسول - ﷺ - يقول:

«تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا».

هذا أولاً.

أما ثانياً: فإن عقولنا المحدودة محال أن تحيط به..؟

لكنها يمكن أن تشير إلى آياته وإبداعه فى الكون والحياة..

(١) سورة النور آية رقم ٢٥.

والحكمة المصرية القديمة تقول:

«محال على من يغنى أن يكشف النقاب الذى تتقب به من لا يغنى».

ولكن الحكمة المصرية لم تحل مشكلة... لماذا؟

لأن للإنسان طلعة والنفوس البشرية توافقة إلى معرفة المجهول.

وقد سئل أحد العارفين: كيف عرفت الله..؟

قال: عرفت الله بالله...

فقليل له: فما بال العقل...؟

قال: العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله.

وليس هذا يقدر فى العقل ومداركه...؟

بل العقل ميزان صحيح.

وأحكامه يقينية- فى كثير من الأحوال. لا غبار عليها.

غير أنك لا تطمع أن تعرف به كنه الله وحقيقة ذاته، فإن ذلك طمع فى محال.

ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع فى أن يزن به الجبال...؟

وهذا لا يدل على أن الميزان فى أحكامه غير صادق. ولكن العقل قد يقف عند حد محدود ولا يتعدى طوره.

ونتساءل: هل إجابة «العارف» تستطيع أن تحل المشكلة...؟

وتبدد الشكوك عند هؤلاء الناس...؟

وهم لا يؤمنون إلا بالحس.

ولا يعترفون إلا بما يقع عليه نظرهم أو تلمسه أناملهم...؟

وهل نلتمس العذر لهؤلاء الناس لأنهم يعيشون في القرن الواحد والعشرين لقد ولدت في القرن الماضي : الماركسية وقد رفضت الأديان جملة.

- وقالتها الله إن كان لها بقية باقية- لم تعترف بوجود الإله ٩٩
وتمخض القرن الماضي- عن الوجودية- وأصحابها يعتبرون الدين خرافة لأنه كان عصر «الهيبيز» عصر الفوضوية والإلحاد.
فما بالك بالقرن الحادي والعشرين ٩٠٠
ونقول: إن هذه المذاهب ليست جديدة على البشرية.
فهي قديمة موغلة في القدم.
إنها مذهب اللذة عند «الأبيقورية» في دولة اليونان.
ومذهب «المانوية» و «المزدكية» في دولة الفرس.
ومذهب «الخرمية» و «الباطنية» و «القرمطية» في دولة العرب ٩٠٠
وفي القرن الثالث الهجري- القرن الذي فشت فيه المذاهب الهدامة من «مانوية» و «مزدكية» و «باطنية».

سأل تلميذ أستاذه نفس السؤال:

أين الله ٩٠٠

ثم تابع كلامه قائلاً: إنني لا أجده أحقيق أنه موجود ٩٠٠
وأجابه أستاذه إجابة قبلها عقله، واطمأنت بها نفسه، وهتف من أعماق أعماقه آمنت أنه لا إله إلا الله.
لقد أحضر أستاذه كمية من اللبن.

ثم سأل تلميذه.

أترى أن هذا «اللبن» يشتمل على شيء من الزيد ٩٠٠

وأجاب التلميذ: نعم.

وسأله الأستاذ مرة أخرى أستطيع أن ترى الزيد...؟

وأجاب التلميذ بالنفي.

وكرر الأستاذ أستطيع أن تحدد مكان الزيد...؟

قال التلميذ: لا.

وهنا قال الأستاذ: إنك لا تنكر الزيد. ومع ذلك لا تستطيع أن تراه ولا

أن تحدد مكانه...؟

لماذا: لأن نظرك قاصر لا يستطيع أن ينفذ إلى داخل شيء بسيط كاللبن

لأن الحجب تحول بينك وبين ذلك.

فكيف تستطيع بأدواتك القاصرة، ونظرك المحدود أن ترى من لا تدركه

الأبصار ولا تستطيع أن تحيط به الأكوان...؟

وصدق ربي في قوله:

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

إن البصر لا يرى إلا المحسوسات.

والبصيرة (النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب عبده) ترى المعنويات.

البصر: لا يرى إلا الكثيف.

والبصيرة: ترى اللطيف.

البصر: لا يرى إلا الحادث.

والبصيرة: ترى القديم.

البصر: لا يرى إلا الأكوان.

والبصيرة: ترى المكون.

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٠٢.

وهنا ناجى الأستاذ ربه - عندما رجع تلميذه إلى طريق الحق بقوله:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحبة
وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وصرت بلا وجد أهيم من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى
شهدتك موجوداً بكل مكان
فخطبت موجوداً بغير تكلم
وشاهدت موجوداً بكل مكان

وصدق ربه فى قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

ولقد حلت المشكلة بالنسبة إلى التلميذ «الطلعة» فى القرن الثالث الهجرى. فهل نستطيع فى القرن الحادى والعشرين أن نزيل ضباب الشك وأوهام الضلال...؟ (٢).

(١) سورة المجادلة آية رقم ٧.

(٢) راجع كتابنا مع الإلحاد وجهاً لوجه.

عمیر بن وہب بن خاف

رضی اللہ عنہ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

(النور: ٥٥)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

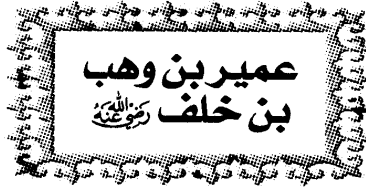
قال صاحب كتاب أسباب التنزيل الإمام الواحدى.
نزلت في كل من آمن من كفار قريش ومنهم عمير بن وهب بن خلف.
ورواه الحاكم «أبو عبد الله» في المستدرک عن محمد بن صالح. عن
الدارمى بسنده.
فمن هو عمير بن وهب بن خلف..؟



قال عمير بن وهب يوم بدر لقريش:
يا معشر القوم: لقد رأيت المنايا تحمل البلايا.
ثم سكت قليلاً وقال:
نواضح يثرب تحمل الموت الناقع...
قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم... أما ترونهم خرساً لا يتكلمون
يتلمظون تلمظ الأفاعي...
والله ما أرى أن نقتل منهم رجلاً حتى يقتل منا رجل
فإذا أصابوا منكم عددهم، فما خير في العيش بعد ذلك...
فروا رأيكم...

عمير بن وهب





حياته ونشأته

فارس من فرسان مدرسة النبوة.
ومن قبل: كان فارساً من فرسان قريش المغاوير.
وبطلاً من أبطالها الصناديد.
ولم لا يكون كذلك وهو من قبيلة جُمَح..
إحدى القبائل العملاقة في الجاهلية والإسلام.
يصمت التاريخ فلا يتناول طفولته من قريب أو بعيد.
ولكن التاريخ يستدرك فيتابع خطوات عمير بن وهب الفتى اليافع الذي
يمتلاً شباباً وقوة.
ثم يصغى لأحاديثه المتتابة في دار الندوة، والتي كان ينبهر بها الشباب،
ويستحسنها الشيوخ...
ليس هذا فحسب.
ولكن كانت ذاكرة التاريخ تلتقط حركاته، ومفاجآته وسبحاته.
وحركاته: وهو يجندل الطيور في أكنانها.
ومفاجآته: وهو يسابق الغزلان في قفزاتها.
وسبحاته: وهو يغوص خلف الأسماك فتفر مذعورة مع أسرابها.

ثم يعود عمير في المساء.
وهو يحمل بغيره بما ينوء بحمله من طيور برية، وأسماك بحرية.
تلك كانت حياة عمير مليئة بالسعى الدؤوب.
وتغمرها السعادة والرضا.
وكان عمير يسمع عن فتى بنى عبد المطلب- محمد بن عبد الله.
الذى سفه الأحلام.
وسخر من الأصنام والأوثان.
ودعى إلى عبادة الواحد الأحد.
عندها ركبت قريش رأسها وأكدت العزم على حرب محمد وأتباعه.
وأخذت تدعو شبابها وشيوخها للانضمام إلى الجيش الذى يستأصل
أتباع الدين الجديد.
وكان من هؤلاء الذين انضموا إلى جيش قريش عمير بن وهب.

عمير بن وهب فى غزوة بدر

خرجت قريش بعدتها وعتادها وأحباشها ورجالها- للقضاء على الفئة المؤمنة.
وساروا فإذا المسلمون قد سبقوهم إلى ذلك المكان.
فسقط فى أيديهم.
وأخذوا فى إرسال العيون والجواسيس تحيط بجيش المسلمين.
حتى يعجموا عودهم.
ويتعرفوا على عددهم وقوتهم.
وكان أحد هؤلاء العيون عمير بن وهب..

وعندما عاد من جولته قال لقيادة جيش قريش:
«لقد صوبت في الوادي وصعدت، فلم أجد لهم مدداً ولا كميناً.
قالوا: ما عدد القوم؟
قال: ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلاً، ومعهم سبعون بعيراً وفرساناً.
فتصايح القوم وقالوا:
«ستحصدهم سيوفنا حصداً.
وستروى الأرض من دمائهم. غدا.
عندها قال عمير:
«يا معشر القوم: لقد رأيت المنايا تحمل البلياء.
ثم سكت قليلاً وقال:
«نواضح يثرب تحمل الموت النافع.
قوم ليست لهم منعة، ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرساً لا
يتكلمون؟ يتلمظون تلمظ الأفاعي.
والله ما أرى نقتل منهم رجلاً حتى يقتل منا رجل.
فإن أصابوا منكم عددهم، فما خير في العيش بعد ذلك؟
فروا رأيكم.
فتكلم حكيم بن حزام... فقال خيراً ودعى للعودة إلى مكة..
وأتى شيبه وعتبة، وكانا ذوى تقية في قومهما:
فأشاروا على الناس بالانصراف.
وقال عتبة: لا تردوا نصيحتي ولا تسفها رأيي.
فحسده أبو جهل حين سمع كلامه- فأفسد الرأي، ودعا إلى الحرب.

ثم نشب القتال.

وأبلى المسلمون بلاء حسناً.

ودارت الدائرة على قريش.

ونصر الله المؤمنين نصراً مؤزراً.

ونزل قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرْ وَأَنْتُمْ أَدْلَىٰ أَدْلَىٰ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ بِكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ
إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)﴾.

وعاد عمير بن وهب إلى مكة.

عاد مع قافلة المنهزمين يجتر أحزانه وآلامه.

لأن المسلمين أسروا ابنه وفلذة كبده «وهب بن عمير» ٩٩٠

وأخذ يتذكر كلمات عتبة بن ربيعة، وهو يطالب الناس بالرجوع إلى مكة
وعدم القتال.

وكان مما قال عتبة:

يا معشر قريش:

إنكم إن أصبتموهم:

لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه.

لأنه قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته ٩٩٠

فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب.

(١) سورة آل عمران الآيات ١٢٣ - ١٢٦.

لو استمع الناس إلى كلمات عتبة ما كانت الحرب.

ولو لم يكن قتال ما أسر ابنه.

ولكن أترك فلذة كبده هكذا أسيراً في أيدي محمد وأصحابه..

محال أن يكون ذلك..

ولكن كيف الوسيلة وما السبيل..

عمير يتآمر على قتل محمد صلى الله عليه وسلم

نقول: ما كاد عمير يصل إلى هذه المرحلة من الهواجس.

حتى وجد يداً تربت على ظهره وتطالبه بالصبر والحكمة... ٩٩

ولم تكن هذه اليد إلا يد صفوان بن أمية.

صفوان الذي قُتل أباه في هذه الغزوة أيضاً.

ويأكل الحزن والأسى قلبه على أبيه الميت.

كما يفعل الحزن والأسى بعمير بن وهب على ابنه الحي.

قال صفوان:

«والله ما في العيش بعدهم خير» «يقصد قتلى بدر».

قال عمير:

والله، أما والله لولا دين على ليس له قضاء عندي، وعيال أخشى عليهم

الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله... ٩٩

قال صفوان: كيف..

قال عمير: فإن لي قبلهم علة... ابني أسير في أيديهم.. ٩٩

فاغتتم صفوان هذه وقال:

«على دينك أنا أقضيه عنك.

وعياالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا...؟؟

قال عمير: فاكتم شأنى وشأنك.

قال صفوان: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحن له وسم.

ولما تم له ذلك أزمع الذهاب إلى يثرب.

وانطلق على فرسه يسابق الريح، إلى طلبته.

وما هى إلا أيام قليلة حتى كانت حوافر فرسه تطأ مدخل المدينة.

ثم توغل على دروبها.

حتى وصل إلى مسجد الرسول ﷺ.

فراه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يجلس أمام باب المسجد مع جماعة

من أصحاب رسول الله ﷺ وما كاد عمر ينظر إليه حتى قال:

«هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشر...؟؟

وهو الذى حرش بيننا وحزرننا للقوم يوم بدر..

عمير يرجع عن غدره ويعلن إسلامه..

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال:
«يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه..»
قال ﷺ: فأدخله على.
فأقبل عمر إليه حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها وقال:
لرجال ممن كان معه من الأنصار.
«ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا
الخبث فإنه غير مأمون..»
واستجاب الأنصار لأمر عمر..
ودخل به على رسول الله ﷺ.
وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه.
قال ﷺ: أرسله يا عمر.
ثم قال: ادن يا عمير.
فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً.
وكانت هذه تحية الجاهلية بينهم..
فقال رسول الله ﷺ:
«قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير:
«بالسلام تحية أهل الجنة»..
فقال: أما والله يا محمد إن كنت بهذا لحديث عهد.
قال: فما جاء بك يا عمير..
قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه..

قال: فما بال السيف في عنقك..؟
قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً..؟
قال: أصدقني ما الذي جئت له..؟
قال: ما جئت إلا لذلك.
قال عليه الصلاة والسلام:
«بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش.
ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً.
فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له...؟
والله حائل بينك وبين ذلك.
قال عمير: أشهد أنك رسول الله.
قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي.
وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان.
فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله.
فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق.
ثم شهد شهادة الحق.
فقال رسول الله ﷺ:
«فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره». ففعلوا... ﷺ.

عمير يعود إلى مكة ومعه ابنه..

ثم قال عمير بن وهب: يا رسول الله، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل.

وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم على مكة.

فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ.

وإلى الإسلام.

لعل الله يهديهم إلى الدين الحق.

وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أذى أصحابك فى دينهم.

فأذن له رسول الله.

وركب مطيته مودعاً بالحفاوة والتكريم- يريد مكة.

وأحس عمير أن فى داخله شيئاً جديداً.

وتغير واقع الأشياء فى نظره.

إنه الآن- هكذا كان يحدث نفسه- ليس عمير بن وهب الذى خرج من مكة منذ فترة ليعيث فى الأرض فساداً، ويقتل رسول الله- خاتم المرسلين.

ولكنه الآن: المسلم الملتزم الذى يعبد الله كأنه يراه.

فإن لم يكن يراه، فإن الله تعالى يراه.

إنه المسلم القوى الشجاع الذى لا يهاب ملة الكفر مجتمعة.

لأن الله معه، وهو ناصره وحافظه.

وصدق الله فى قوله:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

(١) سورة محمد آية رقم ٧.

وسارت به المطى حتى دخل مكة.
وعلم صفوان بحضور عمير.
ولكنه لم يأت إليه.
ولم يسمع بقتل محمد كما كان يترقب.
فعرّف أن عميراً قد أسلم.
فقاطعه وحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.
ولم يبال عمير بصفوان.
وأخذ يدعو إلى دين الإسلام.
فأسلم على يديه أناس كثير..

عمير في فتح مكة..

وتمر الأيام وتكر الليالي: وعمير بن وهب جالس في مكة، داعياً إلى دين
الله حتى أراد الله تعالى أن يفتح للمسلمين مكة.
وعاد المهاجرون والأنصار خلف رسول الله ﷺ وهو يظهر بيته من
الأصنام والأوثان.
ويزيل هذا الركام المتعفن من الشرك والضلال.
عندها رأى عمير حبيبه رسول الله.
يحيط به الأنصار والمهاجرون.
فانضم إلى صفوفهم يشاركهم فرحتهم.
ويحظى بالقرب من سيد الخلق - محمد رسول الله ﷺ.
يقول عمير:

«عندما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ على الصفا يدعو الله وقد أهدت به الأنصار.

فقالوا فيما بينهم:

«أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها...؟

فلما فرغ من دعائه قال:

ماذا قُلتُم...؟

قالوا: لا شيء يا رسول الله.

فلم يزل بهم الرسول- حتى أخبروه.

فقال النبي ﷺ:

«معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم».

ويقول عمير:

رأيت فضالة بن عمير يريد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح.

فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أفضالة...؟

قال: نعم فضالة يا رسول الله.

قال: ماذا كنت تحدث به نفسك...؟

قال: لا شيء كنت أذكر الله عز وجل.

فضحك النبي ﷺ ثم قال: «استغفر الله».

ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه.

فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله

شيء أحب إليّ منه.

هروب صفوان بن أمية..

وفى ذلك الوقت: خرج صفوان بن أمية يريد جدّة، ليركب منها إلى اليمن.

فقال عمير بن وهب:

يا نبي الله:

إن صفوان سيد قومه.

وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه يا رسول الله..

قال ﷺ: هو آمن..

قال عمير: يا رسول الله أعطني آية يعرف بها أمانك..

فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة.

فخرج بها عمير حتى أدركه - وهو يريد أن يركب في البحر.

فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا

أمان من رسول الله - قد جئت بك به..

قال: ويحك..؟

أغرب عني فلا تكلمني...

قال: أي صفوان فداك أبي وأمي ثم تابع حديثه بقوله:

«أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه

عزك، وشرفه شرفك وملكه ملكك».

قال: إنني أخافه على نفسي.

قال: هو أحلم من ذاك وأكرم.

فرجع معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ.

فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتى.

قال ﷺ: صدق.

قال: فاجعلنى بالخيار شهرين ٩٩٠٠

قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

وهكذا أنقذ عمير صفوان من قتل نفسه، ومن وصمة الكفر التى كان يتصف بها.

عمير فى غزوة حنين..

جاءت غزوة حنين بعد فتح مكة.

فأبلى عمير فيها بلاء حسناً، ودافع عن رسول الله ﷺ واستطاع أن يفتح ثغرة فى صفوف المشركين.

حتى دق فى يده العديد من السيوف.

ومن تاريخ إسلامه: أصبح فى المعارك والحروب والتى تثار ضد المعوقين الواقفين ضد الدعوة إلى الإسلام.

الفارس الذى لا يشق له غبار، المقاتل باسم الله.

المجندل جنود الكفر والطاغوت.

فإذا كان مسلماً: أصبح المسلم الملتزم بدينه، وتعاليم رسوله، يقرأ القرآن، ويتفقه فى الدين، ويدعو إلى الله على بصيرة.

ومن هذا التاريخ أصبح عمير بن وهب فارساً من فرسان مدرسة النبوة.

هؤلاء الرجال الذين خرجوا إلى دنيا الناس.

والظلام شامل، والجهل حاكم، والعقائد زيف وأباطيل.

فمدنوا الدنيا. وهذبوا العالم.

وقررُوا الحقَّ للإنسان.

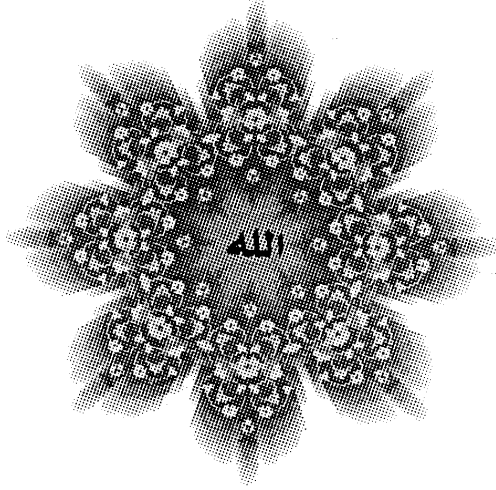
فلماذا غاب هؤلاء الرجال عن دنيا الوجود؟..

ومتى يعودون إليها رحمة مهداة من رب العالمين.

ومعرفة وإيمان.

حتى يخرجوا البشرية كلها من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.

متى يا رب..؟





منهج القرآن فى تربية الرجال..

لقد كان جرحاً غائراً الذى أصاب قريش فى غزوة بدر الكبرى.
لقد استطاع أتباع محمد ﷺ فى فترة وجيزة من عمر الزمن.
أن يتفوقوا على القوة الضاربة لقريش.
فى فنون الحرب والقتال.
ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى كان فرسان مدرسة النبوة.
القوة الضاربة التى هزمت جيوش الفرس الجرارة.
وأوقعت الهزيمة الساحقة فى جيوش الروم على مشارف الشام.
ويتساءل المرء ما الذى حدث لهم؟
وما العامل الجوهرى الذى نقلهم هذه النقلة الكبيرة؟
فى فترة وجيزة من عمر الزمن..
حتى أصبحوا سادة وقادة.
ما الذى جعل هؤلاء الرجال يخطئون من شئون المعارك.
ويتفنون فى إدارة دفة الحروب.
ما عجزت عنه الدول فى تتابع القرون..
أهو الدربة على القتال..
والتدريب المتواصل فى أوقات متتابعة..
أهو القراءة والبحث والتعرف على أساليب الدول الأخرى..
الحقيقة أنه لم يكن هذا ولا ذاك..

وإنما الشيء الذى جعل منهم سادة وقادة.
هو القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين من رب العالمين.
القرآن هو الذى انتشل أمة العرب.
من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.
القرآن هو الذى جعل بينهم وبين خالق الأرض والسماء خيوطاً غير
منظورة فكان كل واحد منهم يعبد الله كأنه يراه.

يراه معه فى كل وقت وحين..
يراه معه حين يصبح وحين يمسي..
يراه فى ضوء النهار وفى ظلام الليل..
يراه فى الحقل، وفى المصنع، ويراه فى المنتدى وفى المنزل.
يراه فى ظعنه وإقامته.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

ويقول أيضاً:

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا
أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وعندما يصل إيمان الفرد إلى هذا الحد يتحول إلى إنسان جديد.
إنسان تربطه بالسماء أسباب غير منظورة.
فإذا ضعف أمام مغريات الحياة.
واستطاع الشيطان أن يفتح له نافذة إلى الشر.

(١) سورة الحديد آية رقم ٤.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٧.

ثم ارتكب جريمته فى ظلام الليل.
استيقظ إيمانه.
وقتلته الحزن والأسى.
ولا يخرج من ذلك إلا أن يعترف بجريمته.
ويطالب المجتمع بتطهيره من هذا الإثم وذلك بإقامة الحد عليه.
لقد كان الإنسان منهم فى جاهليته.
يشرب الخمر، ويقتل النفس.
ويرتكب جريمة الزنا، ويأخذ أموال الناس بالباطل.
حتى إذا دعى إلى الإسلام ونطق بكلمة: لا إله إلا الله.
عندها يتحول إلى إنسان سوى.
وهذا ما حدث لعمير بن وهب.
لقد خرج من بيته يتلمظ غيظاً على قتل محمد.
خرج هذا الرجل بعد أن أعد عدته.
واتخذ سلاحه بعد شحذه.
وجمع الأهبة للسير إلى يثرب.
وفى الطريق إليها كان يحدث نفسه بالخطبة التى رسمها.
والشر الذى نواه، والدماء التى يريد أن يريقها.
حتى ولو قدم فى سبيل ذلك نفسه وروحه.
ولكن ما كاد يدخل مدينة الرسول ﷺ حتى أخذ الخوف بمجامع قلبه.
والوساوس تتأوشه من كل جانب.
إنه لا يستطيع أن يقتل محمداً وحوله هؤلاء الرجال.

ليس في مقدوره أن يرفع السيف ويقتل هذا الرجل العملاق.
وما هي إلا برهة، حتى خنس الشيطان في داخله.
وتحول إلى كومة من لحم.
يجذبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويوثقها بحبل لا يستطيع منه فكاًكاً.
ثم تأتي الثانية: عندما أخبره الرسول ﷺ بخبره مع صفوان، والاتفاق الذي تم بينهما.
عندها ينهار الرجل ويعترف بكل شيء.
ويشهد بكلمة التوحيد.
ويؤمن إيماناً لا ترحزه الجبال.
أن ما ينطلق به محمد ليس من عند نفسه وإنما هو وحى من الله تعالى:
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١).
ويعود رجل الجاهلية ربيب الكفر، إلى ساحة الإسلام إلى واحة الإيمان.
ويبرز إلى الوجود فارس آخر من فرسان مدرسة النبوة.
هؤلاء الفوارس الذين هذبوا الدنيا، ومدنوا العالم وقرروا الحق للإنسان.
فمتى يعود أبطالها مرة أخرى إلى ساحة الوجود..
متى يارب.. إنا لمنتظرون..

(١) سورة غافر آية رقم ١٩.

خالد بن سعيد بن العاص

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

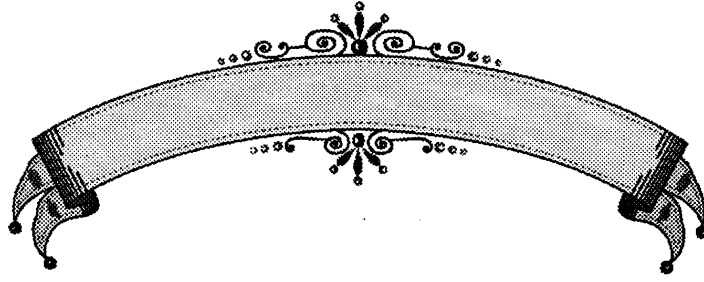
قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا
ظَلَمُوا لِنَبِيِّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

(النحل: ٤١ - ٤٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال القرطبي: نزلت في أصحاب رسول الله - ﷺ .
ثم قال هذه الآية تشمل كل من أودى بعد إيمانه وهاجر إلى أرض
الحبشة ومنهم خالد بن سعيد بن العاص .
راجع تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٠٧ .
وقاله الواحدى في كتابه أسباب النزول ص ٢٨٥ .
فمن خالد بن سعيد بن العاص . ٩٠٠ ﷺ .



قال خالد بن سعيد:

رأيت في المنام قبل مبعث النبي ﷺ ظلمة غشيت مكة، حتى ما أرى
جبالاً ولا سهلاً.
ثم رأيت نوراً يخرج من زمام مثل ضوء الصبح كلما ارتفع عظم وسطع
حتى ارتفع فأضاء لي أول ما أضاء البيت.
ثم عظم الضوء حتى ما بقي من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه، ثم سطع في
السماء، ثم انحدر حتى أضاء لي نخل يثرب.

تهذيب تاريخ دمشق

ج ٥ ص ٤٩





حياته ونشأته:

خالد ابن الصحراء المكشوفة.
وكانت نشأته وسط الطبيعة الصافية.
والحرية المطلقة التي لا تحدها حدود ولا قيود.
نشأ في بيت من بيوتات مكة.
ونمت طفولته بين هضابها وجبالها.
وجاءه شبابه مبكراً بين لداته.
فدربه والده على صيد الطيور الجارحة، والوحوش الكاسرة ومجاردة
الفرسان فوق سهوات الخيل.
ومقارعة الرجال في حلقات المبارزة.
والده سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس.
من قبيلة القادة والفرسان التي تجيد ركوب الخيل.
وقهر الخصوم والأعداء.
عرف هذا الوالد في الجاهلية بصلابة الرأي، وقوة المعزيمة الفارس
المغوار الذي لا يعرف طعم الهزيمة أو التراجع في القتال.

ونشأ أولاده هذه النشأة، وكان ينصحهم بقوله:
«الرجل لا تكتمل رجولته إلا إذا قضى شطراً من عمره فوق ظهور
الخيّل».

وصدق الرسول ﷺ :

«الخيّل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»^(١).
من هنا نشأ خالد قوياً كما تنشأ الأسود في الغابة أو الطير فوق هامات
الشجر، وعلى قمم الجبال.
وكان يمتاز خالد بصفاء النفس.
ونقاء السريرة، وفراسة المؤمن.
ثم يزن الأمور بميزان العقل الراجح.
ويخاطب الناس بالرأى الأملئ.
ولقد أكسبه هذا الشيء الكثير في حياته، وتقدير الشيوخ له.

(١) الحديث رواه البخاري في المناقب ٣٨ ومسلم في الزكاة ٢٥ والإمامة ٩٦، ٩٩ وأبو داود في الجهاد ٤١
وابن ماجه في التجارات ٣٩ والدارمي في الجهاد ٢٣.

رؤيا خالد والبشرى ببعثة خاتم الأنبياء

كان خالد كثير الرؤى والأحلام فى منامه.
من ذلك ما يرويه صالح بن كيسان، أن خالد بن سعيد قال:
رأيت فى المنام- قبل مبعث النبى ﷺ ظلمة غشيت مكة.
حتى ما أرى جبلاً ولا سهلاً .
ثم رأيت نوراً يخرج من زمزم.
مثل ضوء الصبح.
كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء لى أول ما أضاء البيت.
ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه.
ثم سطع فى السماء.
ثم انحدر حتى أضاء لى نخل يثرب.
وسمعت قائلاً يقول فى الضوء:
«سبحانه سبحانه، تمت الكلمة، وهلك ابن مارد ٩٠٠»
هلك بهضبة الحصى بين أذرح والأكمة.
سعدت هذه الأمة.
جاء نبى الأميين.
وبلغ الكتاب أجله.
كذبت هذه القرية.
تعذب مرتين، تتوب الثالثة.
ثلاث بقيت شتان بالمشرق، وواحدة بالمغرب.

واستيقظ خالد من نومه ..
وكلمات الرؤيا تملأ أذنيه، وتذهب به كل مذهب.
وتساءل بينه وبين نفسه.
ما هذه الظلمة التي شملت الكون كله في لحظة ..؟
وما هذا الضوء الذي يخرج من زمزم ..؟
ثم يكبر وينتشر حتى يملأ الكون قاطبة.
ويرسل ضياءه على السهل والجبل.
ويشرق ويغرب حتى يتناول الأرض من أطرافها ..؟
إن هذا الأمر عجيب؟
أترى ماذا يقصد هذا الهاتف بقوله: نبي الأميين الذي أخذ يبشر به ..
ألفاز وطلاسم تطن في أذنيه ..؟
أم أن هذا الأمر واضح وضوح الصبح؟
ولكن عقله الصغير لا يستطيع أن يحيط به ..؟
وما كاد يبلغ هذا الحد من التفكير، حتى انطلق مسرعاً إلى أخيه عمرو
ابن سعيد ..
ووضع بين يديه جملة حاله .
وحدثه برؤياه .
فقال عمرو: لقد رأيت يا أخى عجياً .
وانى لأرى هذا أمراً يكون في بنى عبد المطلب، إذ رأيت النور خرج من
زمزم...؟
قال خالد: وهو يسرح طرفه في السماء:

«إنه النبي الذي أخبرنا به...».

قال خالد: أى نبي هذا الذى يتكلم عنه؟

ومن الذى أخبرك بخبره.

قال عمرو: لقد كان ذلك من عشرات السنوات.

عندما قدم كاهن إلى مكة، فرأى الطفل اليتيم- محمد بن عبد الله- مع عمه أبى طالب- وما كاد الكاهن يقع نظره على الطفل، حتى شخص إليه.

وتجاهل جميع من حوله ثم قال:

بعد أن صوب النظر إليه وأخفضه.

يا معشر قريش: قالوا: لبيك يا كاهن.

قال: اقتلوا هذا الصبى، فإنه يقتلكم ويفرقكم.

فهرب أبو طالب بابن أخيه...؟

ثم ماذا يا عمرو...؟

هنا رأى عمرو. أن أبيهما قد اقترب منهما، فتركا ما هما فيه، وأخذا ، فيما أمرهما به أبوهما.

وتوالت الأيام وكرت الأعوام.

ونسى خالد ما رآه فى نومه.

وشغلتة الحياة عما يجرى فى مكة، وداخل أنديتها من أحاديث وأخبار.

وفى إحدى الليالى المقمرة.

عاد خالد من البادية، ومعه حمل كبير من طيور البرية وحيواناتها.

عاد بعد يوم شاق فى الصيد والقنص.

ومعه لداته وأصحابه من هواة الصيد وركوب الخيل.

رؤيا جديدة لخالد واعتناقه الإسلام

ما كاد خالد يتناول طعامه حتى آوى إلى مخدعه.
وأخذ يغط في نوم عميق.
وعاودته مرة أخرى الرؤى التي كان يراها فتفزعه وتقلق راحته.
لقد رأى في نومه هذه الليلة:
«أنه واقف على شفير النار- وهي واسعة عميقة مزمجرة بلهيبها، لواحة باللظى».
ورأى أباه خلفه يريد أن يدفعه وسط هذه النيران.
ورجل آخر يمسك بيده ويحول بينه وبين ذلك.
ففزع من نومه فقال:
«أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق...».
وما كاد الضياء يظهر للوجوه.. ويقبل فجر يوم جديد.
حتى خرج خالد من بيته..
بيغى من يعبر له رؤياه.
وكان كلما التقى بأحد من الناس قص عليه ما رأى، واستمع إلى تعبيره.
ولكن هذه التعابير لا تشفى ما بداخله.
ولا تحرك ساكناً فيه.
حتى التقى بأبى بكر الصديق - رضي الله عنه.
وما كاد أبو بكر يرى خالدًا، حتى وجد على وجهه علامات اليأس والضيق والتبرم من الحياة فأخذه إلى بيته.
وما كادا يجلسان: حتى أخذ خالد في سرد رؤياه.
فاستمع له أبو بكر.

وما كاد ينتهي حتى قال له:
يا خالد: لقد أريد بك خيراً.
كيف يا ابن أبي قحافة، وأنا أقف على شفير النار...؟
قال أبو بكر: هذا رسول الله ﷺ فإنه سينقذك من النار، وأبوك واقع فيها.
وسار معه أبو بكر حتى منزل رسول الله ﷺ.
قال خالد: يا محمد إلى ما تدعو..؟
قال: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
وأن محمداً عبده ورسوله.
وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر.
نعم حجر لا يسمع ولا يبصر.
حجر: لا ينفع ولا يضر.
حجر: لا يدري من عبده ممن لم يعبد.
قال خالد: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.
ودخل في جماعة المسلمين.
وأصبح فرداً من أفراد المجموعة النقية، الطيبة الطاهرة.
المجموعة: التي اختارها الله لحمل رسالته.
واشتد إيذاء قريش لهذه الصفوة.
حالوا بينهم وبين التجارة.
وحالوا بينهم وبين العبادة.
وصبوا عليهم العذاب صباً.
وأخذ الشهداء يتساقطون من العذاب.

عندها أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة وقال:
«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي
أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».
وتتابع المسلمون على الهجرة، واستقبلهم النجاشي أحسن استقبال وأكرم
وفادتهم.

ولم تطل الإقامة لخالد وأسرته بأرض الحبشة.
فقد هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب.
وفى المدينة تم تكوين جيش الإسلام.
وأخذ هذا الجيش يعمل لنشر دين الله.
ومحاربة الطغاة الذين يقفون في وجه الدعوة الجديدة.
وأخذ هذا الجيش يعمل جاهداً على تطهير الجزيرة العربية من
عصابات اليهود.
اليهود الذين أخذوا يشككون في الدعوة.
ويفرقون بين جماعات المسلمين.
يؤلبون الأحزاب على قتال الرسول ﷺ.

ولم يمض على ذلك إلا فترة وجيزة حتى تم طردهم جميعاً من أرض
الإسلام ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا
ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (١).

(١) سورة الحشر آية رقم ٢.

خالد يخرج للجهاد على أرض الشام ويوصي حاكم المسلمين قبل خروجه

لما أراد خالد الخروج إلى الشام: لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم.

ثم أقبلوا من العسكر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فصلوا معه الغداة في مسجد الرسول ﷺ.

فلما انصرفوا قام إليه إخوته فجلسوا إليه.

ثم قام خالد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

يا أبا بكر: إن الله قد أكرمنا وإياك والمسلمين بهذا الدين.

فأحق من أقام السنة وأما البدعة، وعدل في السيرة.

الوالى على الرعية.

فاتق الله يا أبا بكر فيما ولاك الله من أمره.

وارحم الأرملة واليتيم.

وأعن الضعيف والمظلوم.

ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه أثر في الحق عندك منه إذا سخطت عليه..

ولا تغضب ما قدرت عليه، فإن الغضب يجر الجور.

ولا تحقد وأنت تستطيع فإن حقدك على المؤمن يجعله لك عدواً.

فإن اطلع على ذلك منك عاداك.

فإذا عادت الرعية الراعى، كان ذلك مدعاة لهلاككم جميعاً..

والن جانبك للمحسن.

واشدّد وطأتك على المريب.

ولا تأخذك في الله لومة لائم.

ثم قال: هلم يدك يا أبا بكر: أودعك، فإنني لا أدري هل تلقاني في الدنيا أم لا... ٩.

فإن قضى الله لنا الالتقاء فنسأل الله لنا عفوه وغفرانه.

وإن كانت هذه الفرقة التي ليس بعدها لقاء فنرجو أن يوفقنا الله وإياك إلى لقاء النبي ﷺ في جنات النعيم.

ثم أخذ أبو بكر بيده وبكى.

وبكى المسلمون وظنوا أنه يريد الشهادة فطال بكاؤهم...

ثم إن أبا بكر قال له انتظرني حتى أمشي معك.

قال خالد: ما نريد أن تفعل.

قال أبو بكر: لكني أنا أريد ذلك ومن أراد من المسلمين.

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر:

قد أنصفت لك إذا أوصيتني، وقد وعيت وصيتك، فأنا موصيك فاسمع وصيتي:

إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في هذا الدين.

وفضيلة عظيمة في الإسلام.

والناس ناظرون إليك.

ومستمعون من حديثك.

وقد خرجت في هذا الوجه وأنا أرجو أن يكون خروجك بنية صادقة.

فثبت العالم وعلم الجاهل.

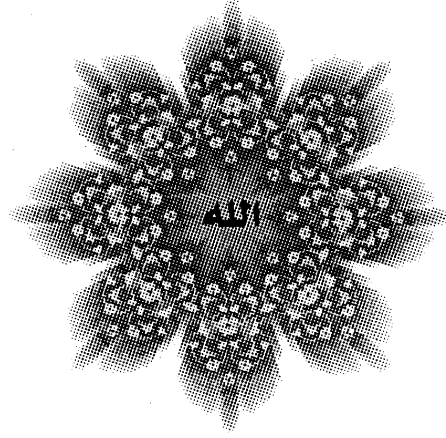
وعاتب السفية المترف.
وانصح لعامة المسلمين.
واخصص الوالى على الجند بنصيحتك ومشورتك بما يحق للمسلمين.
واعمل لله كأنك تراه.
واعدد نفسك فى الموتى.
واعلم أنا عما قليل ميتون، ثم مقبورون، ثم مبعوثون، ثم مسؤولون.
جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين.
ولعقابه من الخائفين.
ثم أخذ بيده فودعه، وودع إخوته.
فلما ركبوا خيلهم أدبروا قال أبو بكر:
«اللهم احفظهم من بين أيديهم. ومن خلفهم.
وعن أيمنهم وعن شمائلهم.
واحطط عنهم أوزارهم، واعظم أجورهم».

قتال خالد واستشهاده..

قال إسحاق بن بشير: بينما المسلمون قد طمعوا في فتح المدينة يوم أجنادين إذ قيل لخالد هذا الجيش قد أقبل مدداً لدمشق من ملك الروم. فنادى خالد في الناس: أن انصرفوا عن هذه المدينة. إلى المدد الذي قد جاء من عند صاحب الروم. ثم عبى خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء. ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم، بينهم وبين العدو. وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس. ثم رجعوا نحو الجيش وكان خمسين ألفاً، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد. نزل فعبى أصحابه تعبئة القتال. ثم زحف إليهم. فوقف خالد بن سعيد في مقدمة الجيش يحرضهم على القتال، ويرغبهم في الشهادة. فحملت عليهم طائفة من العدو. واستمر القتال، وحمى الوطيس، وتقدم فرسان مدرسة النبوة واخترقوا جيش الأعداء ففروا مذعورين. وركب أبطال المسلمين أكتافهم- فتساقط القتلى، وكان النصر المؤزر والفتح المبين.

استشهاد خالد بن سعيد

لم يترك خالد بن سعيد ساحة القتال- باحثاً ومنقباً عن قتلى المسلمين
وجرحاهم، وتابع فلول المنهزمين.
فاختبأ له جندي من جنود الروم ورماه فقتله وسقط شهيداً.
ولكن الرومي بعد أن فعل فعلته.
أذهله ما رأى من نور ينبعث من جثته إلى عنان السماء.
فترك ترسه وأعلن إسلامه واستأمن.
وقال: إني ما كدت أرمي بسهمي إليه حتى رأيت نوراً ساطعاً يضيء
الكون إلى السماء، فآمنت إنكم على الحق، ونحن على الباطل.
رحم الله خالد بن سعيد وأسكنه فسيح جناته.





الازدواجية بين الإسلام والنظريات المعاصرة

من سنن الله الكونية أن جعل الازدواج قواماً لجميع الكائنات حتى يكمل بعضها بعضاً، وتتوالى آثارها الناتجة عن هذا الازدواج في تعمير الكون وتحقيق دور الخلافة في الأرض قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهذه الآية تدل على أن كل الأحياء، وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى ويتم التلقيح بينها إما عن طريق الرياح التي تهب في موسم الإخصاب قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢).

فهى بهبوبها تحمل طلع النبات الذكر إلى النبات الأنثى وبهذا يتم التلقيح وإما عن طريق الحشرات والفراشات التي تنتقل من زهرة إلى أخرى فتحمل أرجلها وأجنحتها حبيبات اللقاح، وإما أن يتم عن طريق الأمطار التي تهطل في هذه المواسم فتحمله معها إلى شتى النباتات قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾^(٣).

وبعض أنواع النبات تحمل في ذاتها الزوج الآخر فهي تضم أعضاء الذكر والتأنيث مجتمعة في زهرة واحدة أو متفرقة قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبُّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

وهذا النبات كائن حي له روح كما كان يقول الفيلسوف أرسطو في دولة اليونان، واستمر الوضع على ذلك حتى القرن الثالث عشر أعلن «كارل فرن لينى» أن النبات له مواصفات الحيوان والإنسان إلا أنه ليس له قدرة على الحركة.

(٢) سورة الحجر آية رقم ٢٢.

(١) سورة يس آية رقم ٣٦.

(٤) سورة الرعد آية رقم ٤.

(٣) سورة طه آية رقم ٥٣.

وفي القرن التاسع عشر أعلن «دارون» أن النباتات المتسلقة تتمتع باستقلالية الحركة، وأكد ذلك «رؤول فرانسليه» بقوله: إن النبات يحرك جسمه بحرية ورشاقة، وبشكل لا يقل عن الإنسان أو الحيوان.

ومن حركته سموق فروعته إلى أعلى وزحف جذوره في باطن التربة إلى مسافات بعيدة فإذا اعترضها حاجز صخري، أو حائط دارت خلفه حتى تصل إلى بغيتها.

وعلماء النبات في هذه الآونة يقدمون الأدلة القاطعة التي حصلوا عليها عن طريق التجارب: أن النبات يرى ويسمع، ويلمس ويتذوق، ويشم بحساسية فائقة، ليس هذا فحسب بل تراههم يقولون: إن النبات يستطيع أن يقرأ أفكار البشر والحيوانات ويستجيب لعواطفهم، ويدافع عن نفسه ضد من يريد الضرر به.

ومن الأشياء التي رصدها العلماء النخلة الأنثى، أنه إذا كان يجاورها ذكر، وعملوا على قطعه حزنّت عليه حزناً شديداً وتعبر عن حزنها هذا بعدم حملها للثمار، وقد يستمر هذا الحزن سنة أو أكثر لا تعود إلى طرح الثمار إلا إذا جاء صاحبها مهدداً بأنه سيعمل على قطعها إن لم تثمر في العام القابل. وإذا كان الأمر كذلك فالازدواجية أوجدها الله تعالى في عالم النبات لأنه كائن حي ككل المخلوقات الأخرى التي تعمل بمشيئة الله وقدرته على استمرار نوعها وامتداده عبر دروب الزمن.

والنبات ككل المخلوقات الأخرى تخاف الله وتطيعه في أوامره وتسبح له آناء الليل وأطراف النهار قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١).

وإنه لمشهد فريد حين يتصور القلب كل حصة، وكل حجر، وكل حبة، وكل ورقة، وكل زهرة، وكل ثمرة، وكل نبتة، وكل شجرة، وكل حشرة، وكل

(١) سورة الإسراء آية رقم ٤٤.

زاحفة، وكل حيوان وكل إنسان، وكل دابة على الأرض، وكل سابحة في الماء والهواء كلها تسبح لله وتتوجه إليه في علاه، ولكن لماذا لا نفقه تسبيحهم؟ ولماذا لا نسمع تراتيل أصواتهم؟

لا يحدث هذا لأننا محجوبون بصفاقة من الطين، فغشى على بصائرنا فلا نرى، وأغلق على آذاننا فلا نسمع، ولكن حين تشف الروح وتنجلي البصائر فإنها تزال من أمامها الحجب والمساتير فتري ما لم تكن ترى، وتسمع ما لم تكن تسمع، وعندما يتحول الإنسان من ترابية الأرض إلى شفافية السماء، فيكون الله تعالى سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه.

وهذا النبات ملتزم بالضوابط والموازنات التي وضعها الله سبحانه وتعالى بالنسبة لخلقه جميعاً، فإذا تعدى النبات أو الجماد أو الإنسان ما قدر له وجد أمامه جند الله لتصدده وترده من غلوائه.

والواقعة الآتية مثل بارز على أهمية تلك الضوابط، فمنذ سنوات عديدة زرع نوع من الصبار في أستراليا كسياج وقائي، ولكن هذا الزرع مضى في سبيله حتى غطى مساحة تقرب من مساحة إنجلترا، وزاحم أهل المدن والقرى وأتلف مزارعهم، وحال دون الزراعة الأخرى، ولم يجد الأهالي وسيلة تصده عن الانتشار وصارت أستراليا في خطر من اكتساحها بجيش من الزرع صامت يتقدم في سبيله دون عائق.

وطاف علماء النبات والحشرات بنواحي العالم يبحثون عن وسيلة توقف جيش الاحتلال هذا، وأخيراً وجدوا حشرة شرهة لا تعيش إلا على ذلك الصبار ولا تتغذى بغيره، وهي سريعة الانتشار، وليس لها عدو يعوقها في أستراليا، وما لبثت هذه الحشرة حتى تغلبت على الصبار وقضت على كل أسلحته، ثم ذهبت جيوش هذه الحشرات من حيث أتت ولم يبق منها سوى

بقية قليلة للوقاية، تكفى لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد.

وصدق ربى فى قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

وأيضاً قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (٢).

وهذه واقعة أخرى للضوابط والموازنات التى وضعها الله سبحانه وتعالى لهذا الكون والتى تدل دلالة قاطعة على قدرة الله تعالى وأن كل شىء عنده بمقدار وصدق ربى فى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٣).

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤).

لقد كان الاستعمار البريطانى يربط على أرض الهند، وكان الجنود لا يجدون شيئاً يتخلصون به من فراغهم القاتل وأيامهم الرتيبة سوى العبث بمقدسات البلاد أو الإطاحة ببعض الرقاب. وفى يوم من الأيام أخذ أحد الجنود أجازته وقرر أن يقضيها فى بلدته إنجلترا ولكن ماذا يأخذ من الهدايا لعروسه من هذه البلاد؟ وبعد أن أعياه التفكير قرر أن يأخذ جلد ثعبان لما فيه من نقوش زاهية وأشكال هندسية بديعة، وعندما هبطت به الطائرة على أرض بلده كان يضع هذا الجلد على كتفه وكأنه لوحة فنية تبهر العيون، ولمح الجلد أحد تجار الأحذية فقرر أن يستولى عليه مهما كان الثمن، وفعلاً تحقق ما أراد، وصنع منه مجموعة من أحذية السيدات وما كاد هذا الصنف الجديد ينزل إلى سوق الأحذية، حتى تهافتت النساء على شرائها بأثمان باهظة، وتكاثر الطلب عليه الأمر الذى جعل تجار الجلود يتجهون إلى الهند لشراء العديد منها وانتشر هواة الصيد يقتنصون الثعابين ويسلخون جلودها ويبيعونها بمثل وزنها ذهباً.

وما هى إلا فترة وجيزة من عمر الزمن حتى تناقصت الثعابين إلى درجة كبيرة بل كادت أن تتلاشى بالكامل.

(١) سورة الفتح آية رقم ٧.

(٢) سورة المدثر آية رقم ٢١.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٢.

(٤) سورة القمر آية رقم ٤٩.

وكانت الهند فى ذلك الوقت تزرع أراضيها بحقول القمح، وعندما اقترب موسم الحصاد، وذهب الفلاحون لجمع محصولهم وجدوا أن الفئران قد التهمت كلة وكانت هذه ظاهرة عجيبة لم تحدث لهم من قبل، وأخيراً اهتموا إلى أسباب الكارثة، لقد كانت الثعابين- وهى جند من الله- تتغذى على الفئران فكانت تقل ولا تكثر ولهذا كانت تسلم لهم حقول القمح ولكن عندما انقرضت الثعابين- انتشرت جيوش الفئران، فقضت على الغذاء الأساسى الذى كانوا ينتظرونه، وصدق ربي فى قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١).
وأيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٢).

فإذا تدخل الإنسان بطمعه وجشعه لتغيير هذا النظام عاجله ربه بالمعقوبة وصدق ربي فى قوله: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾^(٣).

وإذا كانت الازدواجية هذه بالنسبة للنباتات فهل نجدها أيضاً فى دنيا الجمادات والمائعات؟

لقد أثبت العلماء أن الجماد يتكون من الذرات، وأن كل ذرة مزدوجة تتكون من نواه (بروتون) وكويكب (إلكترون) يدور حولها، وأن النواة كهرياء موجبة والكويكب كهرياء سالبة، فكل ما فى الجماد مزدوج ولا يتم كيانه إلا بهذا الازدواج.

والعجيب فى الأمر أن الموجب إذا التقى بالسالب فى عالم الكهرياء أنتج الضوء والحرارة، وسير المركبات والطائرات، وفجر البحار وشق الأنهار وتوالت الإنتاجية له والتى لا تقف عند حد.

فإذا التقى السالب بالسالب، أو الموجب بالموجب صار عقيماً لا ينتج شيئاً فلا يرسل دفئاً ولا يبعث ضوءاً.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٢.

(١) سورة الرعد آية رقم ٨.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣١.

وعالم المغناطيسية كالكهرباء تماماً مكون من قطب سالب وآخر موجب فإذا التقى السالب بالموجب انجذب كل منهما إلى صاحبه، أما إذا كان سالباً وسالباً أو موجباً وموجباً فإنهما يتنافران ولا يلتقيان ويتباعدان ولا يقتربان.

يحدث هذا في عالم الجماد، ويحدث في عالم النبات والحيوان ولا يحدث العكس إلا في عالم الإنسان عندما تفسد الفطرة وتتكسر الجيلة وتميش فئة من البشر في بؤرة التعفن، والانسلاخ من أبسط قواعد الأدمية، لقد كان من نتائج انجذاب الموجب مع الموجب والسالب مع السالب في عالم الإنسان أن تفتش ما يسمى بالطاعون الجديد، أو طاعون الشواذ، أو القنبلة الموقوتة في جسم الإنسان، وأخيراً الاسم الحركي له «الإيدز».

لقد سمو «الإيدز» بطاعون الشواذ ونفس هذه التسمية هي التي أطلقها الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرناً حيث قال: «ما ظهرت الفاحشة في قوم إلا أصابهم الله بالطاعون» نعم طاعون الشواذ أو الإيدز.

الذي يقول عنه الدكتور «كليفورد لين» إن ديناميكية التكاثر في هذا الفيروس تعد من أعظم التأثيرات التي رأيتها في علم «البيولوجيا» وهذا يفسر الأثر التخريبي أو التدميري لهذا المرض.

ذلك أن الفيروس عندما تغتفي من أمامه خلايا (أ) المساعدة عند تقدم المرض يعمل على تدمير بنيته وتدمير الخلايا الباقية أيضاً ويظل المريض إزاء ذلك بمنأى عن الشفاء.

إنها عملية تدمير، تدمير لكل الخلايا، وتدمير لبنية المجتمع قاطبة الذي يسمح لهؤلاء الشواذ بالإقامة فيه.

وهنا تبرز عظمة الإسلام وحكمته في جعل الزنا واللواط من أبشع الجرائم وجعل الحدود المتعلقة بهما في مكانهما الصحيح.

وتبرز عظمة الإسلام أيضاً في تصوير عقاب المجتمع الذي ينساق وراء هذه الشهوة القبيحة حيث يدمرهم تدميراً قال تعالى: ﴿وَأِنْ لُّوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ

(١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١).

وهى صورة للتدمير الكامل الذى يقلب كل شىء ويغير المعالم ويمحوها ويقول الله أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٢)﴾.

وهذه الصورة المقلوبة أشبه بالفطرة المقلوبة الهابطة المرتكسة من قمة الإنسان إلى درك الحيوان بل إن كثيراً من الحيوانات تعف ملتزمة عند حدود فطرتها. ومن سنوات قليلة فى البلاد التى تسمى ببلاد التمدن والتحضّر خرجت المسيرات والمظاهرات التى يقودها الشواذ جنسياً فى أوروبا وأمريكا مطالبين ببعض الحقوق التشريعية والمدنية الخاصة بهم وأمكنهم أن ينالوا بعض الحقوق المتعلقة بالحرية الشخصية وممارسة الفحشاء جهراً فى حماية القانون. وتحقق لهم ما أرادوا وأمكنهم بذلك أن يستغلوا قانون البشر الذى يخطئ ويصيب، ويجمال ويحاسب، ويففل وينسى فى تحقيق أغراضهم، فهل أمكنهم الإفلات من قانون الله تعالى؟ أو من عقاب السماء؟

لا. ليس فى استطاعتهم ذلك لقد حاصرهم الله تعالى وقضى على كل مقاومتهم عن طريق «الإيدز» الذى لا فكاك منه ولا مهرب من شباكه ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِمٌ مُدْمِرٌ (٣)﴾.

وإذا كانت الازدواجية فى عالم الجماد قد شملت الذرة والمغناطيسية فنجد الازدواجية أيضاً فى ملح الطعام الذى يتكون من صوديوم وكلوريد والأول شديد الاشتعال، والثانى غاز سام- إنه الموجب والسالب ونحن لا نستطيع بأى حال من الأحوال الاستغناء عن ملح الطعام إلا فى الضرورات الملحة التى تفرض علينا ذلك، وهذا الشئ الذى نحبه لا نقبله إلا عن طريق الازدواجية، فإذا انفصلا أشعل أحدهم الحرائق، ودمر المنشآت، وكان الآخر

(١) الصفات الآيات رقم ١٣٣ - ١٣٦. (٢) سورة هود الآيتان رقم ٨٢ - ٨٣.

(٣) سورة الفجر آية رقم ١٤.

سما قاتلاً لكل من يلمسه أو يقترب منه.

والازدواجية نجدها أيضاً في الماء، الماء الذي يعد أول شيء برز في هذا الكون قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (١).

والماء أيضاً هو أساس تكوين الخلية الأولى في النبات والحيوان والإنسان قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (٢).

وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٤).

هذا الماء يتكون من الهيدروجين والأكسجين والأول مشتعل والثاني يساعد على الاشتعال، الأول موجب والثاني سالب، ويغير تزاوجهما ما كان هناك نبات ولا حيوان ولا إنسان ولا ختفت الحياة جملة من على هذا الكوكب.

والنتيجة أن كل ما في الكون محتاج إلى ما يكمله، وانفرد بالوحدانية المطلقة الله وحده فإنه غير محتاج إلى ما يكمله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٥) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

وكل ما نشاهده أو ندركه خاضع لهذا الازدواج من ليل ونهار، حياة وموت، وجسم وروح، وأرض وسماء، وطاقة ومادة، حتى الصفات والأحوال من قوة وضعف، ورضا وغضب، وغنى وفقر، وصحة ومريض، وخير وشر، ونبات وجماد، وكواكب ونجوم، وناطق وصامت، وحيوان وإنسان.

نعم الإنسان الذي خلقه الله تعالى من طين الأرض ونفخ فيه من روحه فأصبح مكوناً من مادة وطاقة، وظهر فيه عنصر الازدواجية قال تعالى: ﴿وَإِذْ

(١) سورة هود آية رقم ٧. (٢) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠.

(٣) سورة النور آية رقم ٤٥. (٤) سورة الفرقان آية رقم ٥٤.

(٥) سورة الإخلاص كاملة.

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١﴾ .

وقال أيضاً: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ (٩)﴾ .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى: قد فطرنا من عنصر فيه طبيعة المادة فإن الله سبحانه وتعالى خلق عالمين آخرين من عنصر الطاقة هما: عالم الملائكة المخلوقين من النور، وعالم الجن المخلوقين من النار، والإنسان ينقاد لهذين العالمين المزدوجين عالم الملائكة الممثل للخير وعالم الجن الممثل للشر.

فالإنسان يقضى حياته فى صراع عنيف بين هذين الجانبين، فإذا نجح فى هذا الصراع وفاز فى هذا الابتلاء فهو من المفلحين، وإذا فشل وانجذب إلى الشر فقد خسر نفسه ودنياه وذلك هو الخسران المبين.

والملائكة تنزل على المؤمنين الأتقياء قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٣).

والشياطين تنزل على الفجار الأثمين قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٤).

ومن هنا كان الإنسان مبتلى بحافزين قويين هما حافز الخير وحافظ الشر والسعيد من هداه الله والشقى من أضله الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥).

يقول صاحب الظلال: «إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، لأن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هى التى تصمد للابتلاء بالخير».

(٢) سورة السجدة الآيات ٧ - ٩ .

(١) سورة الحجر الآيتان رقم ٢٨ - ٢٩ .

(٤) سورة الشعراء الآيات رقم ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٣) سورة فصلت الآيتان ٣٠ - ٣١ .

(٥) سورة الأنبياء آية رقم ٣٥ .

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة، ويكبحون جماح القوة الهائلة في كيانههم.

كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تنهواؤى نفوسهم ولا تذلل، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الثراء وما يفرى من متاع وما يثير من شهوات وأطماع.

كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الإغراء بالרגائب والمناصب والمتاع والثراء.

كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمرح ثم لا يصابون بالحرص الذى يذل أعناق الرجال وبلاسترخاء الذى يقعد الهمم ويذل الأرواح.

إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب فتكون القوى كلها معبأة بالاستقبال للشدة والصمود لها، أما الرخاء فيرخي الأعصاب وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة، لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء^(١).

ومن مظاهر الازدواج، أن لكل إنسان قريناً من الملائكة يحفزه إلى الخير وقريناً من الشياطين يدفعه إلى الشر.

روى الإمام مسلم والإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير». وروى الترمذى وابن حبان والنسائى عن النبي ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن

(١) راجع في ظلال القرآن الكريم (٤: ٢٢٧٧ - ٢٢٧٨).

آدم، وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان». وهذا الإنسان الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته لم يخلق عبثاً وإنما وجد لغاية، وهي عبادة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

واهبط على الأرض ليقوم بدور الخلافة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢). وحياته رحلة قصيرة، وأيامه معدودة فوق هذا الكوكب الأرضي وأجزاؤه وتركيباته وأطرافه صنعت لتلائم هذا الدور وتتناسب مع تلك المدة فهو لا يبقى في رحلته أكثر مما قدر له، وإلا تلفت أعضاؤه وفسدت خلاياه فلا يستطيع القيام بدور أو المشاركة في حياة.

وهذا الإنسان لا يكلف أكثر مما يطيق، ولا يعطى من المعرفة فوق ما تحتاجه هذه الرحلة، وإلا اختلطت عليه الأشياء وتعددت أمامه السبل. وهذا الكون مخلوق ليتناسب وقدراته ويتلاءم مع مواهبه فلا يرهق من أمره عسراً.

وكل شيء محدود ومقدر ليس للصدفة مكان ولا للرأى العجل موضع ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣).

وهذا الإنسان الفاني الضعيف يستطيع أن يتصل بالقوى الكبرى، قوة الله يتصل بلا وساطة أو كهانة، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٤).

وكل إنسان يأخذ حقه كاملاً لا ينقص منه شيء وحياته ليست بقاء على ظهر الأرض فقط، وليست هذه الرحلة القصيرة المحدودة ولكن هناك حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية، فما نقص هنا ادخر له هناك، وما حرم منه في الدنيا يضاعف له في الدار الآخرة.

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦. (٢) سورة البقرة آية رقم ٣٠.

(٣) سورة القمر آية رقم ٤٩. (٤) سورة غافر آية رقم ٦٠.

وإذا كان ذلك كذلك فما الداعي إلى القلق الذى يمزق الإنسان فى داخله؟ أو الحسرة على ما فات أو التألم على ما حرم منه؟ وهل استطاعت البشرية بما اخترعت من مبادئ وأفكار أن توجد الرضا فى داخل النفس؟ إن الواقع المشاهد ينفى ذلك.. ويقرر أنها أوجدت التكاليف والصراعات والحروب المدمرة لأنها لم تستطع أن تسوى بين الأفراد جميعاً ولن تستطيع.

والمذاهب المادية على ما بذلتها من وعود، وما سودته من قرارات لم تستطع أيضاً أن تزيل الدمامة عن مشوه الصورة أو تعوض إنساناً فقد عضوا واحداً من أعضائه، ولم تستطع بالرغم من تقدمها فى عالم المادة أن تجعل من ضعف النظر قوة ومن قصر القامة طولاً أو من العقم إخصاباً، أو أن تتحكم فى نوع الإنجاب ولكن الدين وإن لم يفعل ذلك فهو يقدم البديل لذلك كله.

إنه يقدم الاطمئنان إلى عدل السماء وحكمة الخالق يقول الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١).

ومع ذلك فتصيبه مدخر، وأجره محفوظ، وقد لا تنكشف لنا حكمة الخالق وعدله من قريب فعلينا أن نترصد لها، وحكمة الله مبدولة لخلقها، وتعطى لمن يصطفى من عباده.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢).

والهامات الله لا تقف عند حد ولا تنتهى عند عصر ولا يختص بها جيل من الأجيال، يقول الرسول ﷺ: «إن لريكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»^(٣).

والله أعلم.

(١) سورة النساء آية رقم ١٩. (٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

(٣) رواه الترمذى الحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد مثله.

الوليد بن الوليد بن المغيرة
رضي الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾.

(الزمر: ٥٣)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء ورجال التفسير نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة، والوليد بن الوليد قال ذلك الإمام السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣٣٠ .
وقاله ابن جرير فى التفسير ٢٤ : ١٠ .
وذكره الإمام الواحدى فى كتابه أسباب نزول القرآن ص ٣٨٤ .
فمن هو الوليد بن الوليد ؟ .



يا عين فأبكي للوليد بن الوليد بن المغيرة
قد كان غيثاً في السنين ورحمة فينا وميرة؟
كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيرة

أم سلمة زوج الرسول ﷺ





حياته ونشأته

فتى قريش الذي نشأ في بيت عز ومنعة.
وفدائي مغامر له في نصرة المسلمين مواقف كتبت على جبهة التاريخ
بأحرف من نور.
ومؤمن استقر الإسلام في قلبه فصغرت في عينيه الدنيا فترك المال
وفرّ بدينه إلى الله.
والده الوليد بن المغيرة: كان يقال له العدل، وسمى: أوحده العرب وأطلق
عليه ربحانة قريش.
وكان أحد قضاة العرب في الجاهلية.
وزعيماً من زعماء قريش في دار الندوة.
ومن زنادقها الذين حملوا لواء الكيد والتعذيب ضد أتباع الدعوة
الإسلامية. وفيه نزل قول الله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ
(١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ (١٦)
سَأَرْهُقَهُ صَعُودًا ۖ (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (٢٠)
ثُمَّ نَظَرَ ۖ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ (٢٣) فَقَالَ إِنِّي هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ (٢٨) (١).

ومع ذلك يضعه بعض المؤرخين بأنه كان رزينا هدا عقه إلى بعض الحق، منها أنه عرف أن الخمر لا تليق بالرجل الوقور، فحرمها على نفسه وهو في الجاهلية قبل ظهور الإسلام، وحرمها على أبنائه، وضرب ابنه هشاماً على شرابها.

وكان يعرف للبيت حرمة وقديسيته فكان يكسو الكعبة وحده عاماً وتكسوها قريشاً عاماً آخر. من هنا جاء لقب العدل، لأنه كان يعدل قريش وأخو الوليد. خالد بن الوليد - رضي الله عنه - . الذي سماه رسول الله ﷺ: «سيف الله».

والذي قال فيه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - :

«عجرت النساء أن يلدن مثل خالد».

نقول بأن الوليد بن الوليد نشأ في بيت عز ومنعة.

وترعرع وهو محاط بكل أنواع الطيبات والنعم، ولما شب عن الطوق نزل مع إخوته إلى ساحة التدريب على ركوب الخيل، والقفز فوق ظهورها وهي تجري، وكيفية إرسال السهم خلف الحيوانات البرية. وطرق المبارزة والمحاربة، وأماكن الضعف في الرجال وكيفية أن يصيب أحدهم في مقتل.

وسمع من أبيه مبكراً الامتناع عن شرب الخمر، فلم يذقها قط، ووشى على أخيه هشام عندما رآه في يوم من الأيام يتجرعها عند أبيه فكان نصيبه الضرب والحبس حتى عاهد والده بعدم شربها مرة أخرى.

وكان الوليد بن الوليد: يحب مجالس الكبار، ويتابع والده في مجالسه ويتسمع إلى حديثهم. بشأن وفود الحجيج والتجارة.

(١) سورة المدثر الآيات من ١١ - ٢٨.

ويشارك إخوته عندما يذهبون إلى سوق عكاظ ويشاهدون مباراة الشعراء في قول الشعر والمفاخرة بأمجاد القبيلة.

وحضر مع والده في يوم من الأيام - دار الندوة وشاهد غضب الشيوخ على فتى بنى طالب. نعم يتيم بنى طالب.

هذا اليتيم الذي يدعى أنه رسول الله، ويأتيه الوحي من السماء، ويدعو إلى نبذ الأوثان والأصنام. وعبادة الواحد الأحد.

ويشاهد الوليد انتفاخ أوداج أبيه ويقول لشيوخ الندوة.

كيف ينزل وحى السماء على هذا اليتيم ويترك الوليد.

إننا لن نتبعه أبداً وما جاء به ليس إلا سحراً.

ويردد الشيوخ خلفه صدقت يا أبا خالد. لن نصدقك فيما تقول، ولن نتبعه فيما يدعو إليه. ثم قالوا: يا إله محمد - كنا نسمع، لو أنزلت قرآنك هذا ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١)

كنا اتبعناه فيما يدعو وحشدنا جمعنا لدعوته.. ٩٩

ويرد عليهم القرآن سريعاً في أمانهم الباطلة، وتطلعاتهم الحاقدة بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢).

وتعى ذاكرة الوليد بن الوليد اللاقطة كل هذه الأشياء التي تحدث في محيطه والصراع الدائم بين محمد وسادة قريش.

(١) سورة الزخرف آية رقم ٢١.

(٢) الزخرف آية رقم ٢٢.

الوليد بن الوليد في غزوة بدر..

استيقظت قريش في يوم على صوت ينادى ويقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة فخرجوا سراعاً. فرأوا ضمضم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيده، وقد قطع أنفه وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الفوثن الفوثن.

فتجهز الناس سراعاً فكانوا بين رجلين، إما خارج، وإما باعث مكانه رجلاً وخرجت أشرافها فلم يتخلف منهم أحد.

وكان الوليد بن الوليد أحد هؤلاء الرجال الذين خرجوا لحرب محمد وأصحابه ومنع غير قريش أن ينالها مكروه.

وعلم الرسول - ﷺ - بخروج قريش، فخرج بأصحابه وكان عددهم لا يزيد على ثلاثمائة رجل واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وقبل التحرك من المدينة قال ﷺ لأصحابه: أشيروا علينا أيها الناس.. ٩.

فقام المقداد بن عمرو من المهاجرين فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك.. والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (١).

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد- موضع بناحية اليمن- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله - ﷺ -: «خيراً ودعا له به».

ثم قال ﷺ: أشيروا على أيها الناس- وإنما يريد الأنصار.. ٩.

فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله.. ٩.

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

قال: أجل..؟

قال: فقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فتحن معك ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً وإنا لصُبرٌ في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك فسر بنا على بركة الله.

فسرّ رسول الله - ﷺ - يقول سعد ونشطه ذلك. ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ثم ساروا حتى وصلوا إلى أدنى ماء من بدر فنزلوا به.

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح^(١): يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة..؟

قال ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟

فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزلهم، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء. ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال الرسول - ﷺ -: «لقد أشرت بالرأى».

ثم إن قريشاً أرسلت عمير بن وهب الجمحي ليتعرف على عدد المسلمين وقوتهم فلما عاد إليهم قال: أما عدتهم فهم ثلاث مئة رجل يريدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر اللقوم كمين أو مدد..؟

قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً. فرجع إليهم فقال:

(١) من الأنصار وكان يقال له ذو الرأي، وشهد أحداً والخنندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ - مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ما وجدت شيئاً، ولكنى قد رأيت يا معشر قريش: البلايا تحمل المنايا
نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم
والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإن أصابوا منكم
أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟..

فروا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام^(١) ذلك مشى فى الناس، فأتى عتبة بن ربيعة
فقال:

يا أبا الوليد: إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها. هل لك إلى أن لا
تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟..

قال: وما ذاك يا حكيم؟..

قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي؟..

قال: قد فعلت. فأنت أبا جهل لعله يقبل.

قال حكيم فأتيت إليه فقلت: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلنى إليك بكذا
وكذا للذى قال:

فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه. كلا والله
لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.

ثم التقى الجمعان، وتبارز بعض القوم، ثم التحموا وكانت موقعة ضارية
جندل فيها فرسان النبوة صناديد قريش وأسروا بعضهم ثم فر الباقى لا
يلوى على شيء. وفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء.

وتفقد رسول الله - ﷺ - الأسرى وكان فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة
- أسره عبد الله بن جحش - رضى الله عنه .

(١) هو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى، ولد فى الكعبة، وكان من أشراف قريش وتأخر
إسلامه إلى عام الفتح توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

فداء الوليد بن الوليد

دعى الرسول - ﷺ - قريش إلى فداء أسراها، فقدم خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة في دفع فداء أخيهما فتمنع عبد الله بن جحش حتى اقتداه بأربعة آلاف. فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك.

فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت.

ويقال إن النبي - ﷺ - أبى أن يفديه إلا بشكة أبيه الوليد بن المغيرة، فأبى ذلك خالد، وأطاعه هشام بن الوليد لأنه أخوه لأبيه وأمه، وكانت الشكة درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة، فأقيم ذلك بمائة دينار وطاعا به وسلماء.

إسلام الوليد بن الوليد..

لقد شاهد الوليد - رضى الله عنه - يتيم بنى طالب كما كان يسميه أبوه. رجلاً يختلف عن كل الرجال. ما يكاد الرجل يراه ويتحدث إليه حتى يمتلئ قلبه حباً له. هذه واحدة.

الثانية: التي رآها الوليد أن قريشاً وقفت أمامه بقضها وقضيضها لتمنع الناس عن الإيمان به ففشلت فشلاً كبيراً.

الثالثة: هاجر إلى يثرب وأصبح له جيش من المهاجرين والأنصار يأمرهم فيطيعون، وينهاهم فينتهون. وأصبح عند كثير منهم أغلى من المال والولد وكل شيء.

الرابعة: التي رآها الوليد واقتنع بها وآمن أنه نبي الله حقاً وصدقاً معركة بدر. لقد كان المسلمون قلة قليلة في العدد والعدة والسلاح وكانت قريش، وهم أهل المعارك والحروب في كثرة كثيرة من العدد والعدة والسلاح. وشاهد الوليد وهو في المعركة تساقط القتلى من المشركين دون أن

تتقدم إليهم سيوف المسلمين- وتساءل بينه وبين نفسه من يقتل هؤلاء. ولماذا لا يرى السيوف التي تطيح برقابهم. وأصبح هذا شغله الشاغل.

وعندما كان في الأسر ينتظر حضور إخوته لدفع فديته وسمع أحد المسلمين يردد قول الله تعالى الذي نزل على رسوله بعد غزوة بدر وهو:

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولُوهُمْ يُومِئِدْ ذِبْرَهُ إِلَّا مُحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُحْتَبِزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١)﴾.

عندها آمن إيماناً كاملاً بأن الملائكة كانت مع المسلمين في غزوة بدر وأن النصر الذي حققه المسلمون ما كان لهم أن يحققوه لو لم يكن الله معهم. لأن النصر من عند الله.

وجاء إخوته: ودفعوا فديته، وساروا به إلى مكة حتى بلغا به ذا الحليفة فأفلت منهم وأتى النبي - ﷺ - فأسلم وحسن إسلامه. فقال له خالد: هلا كان هذا قبل أن تفتدى وتخرج ماثرة أبينا من أيدينا فاتبعت محمداً إذ كان هذا رأيك..؟

فقال: ما كنت لأسلم حتى أفتدى بمثل ما افتدى به قومي، ولا تقول قريش إنما أتبع محمداً فراراً من الفدى.

ثم خرجا به إلى مكة وهو آمن لهما فحبسا بمكة مع نفر من بنى مخزوم كانوا أقدم إسلاماً منه. هما: عياش بن أبي ربيعة.

(١) سورة الأنفال الآيات من ١٢ - ١٦.

وسلمة بن هشام.

وكانا من مهاجرة الحبشة، فدعا لهما رسول الله - ﷺ -، قبل بدر، ودعا بعد بدر للوليد بن الوليد معهما.

فدعا ثلاث سنين لهؤلاء الثلاثة جميعاً.

ثلاث سنوات قضاها هؤلاء المسلمون الذين - قالوا ربنا الله - وكفروا بالأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر.

ولقد استطاع الوليد بن الوليد - بعد هذه الفترة الطويلة في سجن قريش أن يتفقت منهم وقدم على الرسول - ﷺ - بالمدينة.

ففرح به الرسول - ﷺ - وسأله عن عيَّاش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام.

فقال الوليد: يا رسول الله تركتهما في ضيق وشدة وهما في وثاق، رجل أحدهما في رجل صاحبه..؟

فقال له رسول الله - ﷺ - انطلق حتى تنزل بمكة على القين فإنه قد أسلم فتغيب عنده واطلب الوصول إلى عيَّاش وسلمة.

فدائية الوليد بن الوليد

واستجاب الوليد لأمر الرسول - ﷺ - وعاد مرة أخرى إلى مكة. عاد الفدائي إلى أرض الغضب والثورة على الإسلام والمسلمين عاد إلى مكة ليكون قريباً من القيد والحبس، ولكن الله معه وحافظه وأعانه الله على الوصول إلى مكان الأسيرين، وتسور عليهما البيت الذي حبسا فيه، وأخبرهما برغبة الرسول - ﷺ - وحطم قيودهما.

يقول الوليد: ففعلت ذلك فخرجنا وخرجت معهما فكنت أسوق بهما مخافة من الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى ظهر حرة المدينة.

وخرج خالد بن الوليد في أثرهما ومعه مجموعة من فرسان قريش،

ولكن عميت عليهم الطرق، وسدت أمامهم المسالك. حتى وصل وفد الإيمان إلى رسول الله - ﷺ - سالماً غانماً ما عدا إصبع الوليد بن الوليد فقد أدميت لاصطادمتها بحجر في الطريق - فقال ﷺ :

هل أنت إلا أصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت

وعاش الوليد بن الوليد في مدرسة النبوة قريباً من رسول الله - ﷺ -
يعب من هديه، ويتطلع إلى آخر ما نزل من الوحي على رسول الله - ﷺ -
ليكون دستور حياته ونوراً لقلبه وضياء لعينه. وكان مسجد الرسول - ﷺ -
هو ساحة العلم والتعلم. حيث صحابة رسول الله - ﷺ - الذين سبقوه إلى
رحاب الإيمان يجلس بين يديهم، ليتفقه في دينه، ويتعلم شريعة ربه، وأركان
الإسلام، وفقه الدين الحنيف.

الوليد بن الوليد في عمرة القضاء

شاهد الوليد - رسول الله - ﷺ - وصحابته يتجهزون ويعدون للسفر
عدته، لتكون وجهتهم بيت الله الحرام. لأداء العمرة والطواف بالبيت الذي
منعهم من الدخول إليه في العام السابق - كفار قريش.

وفيهما نزل قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ
ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١).

حتى سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ذلك فقال: يا رسول الله أفلم
تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ..؟

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٧.

قال: بلى. أفأخبرتكم أنك تأتية عامك هذا ٩٠٠ قال: لا.

قال النبي - ﷺ -: فإنك آتية ومطوف به.

وكان خروج الرسول - ﷺ - وصحابته إلى عمرة القضاء في ذي القعدة من سنة سبع.

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنها ودخلها المسلمون وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقيله

أعرف حق الله في قبوله

فاليوم نضريك على تأويله

كما ضريناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

وينهل الخليل عن خليله

فلما دخل رسول الله - ﷺ - أدخل بعض رداءه تحت عضده الأيمن، وجعل طرفه على منكبه الأيسر، وأخرج عضده اليمنى. ثم قال: رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة.

«ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا وراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول:

كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله - ﷺ - إنما

صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم. حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها.

وقد أقام الرسول - ﷺ - وصحابه بمكة ثلاثاً. فأتاه حويطب بن عبد العزى^(١) رسول قريش فى اليوم الثالث. وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله وصحابه من مكة بعد الثالث.

فقال: يا محمد إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ٩٩.

فقال النبى - ﷺ :

«وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً».

قال: لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا.

فخرج رسول الله - ﷺ - وخلف وراءه أبا رافع مولاه على ميمونة- التى كان قد خطبها- حتى أتاه بها بسرف. فبنى بها رسول الله ﷺ هناك.

ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى المدينة فى ذى الحجة.

وخرج الوليد بن الوليد معه.

لقد رفضت قريش بقاء الرسول - ﷺ - بمكة أياماً معدودة ولكن لم يمض على ذلك إلا فترة وجيزة من عمر الزمن- حتى دخلها مع جماعة المسلمين عنوة. وفر هؤلاء الرجال إلى الصحارى والجبال ليكون مقرهم مع الوحوش الفاتكة والحيوانات الضارية- وتم تطهير بيت الله الحرام من الأوثان والأصنام. وفتحت الكعبة أبوابها للركع السجود الذين آمنوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد. ونزل قول الله تعالى على رسوله:

(١) أحد مسلمة الفتح، أدركه الإسلام وهو ابن ستين سنة وأعطى من غنائم حنين مائة من الإبل، وأمره عمر بن الخطاب بتجديد الحرم وكان ممن دفن عثمان بن عفان. رأى الملائكة فى غزوة بدر تقتل وتأسر المشركين، وشهد صلح الحديبية مع سهيل بن عمرو، وشهد حنيناً والطائف مسلماً. ومات بالمدينة ٥٤هـ.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (١).

وتم النصر العزيز، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. ونتساءل: أين الوليد بن الوليد - رضي الله عنه؟

هل حضر فتح مكة؟ وشاهد هذا النصر العظيم؟

هل شاهد الذين عذبوه وسجنوه، وهم أذلاء يفرون إلى الصحارى والبرارى خوفاً من جيش الفتح.

إن أوثق المصادر تقول إنه مات متأثراً بجراحه إثر عودته إلى المدينة بعد رجوعه من عمرة القضاء، وكتب إلى أخيه خالد يدعوهُ إلى الإسلام.

وبكته نساء المدينة وذكرت فضائله أم سلمة بقولها:

يا عين فابكى الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد كان غيثاً في السنين ورحمة فينا وميره

كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيرة

فقال الرسول - ﷺ -:

لا تقولي هكذا يا أم سلمة، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (٢).

عن ابن سعد بسنده عن يحيى بن المنذر قال:

قالت أم سلمة بنت أبي أمية:

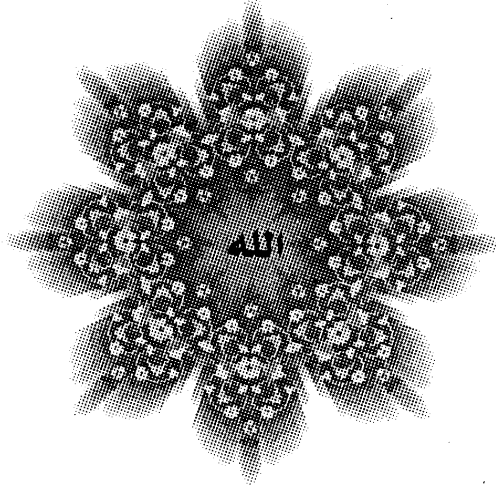
(١) سورة الفتح الآيات من ١ - ٢.

(٢) سورة ق آية رقم ١٩.

جزعت حين مات الوليد بن الوليد جزعاً لم أجزعه على ميت. فقلت
لأبكين عليه بكاء تُحدث به نساء الأوس والخزرج. وقلت غريب توفي في بلاد
غُرْبَة.

فاستأذنت رسول الله - ﷺ - في ذلك فأذن لي في البكاء.

رحم الله الوليد وأسكنه فسيح جناته.





الجهاد في سبيل الله

إن قوى البغى والعدوان منذ خلق الله البشر، وهى تعمل عملها فى دنيا الناس.

والمعركة مستمرة ودائمة بين أهل الإيمان وحزب الشيطان.

والصراع قائم بين أهل الهدى والضلال.

والحرب على أشدها بين عباد الرحمن وأبالسة الشيطان.

وعندما أخرجت قريش أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - من ديارهم وصبت عليهم العذاب ألواناً. انتصر الله لعباده.

وأنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - قرآناً يتلى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿١﴾.

عندها بدأت الفدائية المؤمنة تعمل عملها لصد عدوان المعتدين، وتخليص الفئة المؤمنة من طغيان عصابات الشرك والكفر.

وكان بداية ذلك عن طريق الفدائي المؤمن والصحابي الجليل مرثد بن أبى مرثد الغنوى والذى كلف من الرسول صلى الله عليه وسلم بفك أسارى المؤمنين المحتجزين بين مخالب قريش. ونقلهم إلى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم.

قال مرثد - رضي الله عنه - كنت تواعدت مع رجل من هؤلاء. فجئت فى نفس الموعد حتى انتهيت إلى حائط من حيطان مكة فى ليلة قمرء.

فجاءت «عناق» امرأة من قريش كان بينهما صداقة فى الجاهلية. فأبصرت سواد ظلى بجانب الحائط.

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩ - ٤٠.

فلما انتهت إلى عرفتي فقالت: مرثد.

قلت: نعم مرثد.

قالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة...؟

قال: قلت: يا عناق إن الله حرم الزنا.

وعندما تأكدت عناق من تصميمي على الرفض، ويأست من استجابتي لها.

قالت: يا أهل مكة: هذا الرجل هو الذي يحمل أسراكم إلى يثرب.

قال: وما هي إلا لحظات حتى تبغى ثمانية رجال- فسلكت جبال مكة، حتى انتهيت إلى كهف من كهوفها فاخبتأت فيه.

ولحقوا بي حتى قاموا على رأسي، ولكن الله أعماهم عني، ولما يتسوا من العثور على عادوا من حيث أتوا.

وعدت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ضخماً الجثة ثقيلاً حتى انتهيت إلى خارج مكة. فجلست وفككت عنه أساره.

ثم أخذت في حمله، وكلما ثقل على- جلست لاستريح ثم أعادوا الحمل والسير حتى قدمت المدينة. ووضعت أمام الرسول - ﷺ.

ولقد كانت هذه الفدائية تتكرر كثيراً في العديد من الأيام.

وفي يوم من الأيام أردت أن يكون بيت عناق مأوى لراحتي- وقري من المحتجزين واشركها معي فيما أقدم به من عمل إرضاء لله ولرسوله، وصالح المؤمنين.

فقلت يا رسول الله: أتزوج عناقاً..؟

فأمسك رسول الله - ﷺ - فلم يرد على شيئاً.

حتى نزل قول الله تعالى:

«الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (١).

فدعاني رسول الله - ﷺ - وقال: لا تتزوجها..؟

ثم اتسع نطاق الفدائية المؤمنة عن طريق الصحابييين الجليلين «أبي بصير وأبي جندل» رضي الله عنهما - ومعهما رفاق أشداء من حملة السلاح. والذين أجبروا قريش على التنازل عن شروطها المجحفة في صلح الحديبية - عندما قطعوا عليها طريق القوافل. واستولوا على كل ما تحمله قوافلهم من أموال وعروض التجارة..

وذهب زعيم قريش أبو سفيان بن حرب - ذليلاً خاضعاً للرسول - ﷺ - راجياً مستعطفاً أن يضم أبا بصير وجماعته إليه..

ولقد كان للوليد بن الوليد دوره الكبير في فك أسار المسجونين من صحابة الرسول - ﷺ - بمكة ونقلهم إلى يثرب.

من ذلك أن الوليد بن الوليد ما كاد يعلن إسلامه - حتى أغلقت أمامه المنافذ ووضع مقيداً محجوزاً هو وصاحبيه قرابة ثلاثة أعوام.

حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يفك قيده. خرج متستراً بظلام الليل إلى أن وصل إلى يثرب على قدميه..؟

وما كاد الوليد يلتقى بالرسول - ﷺ - حتى سأله:

كيف حال عياش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هشام..؟

قال الوليد: تركتهما في ضيق وشدة - وهما في وثاق واحد رجل أحدهما مع رجل صاحبه.

عندها قال له الرسول - ﷺ :

«انطلق حتى تنزل مكة على القين الأشجعي فإنه قد أسلم، فتغيب عنده

(١) سورة النور آية رقم ٢.

واطلب الوصول إلى عياش وسلمة..

فإذا تمكنت من ذلك فأخبرهما أنك رسول رسول الله. وهو يأمركما أن تخرجا حتى تتطلعا إليه.

قال الوليد: ففعلت ذلك فخرجا بعد أن كسرت قيدهما- وخرجت معهما، فكنت أسرع بهما مخافة الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى أبواب مدينة الرسول - ﷺ.

إنها الفدائية المؤمنة- التي استجابت لقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (١).

وعندما جمعت قريش جموعها وبطونها وقبائلها ثم تعاقدت مع حلفائها اليهود بالمدينة على حرب محمد والقضاء على أصحابها.

وعبر القرآن الكريم عن ما حل بأهل يثرب من الخوف والرعب بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (٢).

عندها تقدم نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - أحد الفرسان المفاويز والمحارب المحنك الخبير بنفوس الرجال.

إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إني أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي. فمرني بما شئت.

فقال رسول الله - ﷺ:

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة الأحزاب الآيات ٩، ١٠، ١١.

«إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت.. فإن الحرب خدعة».

عندها خرج نعيم حتى أتى يهود بنى قريظة- وكان لهم نديماً في الجاهلية- فقال:

يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم- وخاصة ما بينى وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال نعيم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد ببلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، ولا تقدرون التحول إلى غيره.

وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم.

فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل..؟

ولا طاقة لكم به إن خلا بكم..؟

فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تتاجزوه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأى..

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب، ومن معه من رجال قريش: قد عرفت ودى لكم وفرارى من محمد.

وإنه قد بلغنى أمراً قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكنتموا عني..؟

فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين

محمد- وقد أرسلوا إليه:

إنا قد ندمننا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم...؟
فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

عندها أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل لجماعة اليهود فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الإبل والخيول فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً. فقالوا: لسنا بالذين نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً.

فإننا نخشى إن نالت منكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا مع الرجل- والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك. وعندما عاد عكرمة بما قاله اليهود.

قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة. وقالوا: والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً. عندها قالت بنو قريظة: إن الذي ذكر لكم نعيم إنه لحق.

وخذل الله بينهم. وبعث عليهم الريح في ليال شاتية باردة فملأت قلوبهم بالرعب والخوف، وفروا هاربين إلى مكة. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قوياً عزيزاً.

أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الطَّلَبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ
بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(آل عمران ١٦٩ - ١٧٠)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

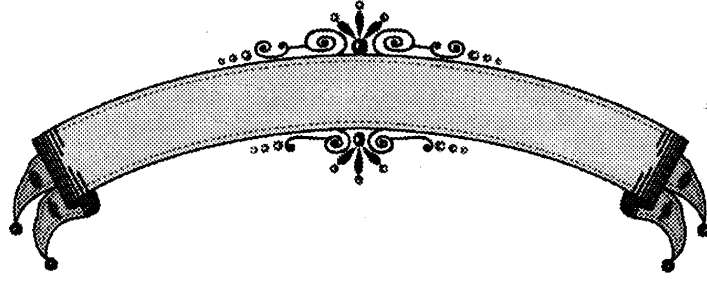
قال صاحب كتاب أسباب النزول نزلت في قتلى غزوة أحد من المسلمين. وتشمل كل مقتول شهيد في سبيل الله ومنهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

وذكره أبو داود في كتاب الجهاد ٢٥٢٠.

وكذلك الحاكم في المستدرک ٢: ٨٨ - ٢٩٧.

ومسححه ووافقه الذهبي في الموضعين. وأحمد بن حنبل في مسنده ١: ٢٦٦ وأخرجه ابن جرير في التفسير ٤: ١١٣ وذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية.

فمن هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب؟



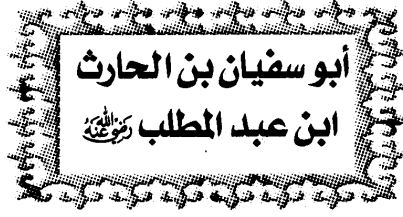
قال الرسول ﷺ:

«أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: من شباب أهل الجنة أو قال: أو
سيد فتیان أهل الجنة».

راجع الاستيعاب فی معرفة الأصحاب

١٦٧٥ : ٤





ولد قريباً من بيت الله الحرام. أول بيت وضع على ظهر المعمورة. والذي قال الله تعالى فيه:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وفتح أبو سفيان عينيه على أفواج الحجيج وهم يأتون من كل بقاع الأرض، يأتون زرافات وجماعات.

يأتون وكلهم شوق وحنين، ولهفة ورغبة للطواف بالبيت وأداء مناسك الحج والتقرب إلى الأوثان والأصنام. وتقديم القرابين لها. وذبح الذبائح تحت أقدامها.

وكان موسم الحج قبل البعثة المحمدية سوقاً رائجة.

للبضاعة المزجاة التي تأتي من كل أنحاء الكرة الأرضية.

وسوقاً رائجة للتجارة الرابعة والخير الوفير.

وما يحمله بعض الحجيج معهم من توابل وملابس وأطعمة.

(١) سورة آل عمران الآيتان ٩٦ - ٩٧.

وكان يقام في هذه المواسم: أسواق عكاظ، ومجنة، وذى المجاز، وفي هذه الأسواق. يتبارى الشعراء والحكماء.

ويبالغون في ذكر مفاخر القبيلة، ووصف الطبيعة، وذكر الهجر والقرب ودلال النساء. وشكاية المحبين.

وبعضهم: يصور المعارك والحروب والهزيمة والنصر، المعارك التي كانت تقام لأوهى الأسباب ويستمر اشتعالها العديد من السنين.

فتهلك الحرث والنسل، وتؤيم النساء بقتل الأزواج وتجعل الأمهات تكلى لقتل فلذات الأكباد!!

وكان أبو سفيان- وهو الفتى اليافع- حريصاً على مشاهدة ذلك كله، وتلتقط أذنه الواعية- كل ما يقوله الشعراء، أو يتلفظ به الحكماء، أو يلوح به الخطباء.

وترصد عيونه حركات الحجيج. لأداء المناسك.

يشاهدهم وهم يطوفون حول الكعبة.

يشاهدهم وهم يتجرعون من ماء زمزم.

يشاهدهم وهم يتزاحمون في السعى بين الصفا والمروة.

وكان يجد في ذلك لذة ونشوة تتسيه وقدرة الجوع، وشدة الظمأ، فإذا جاء المساء، وحلت ظلمة الليل.

أطلق ساقيه تسابقان الريح- إلى منزله- فإذا وصل إلى الدار ارتقى بين أحضان أمه- يقص على مسامعها- ما التقطته أذناه، وما شاهدته عيناه طول يومه.

حتى إذا قامت الأم لتضع له طعامه وشرابه- لم يكف عن الكلام، ولم ينقطع عن الثثرة- ورواية ما حدث. حتى يأتي الطعام ويأخذ في ازدراده.

فإذا أخذ كفايته من الطعام- تناول بعض التمرات- ويروح في نوم عميق.

والده: الحارث بن عبد المطلب بن هاشم- يسجل له التاريخ الكثير من المواقف العملاقة. مع أبيه عبد المطلب.

ومن أهمها- مشاركته أبيه في حفر بئر زمزم- ووقوف قريش ضد والده ورغبتها في مشاركة عبد المطلب فيها؟؟

ورفض عبد المطلب ذلك. فكان الحارث سفيراً فوق العادة بين أبيه وقريش. وجده: عبد المطلب بن هاشم الذي ذهب إلى أبرهة- صاحب الفيل الذي جاء لهدم بيت الله الحرام. فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وأجلسه بجواره. فقال عبد المطلب لترجمان أبرهة: مطلبى أن يرد على الملك مثتى بغير أصابها لى..؟؟

فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتى حتى رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتتى، أتكلمنى فى مثتى بغير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه..؟؟

قال له: عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه..؟؟

قال الملك: ما كان ليمتع منى..؟ قال عبد المطلب: أنت وذاك.

وحمى رب البيت بيته وهزم أبرهة هزيمة منكرة.

وعبد المطلب: هو الذى أُمِرَ بحفر زمزم لتكون شراباً سائغاً للحجيج وزوار البيت..؟؟

قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال: احفر طيبة..

قلت: وما طيبة..(١)؟

قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال احفر برة(٢).

(١) قيل لزمزم طيبة. لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم ﷺ.

(٢) قيل لها برة: لأنها فاضت على الأبرار وفاضت على الفجار.

قلت: وما برة..؟

قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فجاءني فقال:
احضر المذنونة.

فقلت: وما المذنونة^(١)..؟

قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فتمت فيه.
فجاءني فقال: احضر زمزم.

قلت: وما زمزم..؟

قال: لا تتزف^(٢) أبداً ولا تَذُم^(٣)، تسقى الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث
والدم، عند نقرة الغراب الأعصم^(٤)، عند قرية النمل^(٥).

فلما تيقن عبد المطلب مما يقوله الهاتف: غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث
ابن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فحضر فيها، فلما بدا لعبد المطلب
الحجارة التي طوى بها البئر. كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته،
فقاموا إليه فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك
فيها..

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من
بينكم..؟

فقالوا: فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها.

(١) قيل لها مذنونة: لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع بها منافق.

(٢) لا تتزف: لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٣) لا تَذُم: أي لا توجد قليلة الماء تقول: أذمت البئر إذا وجدت لها قليلة الماء.

(٤) الأعصم من الغريان: الذي في جناحه بياض. وقيل غير ذلك.

(٥) زمزم يرد إليها الحجيج من كل جانب ويحملون لها البر والشعير وهي لا تحرث ولا تزرع وكذلك
قرية النمل لا تحرث ولا تزرع وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب: راجع الروض الأنف وما
يعول عليه في قرية النمل.

قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه..؟

قالوا: كاهنة بنى سعد هذيم.

قال: نعم. وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض ذلك مفاوز.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فتى ماء عبد المطلب وأصحابه. فظلموا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم.

وقالوا: إنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم. قال لأصحابه: ماذا ترون؟

قالوا: ما رأينا إلا تبع لك. فمرنا بما شئت.

قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة بنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً واحداً. فضيعة رجل واحد أبر من ضيعة ركب جميعاً.

قالوا: نعم ما أمرت به.

فقام كل واحد منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد. ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون.

تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب. فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم. ثم دعا القبائل من قريش. فقال: هلم

إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاءوا فاشربوا واستقوا ثم قالوا: «قد قضى الله لك علينا يا هبى المطلب، والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً. إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، هو الذى سقاك زمزم. فرجع ورجعوا ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

فأبو سفيان هذا حفيد عبد المطلب بن هاشم.

وابن عم محمد - ﷺ - خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولكن الله تعالى - لأمر أراده - لم يشرح صدره للإسلام، ولم يجعله من أولئك السابقين المهاجرين الذين شملهم قول الله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ (١).

بل وقف فى وجه الدعوة إلى الإسلام - يصد عنه بالكلمة، ويعامل أتباعه بقسوة، وينال من الرسول - ﷺ - .

ينال من أخيه من الرضاغة، فقد أرضعتها حليلة السعدية.

واستمر على ذلك حتى أراد الله سبحانه وتعالى به الخير. فانضم إلى جند الله، ولكن المرة لیتساءل كيف غاب عن عقله نور النبوة وهدى الإسلام؟..

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

أبو سفيان مع المشركين فى غزوة بدر

غزوة بدر الكبرى- تلك الملهمة الرائعة التى نصر الله فيها المسلمين نصراً مؤزراً وهزم المشركين هزيمة منكرة.

وكان أبو سفيان من هؤلاء الذين خرجوا مع قريش فى جيش جرار يريدون أن ينالوا من محمد وصحابته.

يريدون بجهلهم وقصور عقولهم. إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكان مع أبى سفيان أخوه نوفل بن الحارث الذى وقع أسيراً فى أيدي جند الله المسلمين. الذين هياهم الله لإخراج الناس كل الناس، من عبودية الشرك إلى رحابة الإسلام.

ويصف أبو سفيان ما حدث فى غزوة بدر لأبى لهب فيقول:

«والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا.»

وايم الله ومع ذلك ما ملت الناس على هزيمتهم.

لقد لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق- بين السماء والأرض- والله ما تبقى شيئاً ولا يقوم لها شيء.

عندها قال أبو رافع، مولى العباس بن عبد المطلب- وكان قريباً من مجلسهم- تلك والله الملائكة.

قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة..

ونتساءل هل نزلت الملائكة وحاربت المشركين فى غزوة بدر..؟

إن بعض المنافقين ينكر ذلك..

وإذا لم تكن الملائكة- فما هو الشيء الذى رآه أبو سفيان بين السماء

والأرض..؟

إنه يقول: إنه رأى رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض.
أتكون هذه خيالات.

ولكن أبا سفيان شاهد سيوفهم- وهي تحصد رقاب أصحابه وأتباعه
من المشركين وشاهد هذه الرقاب- والرؤوس وهي تندرج على الأرض..؟
إذن ما رآه أبو سفيان لم يكن أوهاماً ولم يكن نوعاً من الخيالات ولكنه
كان حقيقة مجسمة شاهدها ورآها عن قرب - وهو في قلب المعركة.
ومما يؤكد ذلك ويجزم بصدقه قول الرسول - ﷺ - الذي رواه الإمام
صاحب الموطأ بسنده عن طلحة بن عبيد قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما رثى
إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيط من يوم عرفة».

قالوا: لما يا رسول الله؟

قال: وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب. إلا ما رأى
يوم بدر..؟

قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر..؟

قال: أما أنه رأى جبريل يدفع الملائكة.

وعن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه
راية في صورة رجل من بني مدلج وقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من
الناس، وإنى جار لكم».

وجاء الشيطان في صورة سراقه بن مالك. فلما اصطف الناس أخذ
رسول الله - ﷺ - قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فلولوا
مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من
المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته. فقال الرجل: يا سراقه
تزعّم أنك جار.. ثم تولى وتهرب منا؟ قال: «إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف

الله- وذلك حين رأى الملائكة: ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

أما نوفل بن الحارث الذي قلنا وقع أسيراً، فقد قال له الرسول -ﷺ-
«افد نفسك...»؟

قال: ليس لي مال أفتدي به..

قال: افد نفسك بأرماحك التي بجدة.

قال: والله ما علم أحد أن لي بجدة أرماحاً غير الله تعالى. أشهد بأن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. ونوفل: كان ممن ثبت مع الرسول ﷺ- يوم حنين. وأعان رسول الله -ﷺ- عند الخروج إلى حنين بثلاثة آلاف رمح. فقال ﷺ:

كأني أنظر إلى أرماحك هذه (وهي) تقصف ظهور المشركين.

إسلام أبي سفيان بن الحارث

خرج الرسول -ﷺ- في عشرة آلاف مقاتل لغزو قريش وعميت الأخبار عن قريش حتى نزل مرَّ الظهران وفي مكان «نيق العقاب» فيما بين مكة والمدينة إلتقى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أمية بن المغيرة برسول الله -ﷺ- وإلتمسا الدخول عليه فكلَّمته أم سليم فيهما. فقالت: «يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك.

قال: لا حاجة لي بهما.. أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذي قال لي بمكة ما قال...؟»

(١) سورة الأنفال آية رقم ١٢.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بنى له.

قال: والله ليأذن لي أو لأخذن بيدي بنى هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فقال علي بن أبي طالب - عليه السلام - لأبي سفيان بن الحارث: إيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه. ففعل ذلك أبو سفيان.

فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

وقبل منهما، وأسلما وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه، واعتذاره مما سلف منه:

لعمرك إنى يوم أحمل راية
لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمظلم الحيران أظلم ليله
فهذا أوانى حين أهدى فاهتدى
هدانى هادٍ غير نفسى ودلتنى
على الله من طردته كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد^(٢)

قال ابن اسحاق: فذكروا أنه حين أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله: «من طردته كل مطرد» ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد.

(١) سورة يوسف آية رقم ٩٢.

(٢) راجع الاستيعاب ٤: ١٦٧٥.

أبو سفيان في موقعة حنين

وشهد أبو سفيان غزوة حنين، وأبلى فيها بلاءً حسناً عندما فرَّ جماعة من المسلمين، ولم يفر يومئذ، ولم تفارق يده لجام بقلّة رسول الله - ﷺ - حين انصرف الناس عنه - وغزوة حنين التي نزل فيها قول الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

لقد كان أبو سفيان بن الحارث - يشبه النبي - ﷺ - وكيف لا يكون كذلك، وهو ابن عمه وأخوه من الرضاعة، وعمرهما متقارب لهذا كان الرسول - ﷺ - يحبه بعد إسلامه، وشهد له بالجنة.

وكان ﷺ يقول له: «أرجو أن تكون خلفاً من حمزة - ﷺ - وهو أيضاً معدود من فضلاء الصحابة.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ - : «أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة، أو سيد فتيان أهل الجنة».

وعندما حضرته الوفاة: قال لأهله وأولاده: لا تبكوا عليّ، فإنني لم أتلطخ بخطيئة منذ أسلمت. وبشرني الرسول بالجنة..

إنه طاهر الظاهر والباطن. قريب من الرسول - ﷺ - لم يفارقه منذ إسلامه وكان دائماً معه في حله وترحاله، في ظعنه وإقامته، في سلمه وحربه.

وكيف يفارقه - بعد أن فتح الله بصيرته وشرح صدره للإسلام، إنه لم يفعل.

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٥ - ٢٦.

حتى كان يوم ليس كمثله يوم نعى الناعى إليه خاتم النبيين ورسول البشرية كلها إلى يوم الدين- وصاحب الدين الذى لا يقبل الله من أحد غيره قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢).

فكان الحزن كبيراً لفراق أحب الخلق إلى الله، وقال مرثيته الحزينة والتي بدأها قائلًا:

أرقت فـبـات ليلى لا يزول

وليل أخى المصيبة فيه طول

لقد عظمت مصيبتنا وجلت

عشية قيل قد قبض الرسول^(٣)

وهى طويلة جداً وتعد من عيون الشعر العربى بعامه. ثم ختمها بقوله:

أفـاطـم إن جـزعت فـذاك عـذر

وإن لم تجزعى ذاك السبيل

فـقـبر أبـيك سـيد كل قـبر

وفيه سـيد النـاس الرـسول

رحم الله أبا سفيان بن الحارث بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين وأسكنه فسيح جناته.

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٩.

(٢) راجع أسد الغابة ٦: ١٤٧.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٨٥.



أخلاقيات المجتمع المسلم..

هناك مجموعة من الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلمون بعامية وهي صفات لا بد منها لمن يكون عمله يتصل اتصالاً مباشراً مع أفراد المجتمع. وهذه الصفات لا شك لها دور هام في إنجاز الأمور. وحل المشكلات. وإدخال الطمأنينة والارتياح في نفوس من يتعامل معه. حتى يحقق له ما يريد. ومن أولى هذه الصفات الصدق.

أولاً : الصدق من أخلاقيات المجتمع المسلم، الصدق في كل شيء، وتحريره في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، وهو دعامة ركينة في أخلاقيات المؤمنين القانتين الذي يعلمون أن الله معهم في كل وقت وحين. وعلى صاحبها محاربة الظنون، ونبذ الشائعات، والبعد عن الظنون، لأن الحقائق الثابتة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتتغلب. يقول الرسول ﷺ :
«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (١).

وقال أيضاً: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة».

وقد نعى القرآن الكريم على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرتهم ومستقبلهم بالكاذب فقال:
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في الوصايا ٨ والنكاح ٤٥ والفرائض ٢ والأدب ٥٧، ٥٨ ومسلم في البر والترمذي في البر ٥٦ وصاحب الموطأ في حسن الخلق ١٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢ (حلبين).
(٢) النجم آية رقم ٢٢.

ولقد كانت المعالم الأولى لأصحاب الوظائف العامة في الدولة الإسلامية صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط العمل.

أما الكذب وسوء الأخلاق، والتدليس والافتراء فهي أمارات النفاق وانقطاع المصلحة بشرع الله تعالى.

والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءً.

ولقد سئل رسول الله - ﷺ -

أَيُّكُمْ الْمُؤْمِنُ جَيَانًا؟..

قال: نعم.

قيل له: أَيُّكُمْ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟..

قال: لا. الْمُؤْمِنُ لَا يَكْذِبُ.. (١)

فإلصحافي: الذي ينشر على الألواف خبراً باطلاً لا يصلح أن يكون موظفاً عاماً في دولة الإسلام. والسياسي الذي يعطي الناس صوراً مقلوبة عن المسائل الهامة في الدولة، لا يصح أن يكون والياً عاماً على المسلمين، وذو الغرض الذي يعتمد سوق التهم على الكبير والصغير من الرجال والنساء لا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون موظفاً عاماً توضع بين يديه مصائر الشعوب ومتطلبات الأفراد.

وهناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الرؤساء ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، فيكيل الثناء جزافاً ويرسل حبات المدح أطناناً. وربما وصف بالعدالة الولاة الجائرين ووصف بالشجاعة الأغنياء الخواريين، ابتغاء عرض من الدنيا. عند هؤلاء وأولئك. هذا وأمثاله لا يصح للوظائف العامة.

(١) الحديث أخرجه صاحب الموطأ في كتاب الكلام ١٩ بسنده عن صفوان بن سليم قال: وذكره.

والتاجر الذى يكذب فى بيان سلعته، ويغالى فى عرض ثمنها والشارى الذى يبخس ثمنها. هؤلاء وأمثالهم يفسدون المجتمع، ويعطلون الشرع ويقوضون صروح العدالة. والمحتسب الذى يترك هؤلاء، ولا يضرب على أيديهم ويظهر الأسواق من ضلالهم لا يصلح أن يتولى وظيفة عامة.

ثانياً: الإخلاص: نقول إن البواغث التى تسوق المرء إلى العمل، وتدفعه إلى إجادته وتجويده وتغريه بتحمل التعب فيه، أو بذل الكثير من أجله لا شك أن الإخلاص يكون أحد هذه العوامل.

وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، وصلاح النية يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

قال: ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدق.

فالرجل يواقع امرأته يريد أن يحفظ عفافه، ويصون دينه، له فى ذلك أجر «وفى بضع أحدكم صدقة» (١).

والمرء ما دام قد أسلم وجهه لله وأخلص نيته، فإن حركاته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله.

حدث فى غزوة العسرة أن تقدم إلى رسول الله - ﷺ - رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم فى سبيل الله غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم، فعادوا وفى حلوقهم غصة لتخلفهم عن الميدان، وفيهم نزل قول الله تعالى:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (٢).

ولذلك نوه الرسول - ﷺ - بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم فقال للجيش

(١) أخرجه الإمام مسلم فى الزكاة ٥٢ وأبو داود فى التطوع ١٢ والأدب ١٦٠ وأحمد بن حنبل فى المسند ٥: ١٦٧، ١٦٨ (حلبى).

(٢) سورة التوبة آية رقم ٩٢.

السائر لملاقاة الأعداء:

«إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً، ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر».

فالنية الصالحة تضافى على صاحبها القبول الواسع، والنية المدخولة تتضمن إلى العمل الصالح، فيستحيل بها إلى معصية تستجلب الويل. قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (١)﴾.

ولا شك أن إخلاص العبد صاحب الوظيفة العامة ينطفئ رويداً رويداً كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعد الصيت، والرغبة في العلو والافتخار، وذلك لأن الله يحب العمل النقي من الشوائب المكدرّة.

ومن الصفات أيضاً التي يجب أن يتصف بها صاحب الوظيفة العامة.

ثالث: الصبر

يقول الرسول - ﷺ - «الصبر ضياء» (٢).

فإذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت المصائب وطال ليلها فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبیط. ورجل الوظيفة العامة يجب أن يتحلّى بالصبر، حتى لا يفضبه صاحب حاجة، ولا يؤثر عليه إلحاح ملح عجول. وقد أكد الله تعالى أن ابتلاء الناس لا مفر منه، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة، فلا تذهلهم المفاجآت.

(١) سورة الماعون الآيات من ٤ - ٧.

(٢) رواء مسلم في الطهارة ١ والترمذى في الدعوات ٨٥ والنسائي في الزكاة ١ وابن ماجه في الطهارة ٥.

قال الله تعالى: ﴿وَلَبَّوْا نَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(١).

وقال الشاعر الصابر:

عرفنا الليالى قبل ما نزلت بنا

فلما دهمتنا لم تزدنا بها علماً

وسنة العظمة والصبر على متطلبات الحياة، والصبر على سخافات الناس ولؤمهم هي التي أوحى لقائد أمريكي كبير أن يقول:

«لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن اسأل الله أن يقوى ظهرك، إن خفة الحمل، وفراغ اليد، وقلة المبالاة صفات قد يظفر الأطفال منها بقسط كبير، لكن مشاغل العيش، وهموم الواجب، ومرارة الكفاح، واستدامة السعى هي أخلاق المجاهدين البنائين في الحياة».

والتريث والمصابرة خصال تتسق مع سنن الكون القائمة ونظمه الدائمة فالزراع لا ينبت ساعة البذر، والجنين يظل في بطن الحامل شهوراً حتى يستوى خلقه، وقد أعلمنا الله عز وجل أنه خلق العالم في ستة أيام. فأصحاب الوظائف العامة، لماذا يقلقون ولا يصبرون...؟

ولماذا هم ساخطون، ولا يرضون...؟

إن عملهم أشرف الأعمال، ومهنتهم من أرقى المهن ما داموا يعملون لسد حاجة المجتمع وإسعاد أفرادِهِ.

أما الصبر على النكبات، والصبر على تقلبات الأيام، والصبر على فراق الأحبة، فهذا من عزائم الرجال.

عن القاسم بن محمد قال: هلك امرأة لى. فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزىنى بها فقال: إنه كان فى بنى إسرائيل رجل فقيه، عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة وكان بها معجباً. فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً

(١) سورة محمد آية رقم: ٢١.

حتى دخل في بيت وأغلق على نفسه واحتجب، فلم يكن يمكن أحداً من الدخول عليه فسمعت به امرأة من بنى إسرائيل فجاءته فقالت: «إن لى إليه حاجة استفتيه فيها، وليس يكفينى إلا أن أشافهه بها ولزمت بابه..»

فأخبر بها. فأذن لها.

فقالت: استفتيك فى أمر.

قال: وما هو..؟

قالت: إنى استعرت من جارة لى حلياً فكنت ألبسه زماناً ثم إنها أرسلت تطلبه فأرده إليها..؟

قال: نعم والله.

قالت: إنه مكث عندى زماناً.

فقال: ذاك أحق لردك إياه..؟

قالت له: يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك..؟

وهو أحق به منك..؟

فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها^(١).

رابعاً: الوقت: على رجل الوظيفة العامة أن يهتم بالوقت اهتماماً كبيراً، لأن كل مفقود عرضة أن تسترجعه، إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل. ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه إنسان.

ومن الحكم التى تغيب عن بال الجماهير: الواجبات أكثر من الأوقات، والزمن لا يقف محايداً، فهو إما صديق ودود، أو عدو لدود.

ومن كلمات الحسن البصرى:

«ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قبل الحق: يا ابن آدم، أنا خلق

(١) ذكره الإمام مالك فى الموطأ.

جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود منى بعمل صالح، فإننى لا أعود إلى يوم القيامة. ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير، ورغبته فى أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يتتبع الرغبة القوية فى ألا يضيع سائره سدى وفى الحديث: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»^(١).

ولأنه لمن الغفلة والحرمان أن يألف أقوام النوم حتى الضحى، فتطلع عليهم الشمس وهم يغطون فى نوم عميق، على حين تطلع على آخرين وهم منهمكون فى وسائل معاشهم ومصالحهم.

روى أن فاطمة بنت محمد- رضوان الله عليها- قالت:

«مرّ بى رسول الله - ﷺ - وأنا مضطجعة متصبحة فحركنى برجله ثم قال: يا بنية قومى اشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

إذ أن الجادين والكسالى يتميزون فى هذا الوقت فيعطى كل امرئ حسب استعداده من خير الدنيا والآخرة.

خامساً: الرحمة

الرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته شملت الوجود كله، وعمت الملكوت بأسره، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شئ أشرق معه شعاع الرحمة الفاعمة ولذلك كان من صلاة الملائكة:

«رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ»^(٢).

(١) الحديث رواه الترمذى فى البيوع ٢٦، وابن ماجه فى التجارات ٤١، وأحمد بن حنبل فى المسند ١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ (حلبى).

(٢) سورة غافر آية رقم ٧.

وقد جاء في الحديث القدسي عن رب العباد: «إن رحمتي تغلب غضبي»^(١). وما ترى في الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثر من رحمة الله التي أودع جزءاً منها في قلوب الخلائق.

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمستكبرين فهم في الدرك الأسفل من النار وفي الحديث: «إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب».

إن القسوة في خلق إنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ أمة دليل فساد خطير، فلا عجب إذ حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسوق عن أمر الله وسر الشرود عن صراطه المستقيم قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢).

والإسلام رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم. وقد قال الله لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقد تأخذ الرحمة طابع القسوة، وليست كذلك: إن الأطفال عندنا يساقون إلى التعليم كرهاً، ويحفظون الدروس زجراً، ولو تركوا وأهواءهم لقتلهم اللهو واللعب، ولشبوا لا يحسنون صنعاً.

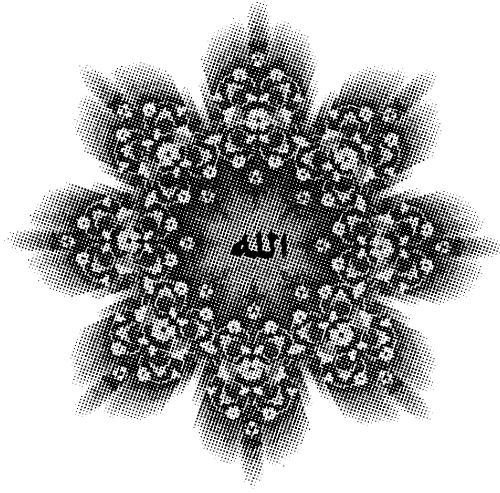
والطبيب عندما يجرى بالجسم جراحة يستخدم مبضعه لتمزيق اللحم، وقد يضطر لت هشيم العظام وبتراً أعضاء، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمرضى. فليست الرحمة حناناً لا عقل له، أو شفقة تتكرر للعدل والنظام، كلا إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعاً.

(١) الحديث رواه البخاري في التوحيد ٥٥، وبدء الخلق ١، ومسلم في التوبة ١٤-١٦ وابن ماجه في الزهد ٣٥، وأحمد بن حنبل ٢: ٢٤٢، ٢٥٨ (حلبى).

(٢) سورة الحديد آية رقم ١٩. (٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

إن منظر الرجل وهو تضرب رقبتة بالسيف قصاصاً قد يثير الشفقة والرحمة، وكذلك منظر المشنوق وجسمه يتأرجح في الهواء. ولكن لو أطلق سراح القاتل لأصبحت الأرض فوضى قال تعالى:
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

إننا نريد من صاحب الوظيفة العامة في الدولة الرحمة التي لها عقل حتى تقيم العدل وتزن الموازين بالقسط وتساهم مساهمة فعالة في سير عجلة الحياة إلى الأمام. فهل نحن فاعلون. نرجو من الله تعالى أن يتحقق ذلك هذا وبالله التوفيق.



(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

بِإِذْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ النَّزْدِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ
حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ
يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ
شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

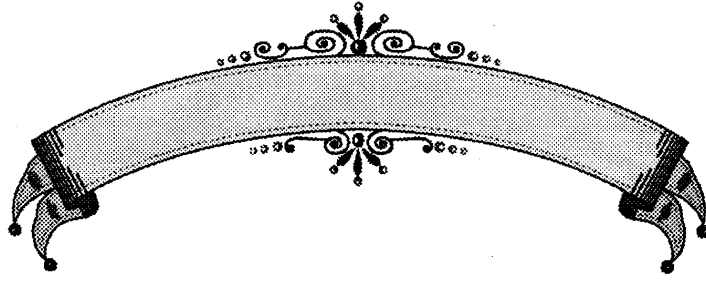
(البقرة آية: ١٥٨)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الإمام الواحدي صاحب كتاب أسباب النزول نزلت في الأنصار
وبلال بن الحارث منهم.

كانوا يحجون لمناة، وكانت مناة حذوقديد وكانوا يتخرجون أن يطوفوا
بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل
الله تعالى هذه الآية.

فمن هو بلال بن الحارث.



قال علقمة بن وقاص: ويحك يا فلان..؟

إنك تدخل على هؤلاء الأمراء فتضحكهم وإنى سمعت بلال بن الحارث يقول لى: إنك أصبحت اليوم وجهاً من وجوه المهاجرين، وإنك تدخل على هذا الإنسان يعنى مروان، وإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «يكون بعدى إمراء من دخل عليهم فليقل حقاً، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة يرضى بها السلطان، فيهورى بها أبعد من السماء».

تهذيب ابن عساكر

٣: ٣٠١-٣٠٢





حياته ونشأته:

عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من فرسان المعارك.
ومحارب لا يهاب الموت، ومهاجر يطلب الشهادة من ربه.
ومخلص لربه: لم يطلب شيئاً من أمور الدنيا من أحد، ولم يذهب إلى
أحد من الولاة إلا أن يطلب خيراً.
وعفيف مؤمن لم يتطلع إلى حطام الدنيا، ولم تغره بزخرفها الخادع ولا
ببريقها المتوهج.
نشأ في بادية المدينة حيث الأرض المبسوطة، والسماء المكشوفة،
والشمس الساطعة، والليل الساجي والقمر المنير، وشب على سهوات الخيل
وتعلم الصيد والقنص، واستعمال السيف، ورمى الرمح، وإصابة الهدف.
وينسب إلى قبيلة مزينة تلك القبيلة التي كان لها دائماً دوى في سمع
التاريخ وذلك لكثرة فرسانها، وأصالة خيولها، وكثرة خيراتها.
واتصاف أهلها بالكرم والسخاء واکرام الضيف ولهذا كانت إذا أقبل
الليل يشعلون النيران حتى يراها غريب الديار أو من انقطعت بهم الطرق،
وما كان أكثرهم في هذا الزمان البعيد.. ٩٩

بلال بين يدي الرسول ﷺ

وفد إلى الرسول - ﷺ - رؤساء مزينة في رجب سنة خمس وجاء معهم بلال بن الحارث - رضي الله عنه - فنزل في أعالي المدينة - وعاد الوفد وبقي بلال ليتقنه في دينه ويستمع إلى رسول البشرية: وهو يعلم أمته عن طريق الوحي المتتابع سنن الوجود، ودستور الحياة، وكيف يكون تعمير الأرض، والسعى في فجاجها إلى طريق إلى الآخرة. وفي مجلس الرسول - ﷺ - يقول بلال: يا رسول الله إن لي مالا لا يصلحه غيري، فإن الإسلام لا يصح إلا لمن هاجر ومعه ماله فأخبرني ماذا أفعل..؟

فقال ﷺ: حيثما كنتم واتقيتم الله تعالى لم ينقصكم من أعمالكم شيئاً^(١).

إن الله سبحانه وتعالى: يحاسب عبده على النية - فإذا كان العمل خالصاً لله تعالى فله الجزاء الأوفى والدرجات العلى.
وإن كان العمل لدنيا يصيبها أو مال يحوزه، أو امرأة يريد بها، كان عمله هباء لا يساوى شيئاً في ميزان الله تعالى.

ويتابع بلال مجالس الرسول - ﷺ - ويرهف أذنيه إلى كلمات الرسول - ﷺ - وهو يقول:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له به سخطه إلى يوم يلقاه»^(٢). وتحفر هذه الكلمات في ذهن بلال وتكر الأيام وتتوالى السنون

(١) الحديث رواه البخارى في الزكاة ١٧، والبيوع ١٢، ومسلم في الزكاة ٧٩، وأبو داود في الزكاة ٤٤، وأحمد بن حنبل في المسند ٦: ٢٧٨.

(٢) الحديث أخرجه البخارى في الرقاق ٢٣، والترمذى في الزهد ١٢، وابن ماجه في الفتن ١٢، وصاحب الموطأ في الكلام ٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٣٣٤: ٤٦٩ (حلبى).

ولكنها لا تغيب هذه الكلمات عن ذاكرته.

يقول علقمة: أقبلت يوماً راكباً فناداني بلال فوقففت له فجاءني وقال لي: إنك أصبحت اليوم وجهاً من وجوه المهاجرين، وإنك تدخل على هذا الإنسان يعني مروان- وإنى سمعت رسول الله - ﷺ يقول: يكون بعدى أمراء من دخل عليهم فليقل حقاً. وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة يرضى بها السلطان فيهنوئ بها أبعد من السماء.

إن بلال يطالب جماعة المسلمين كما أخبره حبيبه رسول الله - ﷺ أن يقولوا الحق ويلتزموا الصدق، ويكونوا نصيحة لولاة الأمر، فإن أصاب الولاة: كانوا لهم عوناً وجنداً.

وإن أخطأ الولاة جابهوهم بكلمة الحق والصدق. ولهذا يقول الرسول - ﷺ: أفضل الإيمان كلمة حق عند سلطان جائر.

وما كاد علقمة يسمع ما تلفظ به بلال من قول الرسول - ﷺ حتى ينزل من على فرسه ويجلس طالب علم وفقه في مجلس بلال: ويقول له: زدني يا أخى يا بلال عما سمعته من الرسول - ﷺ؟
يقول بلال: سمعت رسول الله - ﷺ يقول:

«تكون فتنة تستأصل العرب، قتلها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف».

يقول علقمة: ولماذا يا أخى يا بلال قتلها في النار؟

يقول بلال: إنما كانوا في النار لأنهم ما قصدوا بالقتال إعلاء كلمة الله، ودفع ظلم، أو إعانة أهل حق، وإنما قصدوا التباهى والتفاخر. وفعلوا ذلك طمعاً في المال والملك.

يقول: علقمة زدني يا بلال: زادك الله فقهاً وعلماً..؟

يقول بلال: سمعت من معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي - ﷺ في

سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه- ونحن نسير- فقلت يا رسول الله- أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار..؟
قال ﷺ: لقد سألت عظيماً، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله تعالى لا تشرك به شيئاً.

وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة.

وتصوم رمضان وتحج البيت.

ثم قال ﷺ: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ:
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾
(١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾.

ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه..؟ الجهاد.

ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله..؟

قلت: بلى. يا رسول الله.

فأخذ بلسانه فقال: تكف عليك هذا.

قلت: يا نبي الله: وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به..؟

قال: ثكلتك أمك يا معاذ..؟ هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟^(٢).

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦-١٧.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه في كتاب الفتن ٣٩٧٣ بسنده عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -ﷺ- وذكره.

بلال في فتح مكة

كانت الأسباب التي دعت الرسول -ﷺ- المسير إلى مكة وفتحها أن قبيلة بني بكر حلفاء قريش اعتدوا على قبيلة خزاعة حلفاء الرسول -ﷺ- وعاونت قريش بني بكر على حلفاء الرسول -ﷺ-.

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على الرسول -ﷺ- بالمدينة، فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم. ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

ثم خرج أبو سفيان بن حرب زعيم قريش حتى قدم على رسول الله -ﷺ- المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله -ﷺ- طوته عنه..؟

فقال: يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني..؟

قالت: بل هو فراش رسول الله -ﷺ- وهو رجل طاهر، وأنت رجل مشرك نجس، ولا أحب أن تجلس على فراش رسول الله -ﷺ- قال: واللّه لقد أصابك يا بنية بعدى شرٌّ.

ثم خرج حتى أتى رسول الله -ﷺ- فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله -ﷺ- فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه. فسمع منه ما لا يسره، ثم خرج فدخل على عليّ ابن أبي طالب وكلمه وقال له: اشفع لي إلى رسول الله -ﷺ-.

فقال علي: ويحك يا أبا سفيان، واللّه لقد عزم رسول الله -ﷺ- على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

قال: يا أبا الحسن انصحنى إنى أرى الأمور قد اشتدت على..؟

قال علي -رضي الله عنه- واللّه ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً؟..

قال لا والله ما أظنه. ولكنى لا أجد لك غير ذلك..؟

وعاد أبو سفيان إلى مكة يجز أذيال الخزى والفشل..؟

تجهيز الرسول - ﷺ

ثم إن رسول الله - ﷺ - أمر أهله أن يجهزوه - وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة - وأمرهم بالجد والتهيؤ. وقال:
«اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فتجهز الناس.

ثم بعث رسول الله - ﷺ - بلالاً، وعمر بن عوف إلى مزينة يستنفرهم للقتال. فجاءوا وكان عددهم ألفاً فيهم مائة فارس، ومائة دارع ويحملون ثلاثة ألوية: لواء مع النعمان بن مقرن، ولواء مع بلال بن الحارث ولواء مع عبد الله بن عمرو.

إن هذه القبيلة لها دور كبير في المعارك والحروب في الجاهلية والإسلام ورجالها رجال صدق. ولقد عملوا جاهدين على نشر الإسلام والقضاء على الفئة الباغية التي تقف في طريق اعتناقه.

واكتمل جيش الفتح وسار بهم القائد - بعد أن بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل - ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار: وتابعوا سيرهم حتى وصلوا مرَّ الظهران فنزلوا به.

عندها قال العباس بن عبد المطلب: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله - ﷺ - مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

ثم جاء أبو سفيان فاستأمنه العباس وذهب به إلى الرسول - ﷺ - وقال:

يا رسول الله: هذا أبو سفيان قد أتاك مسلماً...؟

فقال رسول الله: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به،
قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول
الله - ﷺ - فأسلم وحسن إسلامه.

فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر: فاجعل له
شيئاً.

فقال ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو
آمن.

عندها قال العباس: يا أبا سفيان: النجاء إلى قومك...

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش: هذا محمد قد
جاءكم فيما لا قبل لكم به.

فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

ودخل رسول الله - ﷺ - المسجد الحرام، وكسّر الأصنام بداخله
 واجتمعت له الناس فقال: لا إله إلا الله، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده
 وهزم الأحزاب وحده.

يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم...؟

قائوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم...

عندها قال ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء...؟

بلال على أرض أفريقيا...

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

إذن الرسالة ليست خاصة بالجزيرة العربية، ولا لمن جاورها، ولكنها للبشرية قاطبة. الذين يقنطون الكرة الأرضية.

ومن هذا المنطلق أصدر الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في بداية مبايعته بالخلافة- أن يتوجه المسلمون إلى أفريقيا- يدعواهم إلى الإسلام. وإلى كلمة التوحيد. وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام، والشمس والقمر واستجاب المسلمون لأمر خليفتهم وساروا على خيلهم ودوابهم إليها وهم عشرون ألفاً بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح.

ورافق الجيش عدد كبير من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وبلال بن الحارث - رضي الله عنه - وغيرهم. وفي الطريق إلى أرض أفريقيا التقى بهم ملك البربر في عشرين ومائة ألف، وقيل في مائتي ألف..

وما كاد الجيشان يلتقيان. حتى أصدر القائد أمره لجيشه، بالإحاطة بجيش المسلمين عندها وقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه. ولا أخوف عليهم منه..

قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك من وراء الصفوف، وهو راكب فرسه، وجاريتان تظلاله بربيش الطواويس.

فذهب إلى عبد الله بن أبي سرح ومعه الصحابي: بلال بن الحارث. فسألناها أن يبعث معنا من يحمي ظهرنا. ونقصد الملك..

فجهز معنا جماعة من الشجعان. وذهبنا متوجهين إليه، حتى اخترقنا

(١) سورة سبا آية رقم ٢٨.

الصفوف وهم يظنون أننا نحمل رسالة إلى الملك.

فلما اقترينا منه أحس منا الشر ففر إلى فرسه فلحقته فطعنته برمحى وحمل عليه بلال بسيفه. ثم أخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر تفرقوا وفروا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. وغنموا منهم غنائم كثيرة وأموالاً لا تحصى ولا تعد. ٩١.

ثم اتجه الجيش إلى الزنبقة السوداء، إلى الأرض الطيبة- ذات الخيرات الكثيرة، والمزارع الواسعة، والبساتين الممتدة ذات الثمر الكثير والخير الوفير.

ثم تتابعت الرسل بين الجيشين. ٩٢.

فاجتمع أهلها على الطاعة والإسلام. وتعالى أصواتهم المجلجلة- والتي تخترق عنان السماء. بكلمتى:

«لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وهكذا دخل الرجال والنساء والأطفال السمر الوجوه، البيض القلوب إلى ساحة الإسلام- ومرقاً الأمان.

واستطاعت هذه الفئة المؤمنة- أن تقطع آلاف الأميال. تنشر الإسلام فى تلك الأفاق البعيدة. ٩٣.

والأحراش المتشابكة. دين الله الحق.

خاتم الأديان السماوية. الذى جاء على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله- ﷺ.

ودخل نور الإسلام إلى تلك البقاع.

فنظف أبدانهم بالماء.

وطهر أرواحهم بالصلاة.

وأوجد لهم الإرادة بالصوم.
وعالج مرضاهم بالصدقة.
ونمى أموالهم ومدخراتهم بالزكاة.
ثم أخرجهم فى رحلة الإيمان حيث مهبط الوحي. وأنوار النبوة إلى أداء
فريضة الحج.
الحج إلى بيت الله الحرام مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام.
الحج الذى يجتمع المسلمون فيه فى كل عام. فيكون قوة لهم بالتشاور
والتحالف وجمعاً لجموعهم المتتابة بالتعارف والتآلف.
وهتف الوجود كله بقول الله تعالى:
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا
(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ (١).
وأخرج ابن سعد عن أبى بشير المزنى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «من
وجدتموه يقطع من الحمى شيئاً فلكم سلبه».
وكان رسول الله - ﷺ - يستعمل عليه بلالاً بن الحارث المزنى، وعهد إليه
به أبو بكر وعمر، وعثمان ومعاوية. فمات بلال فى خلافة معاوية - رضي الله عنه -.

(١) سورة النصر كاملة.

رسول الله يقطع لبلال أرضاً كثيرة

أخرج الحافظ بأسانيد متعددة أن رسول الله - ﷺ - أقطع بلال بن الحارث معادن القبيلة حليسا «أرض طيبة من أرض نجد» وغوريها «الغوري بلاد تهامة» وما يصلح للزراعة وغرس الجذور، ولم يعطه حق مسلم غيره. وكتب له النبي - ﷺ - كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث المزني أعطاه معادن القبيلة حليسا وغوريها، وحيث يصلح للزراعة من قدس ولم يعطه حق مسلم».

واستمرت هذه الأرض تحت يد بلال في حياة الرسول - ﷺ - وطوال خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فلما جاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال له: «يا بلال إنك استقطعت رسول الله أرضاً طويلة عريضة فقطعها لك وأن رسول الله - ﷺ - لم يكن يمنع من أحد يسأله شيئاً، وأنت لا تطيق ما في يدك...»

فقال: أجل.

فقال له عمر: انظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين.

فقال بلال: لا والله. شيء أقطعني رسول الله...»

فقال عمر: والله لتفعلن. فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين ولقد طابت نفس بلال بذلك، عندما وجد همة الذين أخذوا نصيباً من الأرض قد حولوها إلى حدائق وبساتين - وزرعوا فيها النباتات الصغيرة والكبيرة. وصدق رسول الله - ﷺ -: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له».

وفاة بلال بن الحارث

هذا الرجل العملاق الذي ما كاد يدخل في الإسلام حتى كان يحمل لواء فتح الفتوح فتح مكة وتطهيرها من أرجاس الكفر والشرك، ومن هذا التاريخ لم يهدأ له بال. ولم تفارق شفتيه كلمة التوحيد وهو يدعو بها. دعا بها على أرض فارس. ذات الكنوز الكثيرة والجواهر الثمينة. ولكنهم كانوا يعبدون النار.

ودعا بها على أرض الروم- هؤلاء الأباطرة الذين كانوا ينصبون نفوسهم آلهة على الأرض- ولكن سيف بلال ردهم إلى عقولهم وجعل «جرجير» القائد الروماني، ينضم وكتيبته إلى جيش المسلمين في أحد المعارك ويهتف قائلاً: علمني الإسلام يا خالد.

ودعا بها على شواطئ المغرب العربي عندما جندل أكبر الطغاة على أرضها بقيادة عبد الله بن الزبير.

ودعا بها على مجاهل أفريقيا تلك الزنبقة السوداء وأصحابها ذوى الوجوه السمر والقلوب البيضاء الذين حملوا الإسلام فكانوا جند الله- والداعين إلى دينه والعاملين لتنفيذ شرعه..

ثم ماذا؟..

لقد آن لبلال بن الحارث أن يستريح بعد هذه الرحلة الطويلة من عمر الزمن والذي لم يتوقف فيها مطلقاً- لقد جاءه أجله سنة ستين في آخر خلافة معاوية. وله من العمر ثمانون سنة- رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



الهجرة إلى الله تعالى

هل يمكن أن نهجر إلى الله...؟
وهل فى مقدور الفرد أن يفر إلى ربه..؟
وهل هناك من وسيلة...؟
وما الطريق إلى الله..؟
وما الأسباب التى تجعل الفرد قريباً من خالق الأرض والسماء..؟
أيمكن أن نتخلص من أثقال البشرية ونهاجر إليه..؟
أهناك مطية تتقلنا إلى هناك..؟
أم أن وسيلة الوصول صعبة المنال متشعبة المسالك..؟
أنلجأ إلى العقل فى أبحاثه واستنتاجاته..؟
أم أن العقل طريق غير مأمون ومتشعب المناهى..؟
وإذا كان ذلك كذلك... أنلجأ إلى الروح فى إشرافه وشفافياته..؟
وأين هو...؟ وما طريقه..؟ وكيف ينقلنا إلى هناك..؟
أيكفى أن تكون لدينا الرغبة حتى نصل..؟
أم أن هناك طريقاً آخر غير العقل والروح..؟
أنهجر إلى القرآن الكريم فى رحلة عميقة متأنية نستلهم معانيه
ونتعرف على أحكامه، ونخضع كل شئونا لأوامره..؟
وهل يوجد من سبقنا إلى هذه الرحلة..؟
إذا كان ذلك فهو طريق معبد معروف.

ويكفى أن تمتطى «صاروخك» أو تعتلى متن طائرتك حتى تصل.

أم أن هذا أوهام العقل القاصر، والتفكير العجل؟

وإذا لم يكن العقل طريقنا للوصول إلى الله.

وإذا لم تكن الروح مطية الوصول أيضاً فماذا إذن؟

إن القرآن الكريم يحدثنا عن رحلة للرسول ﷺ وعن قربه القريب من ربه، يحدثنا عن انغماره في النور، يحدثنا عن مكان يضيق عنه النطق أو الكلام.

يقول الله تعالى: عن رسوله الكريم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (١).

ويحدثنا القرآن الكريم عن الذاهبين إلى ربهم.

يحدثنا عن الفارين إليه.

وعن الرحلة التي يقطعها الرجال في مسيرتهم إليه، فيقول على لسانهم

وحالهم:

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (٢).

﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (٣).

﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (٤).

ونقول: إذا كانت هناك هجرة إلى الله.

وإذا كان هناك فرار إليه.

فما نوع هذه الهجرة؟

أ تكون بالأبدان والتقل بين الأوطان؟

(٢) سورة الصافات آية رقم ٩٩.

(١) سورة النجم آية رقم : ١٧ - ١٨.

(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٢٦.

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٠.

إذا كانت حقيقة الهجرة، على هذه الصورة فما أكثر المهاجرين وما أضخم الضاربين في فجاج الأرض السائحين بين دروبها.

أم أن الهجرة التي يشير إليها القرآن الكريم هي من نوع جديد لم تألفه البشرية، ولم تعرفه في تاريخها الطويل إلا عن طريق الواحد بعد الواحد ممن يختارهم الله...؟

إما عن طريق المجاهدة والعبادة الخالصة، والعمل المتواصل وتصفية النفس من أدرانها، والقلب من وساوسه.

وإما عن طريق الاجتناء المحض مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١).

إن كل ما تعنيه الآيات الكريمة من الهجرة، هي الهجرة من الخلق إلى الخالق.

من ظلام البصر إلى نور البصيرة.

الهجرة من الكون إلى خالق الكون.

من الآثار إلى موجد الآثار.

من ترابية الأرض، إلى شفافية السماء.

من ضيق الدنيا إلى سعتها.

ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان.

ونتساءل مامطية الوصول إلى هناك...؟

وما المركبة التي تقطع بنا هذه الرحلة...؟

أهناك طريق واضح نسرع السير فيه حتى نصل...؟

(١) سورة الشورى آية رقم ١٢.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(١).

صدق ربى فى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

ولكن كيف...؟

وبم...؟

إن الإمام القشيري يقول: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول:

«إن نبينا محمدًا - ﷺ - أتى للأمة بالمعراج على التحقيق.

فإن الصلاة بمنزلة المعراج.

وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ثلاثة منازل:

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثم من المسجد الأقصى إلى سدره المنتهى.

ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى.

فكذلك الصلاة - التى فرضها الله على عباده المسلمين - ثلاثة منازل:

القيام، ثم الركوع، ثم السجود.

السجود وهو نهاية القرب، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٢).

أى اقترب من الله بسجودك.

ورسول الله ﷺ يقول عن السجود: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

ساجد.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف

خلف أبى بكر فقال:

«أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها

(١) سورة النجم آية رقم ٤٢.

(٢) سورة الملئ آية رقم ١٩.

المسلم أو تُرى له، ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»^(١).

.. ويروى الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي - خادم رسول الله - ﷺ - ومن أهل الصفة رحمه الله، قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته فقال: سلني. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: أو غير ذلك..؟

قلت: هو ذاك.

قال: أعنى على نفسك بكثرة السجود»^(٢).

فالسجود إذن من الوسائل التي توصل إلى الجنة، والجنة: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٣).

ولقيمة السجود الكبيرة عبر عن الصلاة أحياناً بالسجود، فصلاة الضحى يسمونها «سجود الضحى».

ومن صفات عباد الرحمن التي يذكهم ربهم بها.

من صفات عباد الرحمن المقربين إلى مولاهم.

من صفات عباد الرحمن الذين ينسبهم الله إليه.

أنهم يكثرون السجود ويكثرون القيام.

(١) رواه مسلم رقم ٤٧٩ في الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود وأبو داود رقم ٨٧٦ في الصلاة: باب الدعاء في الركوع والسجود. والنسائي ١٨٩ / ٢ في الافتتاح.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٦ باب فضل السجود والحث عليه.

(٣) سورة القمر آية رقم ٥٥.

أنهم في صلاة دائمة مع ربهم.. ولا يتخلون عن ذلك أبداً ولا يطيقون ذلك. قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (١).

وإذا كان ذلك كذلك. أ تكون الصلاة طريقاً للقرب من الله؟

أ تكون هي المطية التي يمتطيها العبد فيصل إلى ربه..؟

وإذا صح هذا الذي نقوله فما هي الصلاة..؟

أ هي صلة بين العبد وربّه...؟

أ هي نظام في اليوم والليلة للفرد المسلم والجماعة المسلمة..؟

أ هي ضراعة ودعاء ورفع الأكف إلى السماء..؟

أ هي رحمة مهداة من الله إلى العباد...؟

أ هي أسلوب للحياة، واتباع لنمط معين من أنماط التكاليف ليتعود

المجتمع الإسلامي السمع والطاعة، والنظام والنظافة..؟

أ هي مؤتمر للأسرة الصغيرة خمس مرات في اليوم..؟

ومؤتمر للأسرة الكبيرة مرة واحدة في الأسبوع...؟

ومؤتمر عام للمجتمع المسلم مرتين في كل عام...؟

الحقيقة أن الصلاة هي مجموع ذلك كله الذي سبق أن ذكرناه.

فالصلاة: هي الصلة بين العبد وربّه، والرابطة التي تربط الأرض

بالسماء ومعراج المؤمنين إلى ربهم، والمطية السريعة التي تنقلنا إلى رحاب

الله سبحانه وتعالى:

عندها يزول البعد، وتتمحى المسافات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ

(١) سورة الفرقان آية رقم ٦٣، ٦٤.

وَأَقْتَرَبَ ﴿١﴾، اقترب من منبع النور مادمت فى محراب الصلاة.

والصلاة رحمة مهداة من الله إلى عباده ومن الملائكة الأبرار إلى العباد المخلصين.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٢).

فوصف نفسه بأنه يصلى، والصلاة هنا بمعنى الرحمة، رحمة لأنها تخرج المؤمنين من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، ومن العماية إلى الهدى، ومن الطرق المتشعبة إلى الطريق الواحد المستقيم.

ومن شقاء الانحراف إلى سعادة الاستقامة.

وصلاة الملائكة رحمة واستغفار.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٣).

وصلاة الرسول لأمة رحمة ودعاء.

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (٤).

ووصف الله سبحانه وتعالى - نفسه وملائكته بأنه يصلى على محمد ﷺ وطلب من عباده الدعاء، والصلاة له. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥).

ويوضح ما نشير إليه ما يقوله المسلم عند كل صلاة:

«اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى

ارتضىته.

(١) سورة العلق آية رقم ١٩. (٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣.

(٣) سورة غافر آية رقم ٧. (٤) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.

وإذا كانت الصلاة بهذا المعنى، صلة بين العبد وربه، ورحمة للمؤمنين ودعاء وسكينة.

فقد تأتى بمعنى التسبيح، تسبيح المخلوقات لربها، وتسبيح الكائنات لموجودها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ (١).

والتسبيح فى لغة العرب: الصلاة...

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فى التنقل فى السفر، لو كنت مسبحاً أتممت، ويعنى بذلك أنه لو صلى النافلة فى السفر لأتم الفريضة.

وإذا كانت أوامر الإسلام ونواهيه، وجزئياته وكلياته، نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام، على قلب رسولنا الكريم - محمد عليه السلام - لتكون هذه الكليات والجزئيات انذاراً وبشرى إلى الأمة الإسلامية بخاصة، والإنسانية بأسرها بعمامة فإن الصلاة لم تأت عن طريق جبريل عليه السلام.

ولم تأت عن طريق الوحي المعتاد.

ولم تأت عن طريق اتصال السماء بالأرض.

ولكنها فرضت فى منبع النور، وفى جوار الحق، هناك بالأفق الأعلى.

قال تعالى:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٢).

والصلاة فترة مناجاة بين العبد وربه.

والصلاة فترة انقطاع كامل - ويجب أن يكون كاملاً - عن عالم المادة. عالم الشهوات، عالم الفتنة، عالم الدنيا الذى وصفه الله تعالى بقوله:

(١) سورة النور آية رقم ٤١.

(٢) سورة النجم آية رقم: ١٧ - ١٨.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). نقول فترة انقطاع لتخلص النفس إلى المنعم الوهاب فتتعم بسعادة الصلة به والقرب منه.

نقول إنها فترة مناجاة.

لأن رسول البشرية محمدًا ﷺ عندما عرج به إلى السماء ناجى ربه وهو بالأفق الأعلى، ناجاه بكلمات، وتلقاه ربه بتحيات أصبحت بعدها من الصلاة. لقد قال الرسول ﷺ وهو قريب من ربه: «التحيات لله والصلوات والطيبات».

وحياه ربه: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ورد الرسول- ﷺ - ومعه ملائكة أبرار، ومرسلون أخيار- تحية ربههم:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وكان الوجود بأسره، والعالم بأجمعه قد تحول إلى جوقه في رحاب محكمة الخالق المبدع لتشهد وتؤكد وتقرر وتعترف بقولها:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم ماذا...؟

ثم فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ فرضت في منبع النور، عند سدة المنتهى عندها جنة المأوى.

فرضت في ليلة مباركة، ليلة الإسراء والمعراج.

(١) سورة يونس آية رقم ٢٤.

حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري
رضي الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

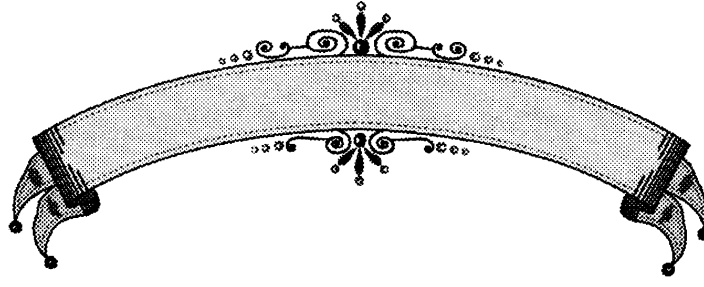
قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(الحشر: ٩)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية في الأنصار الذين آووا ونصروا وحنظلة بن أبي عامر الراهب من الأنصار الذين آووا ونصروا.
قال ذلك الإمام الواحدى في كتابه أسباب النزول ص ٤٣٨ - ٤٣٩.
وقاله الإمام القرطبى في التفسير ج ١٨ ص ٢٠ - ٢١.
فمن هو حنظلة بن أبي عامر الراهب؟



قال رسول الله - ﷺ:

«إن صاحبكم لتغسله الملائكة- يعنى حنظلة- فسألوا أهله ما شأنه ٩٠٠
فستلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة.
فقال رسول الله - ﷺ : لذلك غسلته الملائكة، وكفى بهذا شرفاً ومنزلة
عند الله تعالى».

راجع أسد الغابة ٢: ٦٦





حياته ونشأته:

من فرسان المعارك الذين سجلوا أعظم الانتصارات فى غزوة بدر.
ومن الشهداء الذين وقفوا أمام القوة الباغية التى تريد القضاء على المسلمين وأنصارهم حتى سقط شهيداً فى ساحة القتال.
ومن الأوفياء الكرماء الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل نصرة الدين- ودخول الناس فى دين الله أفواجاً.
ومن الفئة المؤمنة الذين سماهم رسول الله - ﷺ - الأنصار وقال: لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار.
ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.
والده: عمرو بن صيفى بن زيد بن أميه أبو عامر الراهب. وكان أبو عامر وعبد الله بن أبى ابن سلول قد حسدا رسول الله - ﷺ - على ما من الله به عليه.
فأما عبد الله بن أبى فأضمر النفاق وأظهر الإيمان ونزل القرآن ليكشف حقيقتهم أمام المسلمين قال الله تعالى:
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) فى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣).

وأما أبو عامر فخرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله - ﷺ - الفاسق. وأقام بمكة، فلما فتحت هرب إلى هرقل في بلاد الروم فمات كافراً هناك سنة تسع، وكان معه كنانة بن عبد ياليل، وعلقمة بن علاثة، فاخصما في ميراثه إلى هرقل فدفعه إلى كنانة وقال لعلقمة: هما من أهل المدر، وأنت من أهل الوبر.

نشأ حنظلة على أرض يثرب، وسُمي والده راهباً لأنه أنف من عبادة الأصنام ولكن أشرك مع الله غيره، وجعل له ولداً ولقد جبههم الله تعالى بكلمة الكفر قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾.

ولما شب عن الطوق أتقن حرفة التجارة، وتوالت رحلاته إلى أرض الشام ولقد كان لهذه الرحلات الأثر الكبير. في صفاء نفسه، وتطهير قلبه وشفافية روحه، عندها كان يشاهد السماء المرفوعة، والأرض المبسوطة.

السماء التي قال الله تعالى عنها:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ (٣٢)﴾.

والأرض المبسوطة التي قال الله عنها:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٤)﴾.

(١) سورة البقرة الآيات من ٩ - ١٣. (٢) سورة التوبة الآيتان ٣٠ - ٣١.

(٣) سورة الملك آية رقم ٥. (٤) سورة الحجر آية رقم ٢٠.

لهذا ما كاد حنظلة يعلم بوصول الرسول - ﷺ - إلى المدينة وأنه يدعو إلى عبادة الواحد الأحد الذي خلق الأرض والسماء، وأوجد الحياة والموت حتى سارع إليه - ونطق بالشهادتين بين يديه.

ومن هذا التاريخ تحول إنساناً جديداً يؤدي فرائض ربه، ويتبع من مبادئ الإسلام سلوكه. ولفظ نهائياً. أساليب الجاهلية الأولى: التي كانت لا تعرف إلا شريعة الغاب، واستعمال المخالب والناجب - فلا تحليل ولا تحريم، ولكن كما وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿وَأُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلَىٰ﴾ (١).

ثم كانت غزوة بدر التي أشعلت وقودها الفئة الباغية من كفار قريش وسارع المسلمون إلى الانضمام لجيش النصر. تلك الغزوة التي قال الله تعالى فيها لجماعة المسلمين:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

فأين حنظلة؟ وأين موقعه بين الصفوف؟ إنه خلف رسول الله - ﷺ - يتابعه كظله، لا يتخلف عنه قيد أنملة، حتى عندما دخل - ﷺ - العريش ومعه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وقف حنظلة على بابه «ديديان» يقظ. وتسمعت أذناه دعاء الرسول - ﷺ - ومناشدته ربه قائلاً:

«اللهم إن تهلك هذه العصاة اليوم لا تُعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك، ولقد غفلت عين الرسول - ﷺ - غفلة يسيرة، ثم انتبه فقال:

«أبشر يا أبا بكر: أذاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثأياه النقع».

ويقول الله تعالى لرسوله وللمسلمين بعد الاستغاثة وطلب العون من الله

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٣.

تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)﴾.

وتم النصر والفوز وفرَّ الرعايد الجبناء إلى مكة وأخذت سيوف المسلمين تقصف رقابهم، وتتجدل فرسانهم، وتقضى على كل مقاومة لديهم. وألقيت جثث القتلى وتلك الجيف في باطن القلب. ووقف الرسول عليهم وأخذ ينادى ويقول: يا أهل القلب: يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟..

فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا..

فقال حنظلة ومعه بعض المسلمين يا رسول الله: أتخاطب قومًا قد جيفوا؟ قال ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

ويقول حسان بن ثابت -رضي الله عنه:-

يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب في القلب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأى مصيب

(١) سورة الأنفال الآيات من ٩-١٢.

ثم عاد حنظلة مع الرسول - ﷺ - متجهين إلى المدينة وعندما اقتربت راحلته من ناقة الرسول - ﷺ - قال حنظلة: يا رسول الله إن الحرب مهلكة- ولا يصبر عليها إلا كل صبور فإذا اشتعلت أيمت النساء وأيتمت الأطفال، وأكلت الرجال. فهل هناك ما يعدل الجهاد فى الأجر يا رسول الله؟ قال ﷺ: لا تستطيعونه فرد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه. فقال فى الثالثة:

«مثل المجاهد فى سبيل الله مثل القائم الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله».

عندها أسرعت براحلتى حتى وزايت ناقة رسول الله - ﷺ - وقلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعد بينى وبين النار..؟

قال: لقد سألت عظيماً وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم سكت الرسول - ﷺ - هنيهة وقال: يا حنظلة: قلت نعم يا رسول الله: قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟

قلت: زدنى يا رسول الله. قال: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ:

﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

وتصل المطى بهم إلى مشارف المدينة حيث اجتمع الأطفال والنساء والشيخوختهنئة العائدين من بدر وعلى رؤوسهم الفخار ونصر الله تعالى، ولكن حنظلة له تهنئة خاصة غير تهنئة النصر- حيث رزقه الله تعالى بغلام. وتقدم حنظلة إلى أمه والفرحة تملأ كل جوانحه:

أحقاً ما تقولين يا أم حنظلة..؟ هل رزقنى الله بغلام..؟ وأصبحت أباً.

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦.

إنها أمنية غالية كنت أتمناها من ربي.

وهبط حنظلة ساجداً لله تعالى.

وما كادت أقدامه تطأ داره. حتى تقدمت له زوجته وهي تشكر الله تعالى على سلامته ووضعت بين يديه فلذة كبده. وأسهرت إلى الداخل لتعد له طعاماً ساخناً.

ثم عادت الزوجة الصابرة المؤمنة تحمل بين يديها ما رزقهم الله تعالى من طعام طيب وفاكهة ناضجة.

فقال حنظلة بارك الله فيك وعليك يا أم عبد الله.

وأصبح من هذا التاريخ ينادى عليه: (أبو عبد الله).

وغردت الأيام لحنظلة- وطابت جلساته مع حبيبه رسول الله - ﷺ - يعب من هديه، ويتفقه في دينه- ويدعو إلى دين ربه. ثم ماذا؟ كرت الأيام وتوالت الليالي واستيقظ مبكراً على صوت بلال يهز الكون هزاً بكلمة الله أكبر الله أكبر يؤذن لصلاة الفجر- ثم عاد من مسجد الرسول - ﷺ -

فوجد أم عبد الله تغط في نوم عميق- فتقدم إليها ليوقظها ولكن ما كاد يتقرب إليها وهي نائمة حتى شاهد فتنة طاغية، وعروساً مجلوة- ومائدة شهية وكأنه يراها لأول مرة. وتم بينهم ما يكون بين الرجل وزوجه والذي عبر عنه قول الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

ثم جلسا يتسامران ويتناولان بعض اللقيمات، وإذا بصوت النفير نفير الحرب، ينادى فرسان مدرسة النبوة، أبطال الإسلام، ورجالات القرآن إلى الجهاد والقتال في سبيل الله.

وما كاد حنظلة يسمع صوت النفير حتى قام مسرعاً ولبس ملابس القتال وجمع بين يديه سيفه ورمحه ودرعه، وطبع على جبين ابنه وزوجه قبلة حانية، وتركهما في رعاية الله وحفظه ثم خرج مسرعاً لينضم إلى كتيبة الإيمان التي

قدمت أرواحها في سبيل الله - ليكون لهم الجنة. كما قال الله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (١).

قال الحسين: مرَّ أعرابي على النبي - ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

فقال: كلام من هذا؟

قال: كلام الله.

قال: بيع والله مريح لا نقيه ولا نستقيه. فخرج إلى الغزو وقاتل حتى استشهد (٢).

وقال الأصمعي لجعفر الصادق - رضى الله عنه:

أثامن بالنفس النفسية ريثما

وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشتري الجنات، إن أنا بمتها

بشيء سواها إن ذلكم غبن

لئن ذهبت نفس بدنيا أصبتها

لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

ولهذا قال الرسول - ﷺ: إن فوق كل برٍّ حتى يبذل العبد دمه فإذا فعل ذلك فلا برٍّ فوقه (٣).

وقال الشاعر:

الجود بالمال جود فيه مكرمة

والجود بالنفس أقصى غاية الجود (٤)

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١. (٢) راجع تفسير القرطبي ٨ - ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق. (٤) راجع سيرة ابن هشام وتفسير القرطبي ٨: ٢٦٧ - ٢٦٨.

حنظلة في غزوة أحد

إن قريشاً لم تنس هزيمتها في غزوة بدر، وكانت دائماً تتمنى أن يكون لهم مع الرسول - ﷺ - وصحبه - جولة أخرى حتى يستأصلوا شأفة المسلمين.

عندها مشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة.

فقالوا: يا معشر قريش: إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا وأنزل الله تعالى في ذلك من القرآن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١).

وجاءت جموعهم وحشرت قواتهم، وجمعوا كيدهم كله واستتفروا حلفاءهم من نجد وتهامة وغيرهم.

وخرج الرسول - ﷺ - مع صحابته لصد هؤلاء راجين من الله تعالى أن يشرح صدورهم للإسلام.

واشتبك الفريقان في معركة ضارية وتساقط القتلى من الفريقين فأين حنظلة في هذه الحرب الضارية؟

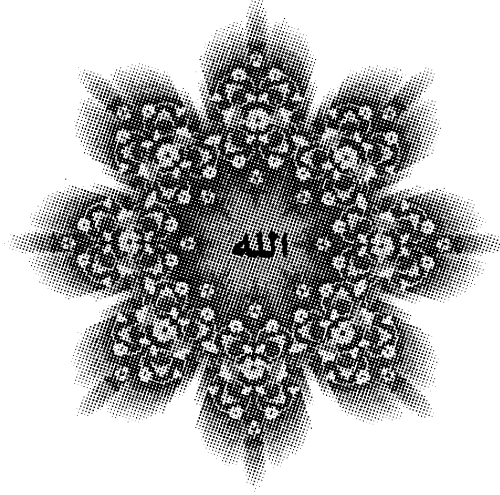
قال مصعب الزبيري: بارز أبو سفيان بن حرب حنظلة بن أبي عامر الفسيل فصرعه حنظلة واعتلى فوقه، فأناه ابن شعوب فضربه بالسيف فقتله عندها قام أبو سفيان. وقال حنظلة بحنظلة يعني ابنه حنظلة المقتول في غزوة بدر^(٢).

(١) سورة الأنفال آية رقم ٣٦.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٤.

مات حنظلة شهيداً على أرض المعركة، مات الموتة التي كان يريدتها ويتمناها. مات أبو عبد الله- ثم عادت له الحياة وفر إلى ربه وهاجر إلى مولاه في جنة عرضها السموات والأرض عند ملك مقدر، كما قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١).



(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩ - ١٧٠.

حنظلة غسيل الملائكة

ذكر أهل السير أن حنظلة كان قد ألم بأهله حين خروجه إلى أحد ولما سمع صوت النفير أعجله عن الغسل، فلما قتل شهيداً - أخبر رسول الله - ﷺ - أن الملائكة غسلته.

وروى حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه أن رسول الله - ﷺ - قال لامرأة حنظلة بن أبي عامر الأنصاري.

ما كان شأن حنظلة...؟

قالت: كان جنباً، وغسلت أحد شقى رأسه، فلما سمع الهيعة خرج.. ثم قتل.

قال رسول الله - ﷺ -:

«لقد رأيت الملائكة تغسله..»

رحمه الله - ورضى عنه - بمقدار ما قدم من جهد وجهاد في رفع كلمة الله ونشر دينه إنه سمع قريب مجيب الدعاء.



الجهاد فى سبيل الله

إن حنظلة - رحمه الله - كان دائماً مجاهداً ومقاتلاً وكان يطلب من ربه الشهادة حتى يحظى بجنة الخلد التى أعدها الله للمتقين- وكان دائماً يردد بينه وبين نفسه قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (١).

فالجهاد فى سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن.. كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله.

إنها السنة الجارية التى لا تستقيم الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (٢).

وقال أيضاً: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (٣).

إن الحق لا بد أن ينطلق فى طريقه، ولا بد أن يقف الباطل فى الطريق، بل لا بد أن يأخذ عليه الطريق.

إن دين الله لا بد أن ينطلق لتحرير البشر من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وخدمه، ولا بد أن يقف له الطاغوت فى الطريق، بل لا بد أن يقطع عليه الطريق، ولا بد لدين الله أن ينطلق فى الأرض كلها لتحرير الإنسان وكل الناس، ولا بد للحق أن يمضى فى طريقه ولا ينثنى عنه ليدع للباطل طريقاً وما دام فى الأرض كفر.

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥١. (٣) سورة الحج آية رقم ٤٠.

وما دام فى الأرض باطل.

وما دامت فى الأرض عبودية لغير الله تعالى تذلل كرامة الإنسان، فالجهاد فى سبيل الله ماض إلى يوم القيامة، والبيعة فى عنق كل مسلم تطالبه بالوفاء يقول الرسول - ﷺ -: «من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق» (١).

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِاللَّهِ الَّذِى يَبْعَثُ فِيهِ ﴾ (٢).

استبشروا بإخلاص أنفسكم وأموالكم لله وأخذ الجنة عوضاً وثمناً كما وعد الله. وإذا فعل المؤمن ذلك كان ربحه كبيراً لأن النفس إلى موت والمال إلى فناء وضياح سواء أنفقها صاحبه فى سبيل الله أم فى سبيل دنيا يريدتها، ومتاع يغريه.

والجنة كسب بلا مقابل. لأن المقابل زائل فى هذا الطريق أو سواء.. ولهذا يقول الرسول - ﷺ :

«غزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها».

وعن أبى هريرة قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها. فقال:

«لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى استأذن رسول الله - ﷺ - فذكر لرسول الله - ﷺ - فقال ﷺ :

«لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة..؟» قال: بلى يا رسول الله..

(١) رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم وأبو داود.

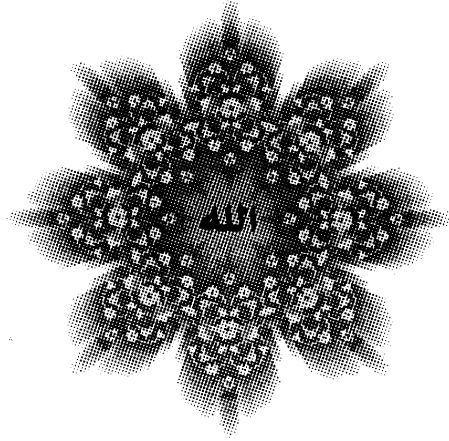
(٢) سورة التوبة آية رقم ١١١.

قال عليه السلام: «اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق»^(١) ناقة وجبت له الجنة» وفي رواية:

«ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها»^(٢) على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(٣).

فمن لنا بالجهاد يارب.. من لنا بمقاتلة الأعداء أعدائنا أعداء الدين من لنا بقتالهم.. والبعض يرى أن ذلك عبث وتطرف وإرهاب يجب على الدول جميعها أن تقاومه..

اللهم ارزقنا غزوة في سبيلك تطهرنا بها ولتكون طريقنا إلى جنتك يا مجيب الدعاء يا ناصر الحق.



(١) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٢) النصيف: الخمار.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد باب ١٧ ما جاء في فضل الغدو والروح في سبيل الله.

زید بن ثابت جامع القرآن الکریم وکاتب الوحی

رضی اللہ عنہ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الحشر: ٩)

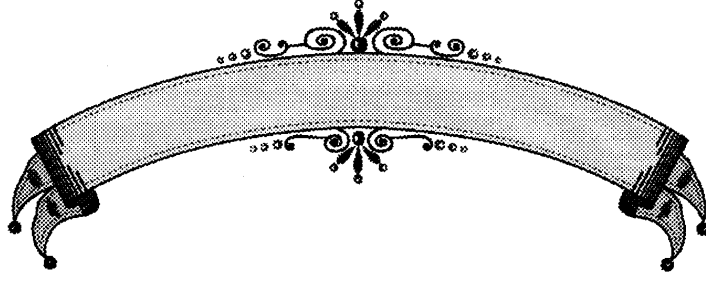
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية في الأنصار ومنهم زيد ابن ثابت.

قال ذلك صاحب كتاب أسباب النزول الإمام الواحدى وقاله الإمام القرطبى في التفسير الجزء الثامن عشر ص ٢٠.

وقاله ابن الجوزى في التفسير زاد المسير في علم التفسير الجزء الثامن ص ٨-١٠.

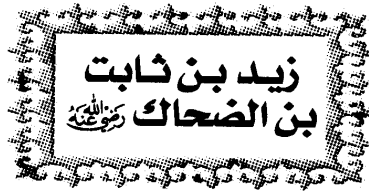
فمن هو زيد بن ثابت؟



قال الرسول ﷺ لزيد بن ثابت:
إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم اللغة
العبرانية أو قال السريانية.
فقلت: نعم.
قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

رواه أبو يعلى والإمام أحمد





حياته ونشأته:

نشأ في يثرب مدينة الزهور والبساتين والسماء الصافية والأرض المبسوطة.

وتلقى عن والده القراءة والكتابة ومعرفة أخبار الأول.

قتل والده يوم بعثت تلك المعارك التي كانت تدور بين قبائل الأوس والخزرج ويسقط فيها قتلى عشرات الرجال.

أمه النوار بنت مالك سيدة فاضلة، قارئة حافظة روت عن الرسول - ﷺ - كان يملك عقل الرجال وصلابة الأبطال.

وتقدم إلى صفوف المجاهدين في غزوة بدر فردده الرسول - ﷺ - لصغير سنه.

اشترك في حفر الخندق، وكان يحمل التراب على كتفه، ورآه الرسول - ﷺ - فعرف فيه الجد وقوة الإرادة فقال:

«أما أنه نعم الغلام زيد بن ثابت».

قال زيد بن ثابت: أجازني رسول الله - ﷺ - يوم الخندق، وأعطاني قبضية كسانيتها.

وقال محمد بن عمر: وكان زيد قد رقد يوم الخندق فغلبته عيناه فنام على شفير الخندق وكان ممن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، وأراد

المسلمون أن يطبقوا على الخندق ويحرسوه، وتركوا زيدا وهم لا يشعرون به، فجاءه عمارة بن حزم فأخذ سلاحه - وهو لا يشعر.. ٩٩

فلما استيقظ وتفقد سلاحه فلم يجده وبلغ ذلك النبي - ﷺ - فدعاه وقال له: يا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك.. ٩٠

ثم قال ﷺ من له علم بسلاح هذا الغلام.. ٩٠

فقال عمارة: أنا يا رسول الله فردده عليه.

عندها نهى الرسول - ﷺ - أن يرؤع المسلم أو أن يأخذ سلاحه أو متاعاً لاعباً أو جاداً..

يقول زيد عن نفسه: كانت وقعة بفاث وأنا ابن ست سنين وكانت قبل الهجرة بخمس سنين وقدم رسول الله - ﷺ - المدينة، وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأتى بي إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة فلم أجز في بدر ولا أحد وأجزت في الخندق». وكان يكتب بالعربية والعبرانية وأول مشاهده الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة..

زيد بن ثابت في سقيفة بني ساعدة..

لما قبض رسول الله - ﷺ - اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة - يريدون أن يختاروا من بينهم خليفة وعلم بذلك أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وتكلم رجل من الأنصار فقال يا معشر المهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، ثم خطب أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فوضح القضية أمام المهاجرين والأنصار - ولكن في نفوس الأنصار من ذلك شيء حتى قال قائلهم:

«يا معشر المهاجرين إن رسول الله - ﷺ - كان إذا بعث رجلاً منكم قرنه برجل منا فنحن نرى أن يلي هذا الأمر رجلان رجل منكم ورجل منا فقام زيد ابن ثابت فقال:

«إن رسول الله - ﷺ - كان من المهاجرين وكنا أنصاره وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله - ﷺ - .
عندها قال أبو بكر: جزاكم الله خيراً من حى يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم والله لو قلتم غير هذا ما صالحناكم».

واستطاعت هذه الكلمات الصادقة المعبرة من زيد بن ثابت أن تكون راحة لكل القلوب، ورضا لكل النفوس وتمت البيعة لأبى بكر- رفيق الرسول- ﷺ - فى الغار كما قال تعالى:

﴿إِذْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

زيد بن ثابت حكماً بين عمر بن الخطاب وأبى بن كعب- رضى الله عنهم

قال الشعبي: تنازع فى جذاذ نخل أبى بن كعب وعمر بن الخطاب-
رضيهم الله - فبكى أبى ثم قال: أفى سلطانك يا عمر...؟

فقال عمر: اجعل بينى وبينك رجلاً من المسلمين.

فقال أبى: أجعل زيد بن ثابت.

قال عمر: رضيت.

فانطلقا حتى دخلا على زيد فلما رأى زيد عمر تتحى عن فراشه. فقال
له عمر: فى بيته يؤتى الحكم.

فعرف زيد: أنهما جاءا يتحاكما إليه.

(١) سورة التوبة آية رقم ٤٠.

فقال عمر لأبي: قص قصتك فقصها . فقال عمر: تذكر لعلك نسيت شيئاً فتذكر ثم قال: ما أذكر شيئاً.

ثم قص عمر فقال زيد: بينتك يا أبا..؟

فقال: مالى بينه.

قال أبا: فاعف أمير المؤمنين من اليمين..

فقال عمر: لا تعف أمير المؤمنين من اليمين إن رأيتها عليه، فأقسم عمر على ذلك.

وكان زيد أجلس عمر على فراشه.

فقال له: هذا أول جورك جرت في حكمك.

فلما فرغاً قال له: لا تدرك يا زيد القضاء حتى يكون عمر، ورجل من عامة المسلمين عندك سواء.

إن عمر يلوم قاضيه لأنه لم يسو بينه وبين أبا بن كعب في مجلس الحكم وأراد أن يعفيه من اليمين.

وهذا ما تعلمه عمر - رضي الله عنه - من مدرسة النبوة، ومن هدى القرآن الكريم، ولهذا تنازل عن حقوقه كاملة لأبا بن كعب، لأن قاضيه لم يسو بينه وبين خصمه في مجلس الحكم.

زيد بن ثابت كاتب للوحي

بين يدي الرسول ﷺ

يقول زيد: كان رسول الله - ﷺ - إذا نزل عليه الوحي بعث إلى فكتبته له. ثم إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً مثل الجمان، ثم سرى عنه».

إن زيد بن ثابت رجل أمين، فهو أمين على وحي رسول الله - ﷺ - وأمين على كتاب الله أن ينقص أو يزيد فيه - كما حدث مع الكتب السابقة ولذا قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ذلك، ويعرفون ما يتمتع به زيد ابن ثابت من صفات طيبة وأخلاق عالية، وإيمان يملأ كل شغاف قلبه ولذا اختاره رسول الله - ﷺ - كاتباً للوحي الذي يأتي له من الله تعالى: وكان ثابت أكثر الناس معرفة بكتاب الله تعالى ونزوله وتسلسله على الرسول - ﷺ .

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

كانت معركة اليمامة معركة ضارية بين المسلمين، وبين أتباع مسيلمة الكذاب مدعى النبوة، وتساقط فيها عدد كبير من حفظة كتاب الله تعالى. يقول زيد أرسل إلى أبو بكر الصديق عندما وصل إلى مسامعه مقتل أهل اليمامة فأتيت فإذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال لي: إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء المسلمين، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

(١) سورة الحجر آية رقم ٩.

فقلت: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله - ﷺ...؟

فقال عمر: هو والله خير.

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله بذلك صدرى، فرأيت الذى رأى فيه عمر.

وفى رواية: أن أبا بكر قال له: أنت كاتب الوحي، وكنت أميناً عند رسول الله وأنت عندنا كلنا أمين.

قال زيد: وعمر جالس عنده لا يتكلم.

ثم قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، وكنت تكتب الوحي لرسول الله - ﷺ: فتتبع القرآن فأجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن.

فقلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - ﷺ...؟

فقال: هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر.

قال: فكنت أتتبع القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة براءة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١)

فكانت الصحيفة التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر الصديق فى حياته

(١) سورة التوبة الآيتان ١٢٨ - ١٢٩.

حتى توفاه الله ، ثم عند عمر بن الخطاب في حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر، وزوج النبي -ﷺ .

وفي عهد عثمان أرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها فتسخ منها المصاحف فبعث بها إلى الآفاق.

ويقول يعلى بن الفراء إن زيداً كان كاتب الوحي لرسول الله -ﷺ ، ثم كان كاتب عمر بن الخطاب، وله القراءة والفرائض. (علم المواريث).

زيد على أرض الشام مع عمر بن الخطاب

أراد عمر بن الخطاب أن يتعرف على جماعة المسلمين ويتفقد أحوالهم، وهم على أرض الشام ويتعرف على سير المعارك بينهم وبين الروم: واصطحب معه زيد بن ثابت -رضي الله عنه- فكان زيد نعم الرفيق في هذه الرحلة والمستشار المؤتمن لخليفة المسلمين-وما كادت أقدامهما تطأ أرض الشام حتى كان خالد بن الوليد- قد أنهى كبرى المعارك مع الروم، وجندل الكثير من أبطالهم وفرسانهم- وطهر الأرض من فجورهم وعصيانهم.. وغنموا منهم غنائم كثيرة.

عندها كلف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- زيد بن ثابت أن يتولى قسمة الغنائم بين المسلمين.. ففعل.

ثم اتجها إلى بيت المقدس: لينعما بالصلاة فيه. فتقدم لهما نبطى من أهل البلاد يشكو عبادة بن الصامت الصحابى الجليل. لأنه ضربه وشجه.. ٩٩

فأمر بإحضاره: ثم قال له عمر: ما دعاك إلى ما صنعت.. ٩٩

فقال: يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتي فأبى، وأنا رجل فئ حدة، فضربته.. ٩٩

فقال: اجلس للقصاص.

فقال زيد بن ثابت: أتقيد عبدك من أخيك.. ٩٩

فترك عمر القود وقضى عليه بالدية.

إنه القصاص العادل: الذي أمر الله تعالى به بقوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

ولكن الذي حدث عليه الاعتداء من فئة تحارب الإسلام، وتصعد الناس عن الدخول فيه، وقد يكون هذا الرجل عيناً على المسلمين، يكشف عوراتهم ويخبر العدو بآماكن الضعف عندهم، من هنا كانت الدية ولم يكن القصاص..؟

زيد بن ثابت في تقدير

الرسول ﷺ والصحابة

يقول الرسول -ﷺ- من أحب أن يقرأ القرآن غصاً فليقرأه بقراءة زيد.

وروى الإمام أحمد بسنده عن مالك بن أنس عن النبي -ﷺ- أنه قال: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر.

وأشدهم في دين الله عمر بن الخطاب.

وأصدقهم حياء عثمان بن عفان.

وأفرضهم زيد بن ثابت.

وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب.

وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وكان رسول الله -ﷺ- دفع راية بنى مالك في غزوة تبوك إلى عمارة بن حزم ثم أدركه فأخذها منه ودفعها إلى زيد.

فقال عمارة يا رسول الله: بلغك عنى شيء..؟

قال: لا ولكن حامل القرآن يقدم وإن زيدا أكثر أخذاً منك للقرآن.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

وقال الشعبي: كان القضاة أربعة والدهاة أربعة، فأما القضاة، فعمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.
وأما الدهاة: فمعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن أبيه، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

وكان عمر بن الخطاب يستخلف زيد بن ثابت على المدينة كلما همَّ بسفر خارجها. ولقد كان بين زيد وبين ناس من الأنصار كلام ومشاحنة فجاء منهم رجل ثم أخذ بتلابيب زيد، فمر بهم جماعة من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه، فجعل رجل منهم يقول لأبي حبة: أتصنع هذا برجل لو مات الليلة ما دريت ما ميراثك من أبيك؟^{٩٠}

وقال الزهري: لو هلك عثمان وزيد لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما.

يقول أبو سلمة: قام ابن عباس إلى زيد فأخذ بركاب ناقته فقال له: تتح يا ابن عم رسول الله؟^{٩١}

فقال له: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا.

فقال زيد: أرني يدك فأخرج يده فقبلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

«العلماء ورثة الأنبياء» وعلى المسلمين تبجيلهم واحترامهم، وتقديم العون لهم. ما داموا على الجادة سائرين، وعلى تعاليم الإسلام يحافظون، ويؤدون واجبهم لدينهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما جعل ابن عم الرسول - ﷺ - يأخذ مقود دابة زيد بن ثابت أحد العلماء وأبناء بيت النبوة وأحفادهم - حتى يرث الله الأرض ومن عليها - لهم حق الاحترام والتقدير، والمعاونة إن لزمت والمودة والرحمة لقوله تعالى على لسان نبيه - ﷺ :

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

(١) سورة الشورى آية رقم ٢٣.

وصايا زيد بن ثابت لأبي بن كعب

كتب زيد إلى أبي بن كعب يقول له:

«أما بعد: فإن الله جعل اللسان ترجماناً للقلب، وجعل القلب وعاء وراعياً ينقاد له اللسان لما هداه له القلب، فإن كان القلب على طرف اللسان جاء اللسان وأثقلت القول واعتدل. ولم يكن للسان عشرة ولا زلة، ولا حلم لمن لم يكن قلبه من بين يدي لسانه، فإذا ترك الرجل كلامه لفعله صدق ذلك مواقع حديثه فتذكر: هل وجدت بخيلاً إلا وهو يجود بالقول ويضن بالفعل...؟ وذلك لأن لسانه بين يدي قلبه.

تذكر: هل تجد عند أحد شرفاً أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال ولم يتبعه بالفعل ويقول ما قال: وهو يعلم أنه حق، عليه واجب حين يتكلم به العاقل، لا يكون بصيراً بعيوب الناس، فإن الذي يبصر عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلف ما لم يؤمر به والسلام».

لقد قام زيد بن ثابت بواجبه تجاه إخوانه وتجاه الولاة منهم من إخلاص النصيحة لهم امتثالاً لقول الرسول - ﷺ -:

«الدين النصيحة ثلاث مرات. قالوا: يا رسول الله لمن؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

يقول زيد بن ثابت - رضى الله عنه - جمعت القرآن الكريم: الذي هو كتاب الله عز وجل، المنزل على خاتم الأنبياء - محمد - ﷺ - بلفظه ومعناه، وهو كتاب محكم لقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٢).

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - وذكره وقال الترمذى. هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائى فى البيعة. باب النصيحة للإمام.

(٢) سورة هود آية رقم ١.

وهو المعجزة الكبرى تحدى بها رسول الله - ﷺ - الناس كافة الإنس والجن أن يأتوا بمثله فمعجزوا قال تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١).

والقرآن الكريم، حارب الشرك وأهله، وعمل على عودة الناس - كل الناس إلى توحيد الخالق. وصنع من رعاة الإبل والشاة أمة مثالية، اختطت من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعى ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه. يقول زيد ومما قاله الإمام على - ﷺ - ونحن على أرض الكوفة: سمعت الرسول - ﷺ - يقول لنا:

«ألا إنها ستكون فتن..»

قلت: وما المخرج منها يا رسول الله..؟

قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم - وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم - هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تتقاضى عجائبه، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (٢).

من قال به صدق.

ومن عمل به أجر.

ومن حكم به عدل.

ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم.

(١) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

(٢) سورة الجن آية رقم ١.

يقول زيد بن ثابت وهو على منبر مسجد الكوفة- يا أحابيب محمد- ﷺ كتبت الوحي بين هاتين، وجمعتة بعد وفاة الرسول- ﷺ بكل ذرة وبكل نفس، وبكل هداية من الله تعالى. واختلفت مع أصحابي أصحاب الرسول- ﷺ في أسماء كتاب الله تعالى حتى هدانا الله جميعاً إلى الحق. واتفقنا على أن للوحي المنزل على رسول الله تعالى عدة أسماء منها: «القرآن» قال تعالى:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١).

ومنها: الفرقان قال الله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

ومنها: الكتاب: قال الله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾^(٣).

ومنها التنزيل قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۖ (٤) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤).

ومنها الذكر: قال الله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥).

رضى الله عن زيد بن ثابت- كاتب الوحي المتتابع على الرسول- ﷺ- وجامع القرآن الكريم.

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الإسراء آية رقم ١٠٦. | (٢) سورة الفرقان آية رقم ١. |
| (٣) سورة الكهف آية رقم ١، ٢. | (٤) سورة فصلت آية رقم ٤١-٤٢. |
| (٥) سورة الحجر آية رقم ٩. | |

الترغيب في قراءة القرآن

يقول عبد الرحمن بن زيد - ﷺ - حدثني عما سمعه من الرسول - ﷺ -
في قارئ القرآن.. ومرثله..

يقول زيد: لقد سمعت من حبيبي رسول الله - ﷺ - يقول: تعلم القرآن
وتعليمه للمسلمين يجعل من صاحبه خير الناس وأفضلهم - ﷺ -
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

ولقد سمعت منه يا بني ومعى جمع كبير من الصحابة - قوله ﷺ:
«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به، كالأترجة طعمها طيب وريحها
طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح
لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر.
ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرٌّ أو خبيث ولا ريح
لها»^(٢).

يقول زيد بن ثابت ﷺ:
وكان مما يكرره دائماً أخى وحبيبي أبو ذر: لأن تغدو فنتعلم آية من كتاب
الله خير من أن تصلى مائة ركعة. وقارئ القرآن مأجور على قراءته.
عندها رفع عبد الرحمن بن زيد أكف الضراعة متوجهاً إلى خالق
الأرض والسماء وأخذ يتمتم بهذه العبارات:
«اللهم اجعلنا من حفظة كتابك العاملين بما فيه من شرع وهداية،
وارزقنا حلاوة الإيمان وبرد اليقين.

(١) رواه البخارى ومسلم بسندهما عن عثمان بن عفان - ﷺ - قال ﷺ وذكره.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الأطلمة ٣٠ وفضائل القرآن ١٧ - ٣٦ ومسلم فى المسافرين ٢٤٢،
وأبو داود ١٦ والترمذى فى الأدب ٧٩ وابن ماجه فى المقدمة.

زيد بن ثابت والقرآن الكريم

القرآن الكريم: هو كتاب الله عز وجل، المنزل على خاتم الأنبياء محمد- ﷺ بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف.

وهو كتاب محكم قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١).

وهو المعجزة الكبرى تحدى بها رسول الله- ﷺ - الناس كافة الإنس والجن أن يأتوا بمثله فمجزوا.

تحداهم أولاً أن يأتوا بمثله فمجزوا وما استطاعوا قال تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢).

وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور فمجزوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣).

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فمجزوا قال تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤).

ثم كرر التحدى مرة أخرى قال تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٥) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

(١) سورة هود آية رقم ١.

(٤) سورة يونس آية رقم ٣٨ - ٣٩.

(٣) سورة هود الآية: ١٣.

الَّتِي وَقَّوْهُمُ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

والقرآن الكريم شريعة الله لخلقه الذي تكفل بجميع ما يحتاجه البشر في أمور دينهم وديناهم.

والقرآن الكريم حارب التقليد ودعا إلى النظر والتأمل في الكون، وكون أمة مثالية، اختطت من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعي ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه.

يقول الإمام علي - عليه السلام - سمعت الرسول - ﷺ - يقول: «ألا إنها ستكون فتن...»
قلت: وما المخرج منها يا رسول الله..؟

قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم - وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم - وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (٢) .

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم (٣) .

يقول زيد بن ثابت عليه السلام وللقرآن الكريم أسماء كثيرة منها:

١ - القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة آية ٢٣ - ٢٤ . (٢) سورة الجن آية رقم ١ .

(٣) الحديث رواه الترمذي والدارمي وغيرهما وابن كثير في فضائل القرآن وتعقب كلام الترمذي مما يدل على اعتماده للحديث .

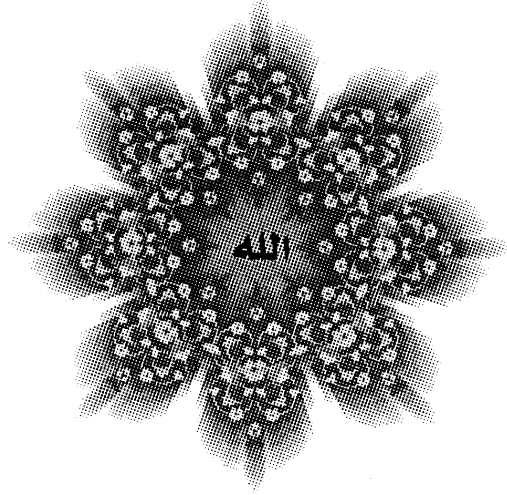
(٤) سورة الإسراء آية رقم ١٠٦ .

٢- الفرقان: قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١).

٣- الكتاب: قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٢).

٤- التنزيل قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣).

٥- الذكر: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).



(١) سورة الفرقان آية رقم ١.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢٠١.

(٣) سورة فصلت آية رقم ٤١-٤٢.

(٤) سورة الحجر آية رقم ٩.

الترغيب في قراءة القرآن وحفظه

تعلم القرآن وتعليمه يجعل صاحبه خير الناس وأفضلهم- روى الشيخان عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

ومن حديث أبي ذر- رضي الله عنه-:

لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير من أن تصلى مائة ركعة، وقارئ القرآن مأجور على قراءته.

وروى الشيخان في صحيحهما بسندهما عن زيد بن ثابت- عن النبي- ﷺ- قال:

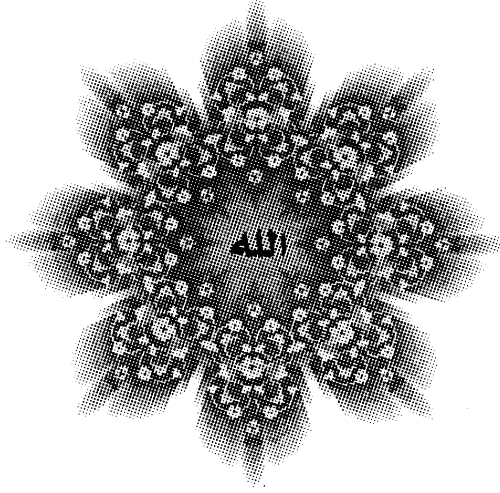
«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به، كالثمرة طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث ولا ریح لها»^(١). كما ذكرنا سابقا.

والقرآن عند ما استقر في قلوب المؤمنين خرجوا به والظلام شامل والجهل حاكم. والعقائد زيف وأباطيل فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأظعمة ٣٠، وفضائل القرآن ١٧، ٢٦، والتوحيد ٥٧، وأخرجه الإمام مسلم في المسافرين ٢٤٣ وأبو داود في الأدب ١٦ والترمذي في الأدب ٧٩ والنسائي في الإيمان ٣٢ وابن ماجه في المقدمة ١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٤: ٢٩٧، ٤٠٤، ٤٠٨ (حلبى).

الحق للإنسان.

فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.
لقد رفعوا كلمة التوحيد عالية خفاقة في أركان الأرض الأربعة.
اللهم اجعلنا من حفظة كتابك العاملين بما فيه من شرع وهداية وارزقنا
حلاوة الإيمان وبرد اليقين.





الإيثار والبذل وموقف الإسلام منهما

ذكر الترمذى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأنصار بات عنده ضيف فلم يكن عنده إلا قوته، وقوت صبيانه.

فقال لامرأته: نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه - : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود ؟؟..

فأرسل إلى بعض نسائه. فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. ثم أرسل إلى الأخرى: فقالت مثل ذلك.

حتى قلن كلهن مثل ذلك.. ؟!

فقال ﷺ لجماعة المسلمين. من يضيف هذا الليلة رحمه الله.. ؟.

فقام رجل من الأنصار. فقال: أنا يا رسول الله.

ثم انطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء.. ؟.

قالت: لا إلا قوت الصبيان.. ؟؟.

قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا ناكل

فإذا هوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئي.

قال: فقعدوا وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا على النبي - ﷺ - فقال:

«قد عجب الله - عز وجل - من صنعكما بضيفكما الليلة».

وذكر الإمام القشيري - رحمته الله - عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأس شاة.

فقال الرجل: إن أخي فلان وعياله أحوج إلى هذا منا فأبعثه إليهم.

فلم يزل يبعث بها واحد إلى آخر تداولها سبعة بيوت حتى رجعت إلى التي أهديت له أولاً فنزل قول الله تعالى:

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

يقول الإمام القرطبي: الإيثار تقديم الغير على النفس وحفظها الدنيوية ورغبة في الحفظ الأخرية.

وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة.

وفي موطأ الإمام مالك - رحمته الله - أنه بلغه عن عائشة - أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت عائشة لمولاها لها:

أعطيه الرغيف.

فقالت الجارية: ليس لك ما تفطرين عليه.

فقالت عائشة - مرة ثانية أعطيه الرغيف.

قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت شاة ملفوفة بعشرة أرغفة فدعت عائشة الجارية وقالت لها كلي من هذا فهذا خير من رغيفك.

قال أهل الفضل: هذا من المال الرابع، والفعل الزاكي عند الله تعالى: يعجل منه ما يشاء، ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه.

ومن ترك شيئاً لله لم يجد فقداه.

وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم، مع ما هم فيه من الخصاصة، وأن من فعل ذلك فقد وقى شح

نفسه وأفلح فلاحاً لا خسارة بعده.

وعن مالك بن دينار- رحمته الله- أن عمر بن الخطاب- رحمته الله- أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع بها.

فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك.

فقال أبو عبيدة: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالى يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلا فلان.

وبهذه الخمسة إلى فلان. حتى أنفدها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل. وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل. وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع.

فذهب الغلام بها إليه وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حاجتك.

فقال معاذ بن جبل- رحمته الله- رحم الله أمير المؤمنين ووصله.

وقال يا جارية: اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت:

ونحن والله مساكين فأعطنا ٩٩٠.

قالت ذلك ولم يبق في الخرق إلا ديناران فسلمهما لها.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره. فسرَّ عمر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وقد وردت أخبار صحيحة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء.

وقيل: إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه.

فأما الأنصار- رضوان الله عليهم- فهم الذين أثنى عليهم بالإيثار على أنفسهم، فلم يكونوا بهذه الصفة. بل كانوا كما قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾^(١).

وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك. والإمساك لم لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.

وروى أن رجلاً جاء إلى النبي - ﷺ - بمثل البيضة من الذهب.

فقال: هذه صدقة فرماه بها وقال:

«يأتى أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس».

والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال. قال الشاعر:

«والجود بالنفس أسمى غاية الجود».

ألا ترى أن امرأة العزيز لما تناهت في حبها لـيوسف ﷺ أثرتة على نفسها فقالت: أنا راودته عن نفسه».

وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي، ومعى شيء من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته. فإذا أنا به فقلت له:

فأشار برأسه أن نعم.

فإذا أنا برجل يقول: آه، آه.

فأشار إلى ابن عمي أن أنطلق إليه. فإذا هو هشام بن العاص.

فقلت: أسقيك..؟

فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول آه، آه فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته

فإذا هو قد مات..؟

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٧٧.

فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات.. ٩٩

فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.. ٩٩

وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ،
قدم علينا حاجاً فقال لي: يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم؟

قلت: إنا وجدنا أكلنا، وإن فقدنا صبرنا.

فقال: هكذا كلاب بلخ عندنا.

فقلت: وما حد الزهد عندكم.. ٩٠

قال: إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا.

وسئل ذو النون المصري: ما حد الزهد المنشرح صدره.. ٩٠

قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت.

وحكى عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً
بقرية من قرى الري، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم.

فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام. فلما رفع فإذا الطعام
بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً إيثاراً لأصحابه على نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقد قال أهل اللغة: إن الشح أشد من البخل.

وعن الأسود عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رجلاً أتاه فقال له: إني أخاف أن
أكون قد هلكت.

قال: وما ذاك.. ٩٠

قال سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) سورة الحشر آية رقم ٩.

وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن.
إنما الشح: أن تاكل مال أخيك ظلماً. ولكن ما ذكرت ذلك البخل.
ويش السوء البخل.

وقال: إن النبي - ﷺ - كان يدعو فيقول:
« اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووساوسها ».
وكان يقول أيضاً: « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ».

وقال كسرى لأصحابه: أى شيء أضرب ابن آدم؟

قالوا: الفقر.

فقال كسرى: الشح أضرب من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع. والشحيح إذا وجد لم يشبع أبداً.

نرجو من الله تعالى السلامة والمغفرة إنه قريب مجيب الدعاء.

مسيلة الكذاب الحنفى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ
أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ
سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ
الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ
بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

(الأنعام: ٩٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

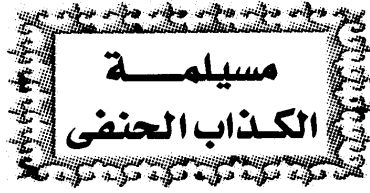
قال الإمام الواحدى فى كتابه أسباب النزول ص ٢٢٣ نزلت فى مسيلمة الكذاب.

وعزاه فى اللباب ص ٢٠ لابن جرير عن عكرمة.

وعزاه فى الدر المنثور للسيوطى ٣: ٣٠ لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج.

وذكره ابن جرير فى التفسير ١٧- ١٨.

فمن هو مسيلمة الكذاب..؟



حياته ونشأته:

هو مسيلة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى متبئ. كذاب. من المعمرين وفى الأمثال «أكذب من مسيلة».

ولد ونشأ باليمامة^(١). أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً وعلى ثرى أرض اليمامة تنازع رجل وزوجته على أيهما يقوم بحضانة الطفل بعد افتراقهما. فارتفعا أمرهما إلى الملك عمليق فقالت المرأة: أيها الملك: هذا ابنى حملته تسعاً، ووضعتة رفعاً وأرضعتة شبعاً، ولم أنل منه نفعاً.

حتى إذا تمت أوصاله واستوفى فصاله أراد زوجى أن يأخذه كرهاً، ويتركنى ولهى.. ٩٩٠

فقال الرجل: أيها الملك أعطيتها المهر كاملاً، ولم أصب منها طائلاً إلا ولداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً.

على أننى حملته قبل أن تحمله.

وكفلت أمه قبل أن تكفله.

فقالت أيها الملك: حملة خفاً وحملته ثقلأً، ووضعه شهوة، ووضعتة كرهاً.

(١) راجع معجم البلدان ج ٥ ص ٤٤١ وما بعدها.

فلما رأى عمليق متانة حجتها تحير فلم يدر بما يحكم. فأمر بالغلام أن يقبض منهما وأن يربي مع غلمانته.
فوق هذه الأرض المبسوطة، والنخل الباسقات والمياه الجارية نشأ مسيلمة الكذاب.

وتلقب في الجاهلية بالرحمن وعرف برحمان اليمامة.
ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتح النبي - ﷺ - مكة.
ودانت له العرب- جاءه وفد من بني حنيفة. قيل كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال خارج مكة- وهو شيخ هرم.
فأسلم الوفد وذكروا للنبي مكان مسيلمة فأمر له بعطاء بمثل ما أمر لهم:
ولما رجعوا إلى بلادهم كتب مسيلمة إلى النبي - ﷺ - كتاباً قال فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد: فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض. ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فأجابه الرسول - ﷺ - قائلاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد:
﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).
وكان ذلك في أواخر سنة ١٠ هـ.

وأكثر مسيلمة من وضع الأسجاع يحاول أن يضاهي بها القرآن. وصدق ربي في قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٢).
وتوفي النبي - ﷺ - قبل القضاء على فتنته.

(١) الأعراف آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٥.

وقد بعث النبى ﷺ - قبل وفاته خيلاً قبل اليمامة فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له «ثمامة» بن أثال فريطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج له النبى ﷺ - فقال:

«ما عندك يا ثمامة؟»

قال: عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم وأن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فتركه حتى كان الغد: وقال له: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندى ما قلت لك.

فقال الرسول ﷺ -: أطلقوا ثمامة.

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد: فاغتسل ثم دخل المسجد. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم تابع قوله: يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى.

والله ما كان دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلى وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ - وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قالوا له أصبوت؟

قال: لا ولكنى أسلمت مع محمد ﷺ - ولا والله لا تأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى ﷺ (١).

(١) هذا رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث به.

مقتل مسيلمة

بعث الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - خالد بن الوليد إلى قتال بني حنيفة باليمامة. وجيش معه عدد كبير من المسلمين.

وكان يحمل راية الأنصار ثابت بن قيس بن شماس.

وسار هذا الجيش ووجهته بني حنيفة - وكان لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم. وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب.

وأردف الصديق - رضي الله عنه - جيش خالد بكتيبة أخرى لتكون رداءً له من الخلف. وكان قد بعث الصديق قبل خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى مسيلمة الكذاب عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل ابن حسنة فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم كانوا في نحو أربعين ألفاً من المقاتلة.

فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له عقربا في طرف اليمامة وندب الناس وحثهم على القتال.

ويقال إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم:

ماذا تقولون يا بني حنيفة؟..

قالوا: منا نبي ومنكم نبي.

وقال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الفيرة. اليوم إن هزمتم تستكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات..

فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة. فضرب به عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة.

وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس والعرب على راياتها.

ثم اصطدم المسلمون مع جيش مسيلمة فكانت جولة وانهزمت الأعراب؟

حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل زوجته.

ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس: «بئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب اخلصنا يا خالد فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار ثم ثار البراء بن معرور كما يثور الأسد وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله.

وأخذت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم. وحضر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة أتخشى أن نؤتى من قبلك؟..

فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا...؟

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً.

وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي فقتل شهيداً رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم واصيب رضي الله عنه.

وحمل خالد بن الوليد - رضي الله عنه - حتى جاوزهم وسار نحو مسيلة وجعل يتربص أن يصل إليه فيقتله.

ثم رجع ووقف بين الصفيين ودعا إلى البراز وقال: أنا ابن الوليد العود.

أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يا محمداه وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شيء إلا أكله.

ودارت رحى الحرب ثم اقترب من مسيلة ففرض عليه النصف والرجوع إلى الحق. فجعل شيطان مسيلة يلوى عنقه، لا يقبل منه شيئاً.

وكلما أراد مسيلة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه فانصرف عنه خالد وصبرت الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ولم يزالوا

يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم. وولى الكفار الأدبار وأتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا حتى الجأوهم إلى حديقة الموت واستطاع البراء بن مالك أن يعتلى سور الحديقة ويفتح لهم الباب. حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف على ثلثة جدار كأنه جمل أورق فتقدم إليه وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم- قاتل حمزة فرماه بحريته فسقط مسيلمة. بعد أن خرجت الحرية من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط. فنادت امرأة من القصر وأميراء قتله العبد الأسود.

ولما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم:

«أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة..»

فقالوا: وتعفينا يا خليفة رسول الله..؟

فقال: لابد من ذلك.

فقالوا كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقى كما تتقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. رأسك في الماء، وذنبك في الطين.

وكان يقول: والمبذرات ذرعاً، والحاصدات حصداً والخابزات خبزاً والثارذات ثرداً، واللاقمات لقماً.

وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون أين هذا من قول الله تعالى:

الذى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^(١).

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة فصلت آية رقم ٤٢.

(٢) سورة الواقعة الآيات رقم: ٧٧ - ٧٩.



الطفاة والجبابرة ودورهم فى حياة الشعوب

إن الطفاة فى كل عصر ومصر، كان لهم دور كبير فى تغيير صفو الحياة عن طريق التكيل والتعذيب والقتل.

وكم رويت الأرض من دماء الأبرياء الذين لم يقتترفوا إثماً ولا ارتكبوا جريمة. ويطلب لنا أن نقدم فى هذه الموسوعة صوراً لبعض هؤلاء الطفاة.

١ - النمرود بن كوش...

كان من أوائل الطفاة الجبارين الذين عانوا فى الأرض تجبراً وفساداً يقول قتادة - رضي الله عنه :

النمرود بن كوش: أول من تجبر وتكبر وأقام نفسه إلهاً فى الأرض وهو صاحب الصرح ببابل. وقيل ملك الدنيا بأجمعها فى دورة من دورات الحياة.

وهو الذى حاج إبراهيم عليه السلام وكان الذى ملكه على العباد الطاغية الضحاك. وكأنه من سلالة الذئاب التى تنهش وتأكّل ويقال إن ملكه دام ألف عام فيما يقولون.

وهو أول من صلب البشر وأول من قطع أيديهم وأرجلهم بلا جرم ارتكبه.

وفى خبر الحاجة التى دارت بينه وبين إبراهيم عليه السلام روايتان أنه خرج وشعبه فى يوم عيد لهم.

فدخل إبراهيم عليه السلام على أصنامهم فكسرها. نعم كسر الأصنام والأوثان التى كانت تعبد من دون الله فى الأرض.

فلما رجعوا قال لهم إبراهيم «أتعبدون ما تحتون»؟

فقالوا له: وأنت فمن تعبد...؟

قال إبراهيم عليه السلام: أنا أعبد ربي الذي يحيى ويميت.

قالوا: «حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين».

وأججوا النار وألقوا فيها من كل حجر وخشب وحطب وشجر حتى تحولت إلى نار عظيمة فألقوه فيها عندها صيد قرار الحماية من خالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت قوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١).

والرواية الثانية: أن نمرود كان يحتكر الميرة التي يصنع منها الطعام. فكانوا إذا احتاجوا إلى الميرة ذهبوا إليه فإذا دخلوا عليه سجدوا بين يديه.

فدخل إبراهيم عليه السلام فلم يسجد.

فقال له: مالك لا تسجد لى.

قال إبراهيم: أنا لا أسجد إلا لربى.

فقال له نمرود: من ربك...؟

قال إبراهيم: ربي الذي يحيى ويميت.

وذكر زيد بن أسلم - رحمه الله - أن النمرود هذا كان يئس الناس ويذلهم بطلب الميرة.

فكلما جاء قوم يطلبون منه الميرة يقول لهم: من ربكم وإلهكم...؟

فيقولون أنت.

فيقول: ميروهم أى أعطوهم الدقيق.

وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك وإلهك...؟

قال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيى ويميت.

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

فلما سمعها نمرود قال: أنا أحيى وأميت.
فعارضه إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ (١).

عندها بهت الذى كفر.. ٩٠.

وقال لعبيده الذين استعبدتهم من دون الله لا تميروهم.

فرجع إبراهيم عليه السلام إلى أهله دون شيء فمر على كثير رمل كالدهيق.
فقال فى نفسه: لو ملأت غرارتى من هذا فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر إليهم.. فذهب بتلك الغرارتين. وما كاد الأطفال يرون أباهم، وهو يحمل هذا الحمل حتى فرحوا وجعلوا يلعبون. ثم نام هو من الإعياء فقالت امرأته: لو صنعت له طعاماً يجده حاضراً إذا تبينه من نومه. ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت فيها أحسن ما يكون من الدهيق فخبزته.

فلما قام من نومه وضعته بين يديه فقال:

من أين لك هذا.. ٩٠.

فقالت: من الدهيق الذى أتيت به.

الطاغية فرعون

يطلق عليه فرعون موسى ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً فى ملكه منه.

وكان اسمه- فيما ذكروا- الوليد بن مصعب. ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلباً، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه.
يمدبهم فيجعلهم خدماً وخولاً.
وصنفهم فى أعماله على الآتى.

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٨.

صنف يبنون المنازل والحوانيت.

وصنف يحرثون الأرض ويرمون فيها الحب.

وصنف يزرعون الأشجار ويرقبون نضج الثمار.

فهم في أعماله دائماً.

ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه دفع الجزية.

فسامهم كما قال الله تعالى: ﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾^(١).

وقد تزوج منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خير النساء المكدوات وقال الله تعالى عنها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فعمر فيهم فرعون وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب.

ولما تقارب زمان بعثة موسى عليه السلام أتى منجمو فرعون وخزانه إليه فقالوا:

«نعلم أننا نجد في عملنا أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يبعث فيه يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك ويخرجك من أرضك ويبدل دينك.

فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بنى إسرائيل وأمر بالنساء ألا يذبحن.

ثم جمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن.

لا يسقطن على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتموه.

فكن يفعلن ذلك حتى بلغ القتل أكثر من سبعين ألف طفل.

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧.

(٢) سورة التحريم آية رقم ١١.

ويأمر بالحبالي فيعذب حتى يطرحن ما فى بطونهن.

عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيع عن مجاهد قال:
لقد ذكر لى أن فرعون كان يأمر بالقصب فيشق ثم يصف بعضه إلى
بعض. ثم يأتى بالحبالي من بنى إسرائيل فيوقفهن عليه فيخرق أقدامهن.
حتى إن المرأة منهن لتلقى بولدها فيقع بين رجلها. فتظل تطؤه تتقى به
حزاً القصب عن رجلها. لما بلغ من جهدها.

ولقد أسرف فرعون فى ذلك وكاد يفنيهم ٩٩٠.

ف قيل له: أفنيت الناس، وقطعت النسل، ومنهم خولك وعمالك.

عندها أمر أن يقتل الفلمان عاماً ويبقيهم عاماً.

فولد هارون فى السنة التى لا يقتل فيها.

وولد موسى عليه السلام فى السنة التى يقتلون فيها.

ولذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

هذا الطاغية علا فى الأرض.

ثم تكبر وتجبِر وجعل أهل مصر شيعاً.

كل طائفة فى شأن من شئونه.

ولقد وقع أشد الاضطهاد والبغى على بنى إسرائيل. لأن لهم عقيدة غير
عقيدة فرعون وقومه.

فهم كانوا يدينون بالإله الواحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد.

ومهما وقع فى عقيدتهم وكتابهم التوراة بعد ذلك من تحريف وتحوير

فقد بقى لهم أصل الاعتقاد بالإله الواحد.

(١) سورة القصص آية ٤.

فقد أحسَّ فرعون أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مملكته التي كان يقول عنها:

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾^(١).

ولم يكن في استطاعته أن يطردهم وهم عدد كبير لا يحصى ولا يعد ولو فعل لكان من الممكن التحالف بينهم وبين أعداء فرعون. فابتكر عندئذ هذه الطريقة وهي تسخيرهم في شتى الأعمال وإضعاف قوتهم بالإضافة إلى قتل أبنائهم.

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد غير ما يريد فرعون.

ويقدر الله سبحانه وتعالى غير ما يقدر الطاغية.

والطفاة البغاة في كل عصر ومصر تخدعهم قوتهم وسطوتهم عندها ينسون إرادة الله وتقديره.

ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون.

وتناسوا إرادة الله وقدرته والتي أنزلها في كتابه خاتم الكتب السماوية بقوله تعالى:

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٢).

﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾^(٣).

حكمتك يارب يقتل فرعون سبعين ألف طفل حتى يمنع قدر الله - ولكن الله سبحانه يجعل هذا الطفل الذي يخافه فرعون ويعيش في رعب منه لا يقتل ويتربى في قصره.

(١) سورة الزخرف آية رقم ٥١.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٦.

وما حدث مع موسى حدث مع يوسف عليه السلام الذى رغب إخوته القضاء عليه- وإبعاده حتى يخلو لهم وجه أبيهم.

ويشاء العليم القدير أن يحرس بعنايته ورعايته هذا الطفل فى الجب ثم تربى فى أحد القصور بين الرفاهية والنعيم.

وهؤلاء الإخوة يأتون إليه ويحتاجون لعونه- ومساعدته. ثم تتكشف لهم حقيقة يوسف وأن كيدهم انقلب بإرادة الله إلى سعادة ونعيم.

وكذلك فرعون يصب جام غضبه على بنى إسرائيل ويكيل لهم النكال والعذاب كيلاً. وهو مع ذلك يخافهم ويحذرهم.

يرهبهم ويحتاط من كيدهم إن كان لهم كيد.

فيبعث عليهم العيون والأرصاد ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الجزار والقتال.

ويتحقق وعد الله وقدره ويدوى فى أركان الأرض الأربعة قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

تميم بن أوس الداري

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

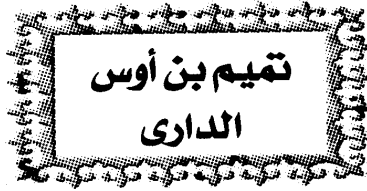
قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ .

(سورة المائدة: ١٠٦)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الإمام الواحدى نزلت في تميم الداري وعدي بن بداء ص ٢١٥
وذكره الإمام البخاري في الوصايا ٢٧٨٠
وذكره أبو داود في القضايا ٣٦٠٦
والإمام الترمذي في التفسير ٣٠٦٠
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠ - ١٦٥
فمن هو تميم الداري؟



من العمالة الصيد.

ومن الركع السجود الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

كان من أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَنَجْذِئُنَّ أَقْرَبَهُم مَّرَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرَهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١).

نشأ على بطحاء المدينة «يثرب الخضراء» ذات الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء والهواء العليل وأهلها الطيبون المطيبون والذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

دخل في رحاب الإسلام في السنة التاسعة من الهجرة. وصار من الذين يقومون الليل ويصومون النهار تقرباً إلى الله تعالى. حتى صار من الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (٤). اقترب من الرسول - ﷺ واستمع إلى قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٥).

(١) سورة المائدة رقم: ٨٢. (٢) سورة الحشر آية رقم: ٩.

(٣) سورة السجدة آية رقم: ١٦ - ١٧. (٤) سورة آل عمران آية: ٤٢.

ويتكلم عن الطفل الطاهر المطهر- رضوان الله عليه- والذي تكلم في المهد بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (١)﴾.

عندها أعلن إسلامه ونطق بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» وتتابع جلسات في مجلس الرسول - ﷺ - وفي يوم ليس كمثله يوم تحدث مع الرسول - ﷺ - حديث الجساسة من ذلك أن الصحابي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي: سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس- وكانت من المهاجرات الأول. فقال: حدثني حديثاً سمعته من رسول الله - ﷺ - لا تسنديه إلى أحد غيره.

فقالت: لئن شئت لأفعلن

فقال لها: أجل حدثيني.

فقالت: نكحت ابن المغيرة- وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله - ﷺ -. فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف. في نفر من أصحاب رسول الله - ﷺ -. وخطبني رسول الله على مولاه أسامة بن زيد. وكنت قد حدثت أن رسول الله - ﷺ - قال: «من أحبني فليحب أسامة». فلما كلمني رسول الله - ﷺ - قلت أمرى بيدك فانكحني من شئت.

فقال: انتقلي إلى أم شريك. وهي امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان.

فقلت: سأفعل.

فقال: لا تفعل. إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإنني أكره أن يسقط

(١) سورة مريم الآيات رقم من ٣٠: ٣٣.

عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقل إلى عملك: عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم... وهو رجل من بني فهر. من البطن الذي هي منه. فانتقلت إليه.

فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي- منادي رسول الله- ﷺ- ينادي: الصلاة جماعة.

فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله- ﷺ- . فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله- ﷺ- صلاته: جلس على المنبر- وهو يضحك- ثم قال: ليلزم كل إنسان مصلاه.

ثم قال: أتدرون لما جمعتكم...؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم. وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال...؟

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا على جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة من الجزيرة.

ثم دخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب^(١) كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا:

«ويلك ما أنت...؟»

ف قالت: أنا الجساسة.

(١) أهلب: غليظ الشعر، كثيره.

قالوا: وما الجساسة.

قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأسواق قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها^(١) أن تكون شيطانة.

قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشدّه وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويحك من أنت..؟

قال قدرتم على خبري. فأخبروني من أنتم..؟

قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقرابها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلك كثيرة الشعر، لا يدري قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقلنا ويحك من أنت..؟

فقالت: أنا الجساسة...

قلنا: وما الجساسة..؟

قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأسواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيان؟

قلنا: عن أي شيء منها تستخبر..؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر..؟

قلنا له نعم.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية.

(١) فرقنا منه: أي خفنا.

قلنا: عن أى شأنها تستخبر..؟

قال: هل فيها ماء.

قالوا: كثيرة الماء..

قال: أما ماؤها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زعر^(١).

قالوا: عن أى شأنها تستخبر..؟

قال: هل فى العين ماء..؟ وهل يزرع أهلها بماء العين..؟

قلنا: له هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل..؟

قالوا: قدم من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب..؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم..؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال: قد كان ذلك..؟

قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإنى مخبركم عنى، إنى أنا المسيح وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة^(٢) فهما محرمتان على كلتاها

(١) عين زعر: هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام.

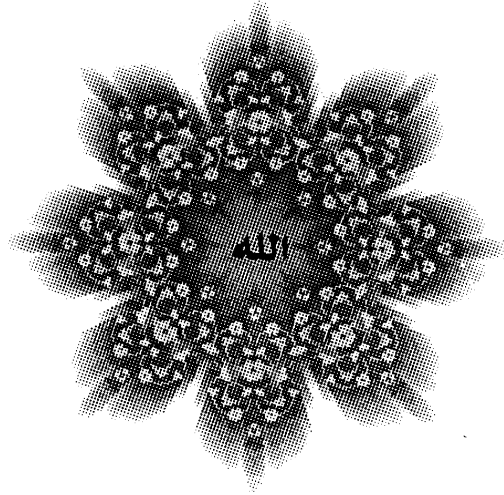
(٢) هى المدينة: ويقال لها أيضاً طابة.

كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً^(١) يصدني عنها وإن كان على كل نقب ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله - ﷺ - وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة، هذه طيبة - يعني المدينة. «ألا هل حدثكم ذلك؟»

فقال الناس: نعم.

قال عليه الصلاة والسلام: فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن لا بل من المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو. من قبل المشرق ما هو. وأوماً بيده إلى المشرق فحفظت هذا من رسول الله - ﷺ -^(٢).



(١) صلتاً: بفتح الصاد وضمها: أى مسلولاً.

(٢) الحديث أخرجه مالك في الفتن ١١٩ وأبو داود في الملاحم ١٤-١٥ والترمذي في الفتن ٩٦ وابن ماجه في الفتن ٣٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٦: ٣٧، ٣٧٤، ٤١٣، ٤١٧، (حلبى).

الدجال في أحاديث الرسول ﷺ

ذكر الإمام مسلم بسنده عن النواس بن سميان قال: ذكر رسول الله -
ﷺ- الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع^(١).

حتى ظنناه في طائفة النخل.

فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا.

فقال: ما شأنكم...؟

قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه
في طائفة النخل...؟

فقال ﷺ غير الدجال أخوفني عليكم^(٢).

إن يخرج الدجال وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم...؟

وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ وحجيجه نفسه...؟

والله خليفتي على كل مسلم.

إنه شاب قطل^(٣) عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن.

فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف.

إنه خارج خلة بين الشام والعراق^(٤).

(١) خفض الرسول ﷺ صوته ليستره، ثم رفع صوته ليبلغ كل أحد بلاغاً كاملاً.

(٢) معناه: أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون.

(٣) قطل: أى شديد جمود الشعر، مباعد للجودة المحبوبة.

(٤) بين الشام والعراق: يعنى بين البلدين.

فإن عاث يميناً وعاث شمالاً^(١) يا عباد الله فاثبتوا.

قلنا يا رسول الله وما لبثته في الأرض..؟

قال ﷺ: أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم.

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم..؟

قال: لا. اقدروا له قدره^(٢).

قلنا يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض..؟

قال ﷺ: كالغيث استدبرته الريح. فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له.

عندها يأمر السماء فتمطر.

والأرض فتبت. فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً^(٣) وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر...

ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم.

فيصبحون محلين^(٤) ليس بأيديهم شيء من أموالهم.

ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك. فتتبعه كنوزها. كيغاسيب النحل^(٥).

ثم يدعو رجلاً ممثلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض^(٦).

(١) العيث: الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه.

(٢) معناه إنه إذ مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر وهكذا في كل الصلوات.

(٣) تروح: ترجع آخر النهار. والسارحة: الماشية التي تسرح أى تذهب أول النهار إلى المرعى.

(٤) قال القاضى: أى أصابهم المحل، ويبس الأرض من النبات وقيل المحل: الجذب والقحط.

(٥) يغاسيب النحل: ذكور النحل. وهو يريد الجميع ولكنه كنى عن الجماعة باليمسوب وهو أميرها أو ملكة النحل.

(٦) فيقطعه جزلتين: الجزلة: القطعة أى قطعتين ورميه الغرض يجعل بين كل قطعة وأخرى مقدار الرمية.

ثم يدعو فيقبل ويتהלل وجهه يضحك .
 فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ﷺ ابن مريم .
 فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين^(١) .
 واضعاً «المسيح ﷺ» كفيه على أجنحة ملكين . إذا طأطأ رأسه قطر .
 وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ^(٢) .
 فلا يحل^(٣) لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه .
 فيطلبه حتى يدركه بباب لد^(٤) فيقتله .
 ثم يأتي عيسى ابن مريم ﷺ - قوم قد عصمهم الله منه - فيمسح عن
 وجوههم^(٥) ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة .
 فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا
 يدان لأحد بقتالهم^(٦) .. فحرز عبادي إلى الطور^(٧) .
 ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون^(٨) .
 فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشرّبون ما فيها .
 ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء .

(١) هذه المنارة يقال بأنها موجودة شرق دمشق ومهرودتين . ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .
 (٢) الجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار . والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ
 في صفائه .
 (٣) فلا يحل: حق وواجب .
 (٤) لد: بلدة قريبة من بيت المقدس .
 (٥) يمسح عن وجوههم تبركاً وبرأ ويحتمل كشف ما بهم من الشدة والخوف .
 (٦) يدان: معناه لا قدرة ولا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر - يدان لمجزه عنه .
 (٧) فحرز عبادي: أي ضمهم واجملهم في أمان وحفظ .
 (٨) وهم من كل حدب ينسلون: قال الفراء من كل أكمة من كل موضع مرتفع: يمشون مسرعين .

ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم.

فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرسل الله عليهم النصف (١) في رقابهم فيصبحون فرسى (٢) كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم (٣) ونتهن.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت (٤) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يكن (٥) منه بيت مدر (٦) ولا وبر.

فيفسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (٧).

ثم يقال للأرض أنسيتي ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة (٨) من الرمانة ويستظلون بقحفها (٩) ويبارك في الرسل (١٠).

حتى أن اللقحة (١١) من الإبل لتكفي الفئام (١٢) من الناس.

(١) النصف: هو دود يكون في أنوف الإبل والفنم والواحدة نصفه.

(٢) فرسى: أى قتلى واحد منهم فريس كقتيل وقتلى.

(٣) زهمهم: أى دسمهم.

(٤) البخت قال في اللسان: دخيل في العربية أعجمى معرب وهى الإبل الخرسانية وهى جمال طوال الأعناق.

(٥) لا يكن، أى لا يمنع من نزول الماء. (٦) مدر: هو الطين الصلب.

(٧) كالزلفة اختلف في معناها فقال أبو زيد وآخرون قالوا معناها كالمرأة. وحكى صاحب المشارق هنا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - شبهها بالمرأة فى صفاتها ونظافتها وقيل كمصانع الماء.

(٨) المصابة: الجماعة من الناس قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ سورة النور آية ١١.

(٩) بقحفها شبهها بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ.

(١٠) الرسل: اللبن سواء من الإبل أو من الشياه.

(١١) اللقحة: هى القرية المهد بالولادة وجمعها: لقح كبركة وبرك واللقوح: ذات اللبن.

(١٢) الفئام: هى الجماعة الكثيرة. وهذا هو المشهور فى كتب اللغة والمعاجم.

واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس.

واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ (١) من الناس.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

عندها تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة. ومسلم ومسلمة (٢).

ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر (٣)، فعليهم تقوم الساعة.

ويروى أن أبا سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله - ﷺ - حديثاً طويلاً عن الدجال.

فكان مما حدثنا قال:

«يأتى وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة (٤).

فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس.

فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله - ﷺ - عنه.

فيقول الدجال: رأيتم إن قتلتم هذا ثم أحبيته أتشكون فى الأمر؟

فيقولون: لا.

قال: فيقتله ثم يحييه.

فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى الآن؟

قال: فيريد الدجال أن يقتله ثانياً فلا يسلط عليه.

(١) الفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

(٢) هكذا فى جميع نسخ مسلم.

(٣) يتهارجون: أى يجامع الرجل والنساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير.

(٤) نقاب المدينة أى طرفها وفجاجها.

قال أبو إسحاق^(١):

يقال هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

وقال أبو سعيد الخدرى - عليه السلام - أيضاً قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالحة مسالحة الدجال فيقولون له: أين تعمد...؟

فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج...؟

قال فيقولون له: أوما تؤمن به..؟

فيقولون: ما برينا خفاء.

فيقولون اقتلوه: اقتلوه.

فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه..؟

قال: فينطلقون به إلى الدجال.

فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله -

ﷺ -

قال فيأمر الدجال فيشبع^(٣) - فيقول خذوه وشجوه^(٤)، فيوسع ظهره ويطنه ضرباً.

قال فيقول:

أوما تؤمن بى...؟

قال فيقول «الرجل» أنت المسيح الكذاب

(١) أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم.

(٢) المسالحة قوم معهم سلاح يرقبون فى المراكز كالخضراء، سموا بذلك لحملهم السلاح.

(٣) يشبع: أى يمد على بطنه وروى فيشج: أى يقسم قسمين.

(٤) شجوه، من الشج وهو الجرح فى الرأس والوجه ويروى واشجوه.

قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار^(١) من مفرقه^(٢) حتى يفرق بين رجليه ٩٩
قال: ثم يمشى الدجال بين القطعتين.
ثم يقول له: قم فيستوى قائماً.
قال: ثم يقول له: أتؤمن بي.
فيقول الرجل: ما ازددت فيك إلا بصيرة.
ثم يقول الرجل: أيها الناس: إن هذا الدجال لا يستطيع أن يفعل بعدى
بأحد من الناس.
قال: فيأخذه الدجال ليزبحه.
فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً^(٣). فلا يستطيع الدجال إليه
سبيلاً.
قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به.
فيحسب الناس أنما قذفه في النار. وإنما ألقى في الجنة.
فقال رسول الله - ﷺ -: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.
وأخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن من طريق كعب الأحبار قال:
«يتوجه فينزل عند باب دمشق الغربي ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى
عند المياه التي عند نهر الكسوة.
ثم يطلب فلا يدرى أين توجه.
ثم يظهر بالشرق فيعطى الخلافة.
ثم يظهر السحر والشعبذة.
(١) وفي رواية: فيؤمر بالمنشار بالواو بدلاً من النون وهو الأفسح.
(٢) مفرق الرأس وسطه.
(٣) التروقة: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والماتق.

ثم يدعى النبوة.

عندها تتفرق الناس عنه. لأن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبى بعده.

ثم يأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل.

ثم يأمره أن يرجع فيرجع.

ثم يأمره أن يببس فييبس.

ثم يأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحا.

ويأمر الريح أن تثير سحباً من البحر فتُمطر الأرض ويخوض البحر فى يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقيقه ٩٩٠٠

وتظهر أن إحدى يديه أطول من الأخرى. فيمد الطويلة فى البحر فتبلغ قعره فيخرج الحيتان ما يريد (١).

هل يَزِيدُ هذا عن ما فعله سحرة فرعون وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْثَرَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (٢).

إن ما فعله أو أما يفعله المسيح الدجال لا يزيد عما فعله سحرة فرعون وعندما ظهرت الحقيقة وغلبت معجزة النبوة سحر الشيطان رجع سحرة فرعون إلى صوابهم وآمنوا بالواحد الأحد الفرد الصمد وقالوا لفرعون الذي هددهم: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٣).

إن المسيح الدجال سيكون له الخزي والعار وللمؤمنين الصابرين الجنة والفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند ملك مقدر.

(١) راجع فتح البارى- شرح صحيح البخارى: للمسقلانى- كتاب الفتن ج ١٣ ص ٩٢ الحديث ٧١٣١.

(٢) سورة الأعراف آية رقم: ١٦. (٣) سورة الأعراف آية رقم: ١٢٦.



ضوابط تلقى الأنباء فى المجتمع الإسلامى

المجتمع الإسلامى نظيف اليد والقلب، طاهر الظاهر والباطن أبعد ما يكون عن أمراض القلب من الحقد والغل والحسد والتجسس والغيبة والنميمة لأنه أنس بحب الله تعالى يقول الله سبحانه فى محكم كتابه عن أفراد هذا المجتمع:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾^(١).

وطاهر الظاهر: لأنهم يتطهرون خمس مرات فى اليوم، عن عقبة بن عامر الجهنى - رضي الله عنه - قال: «كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتى أرهاها فروحتها بالعشى، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس وأدركت من قوله:

«ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلّى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة».

فقلت له ما أجود هذا...؟

فإذا قائل بين يدي يقول: التى قبلها أجود.

فتظرت فإذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: إنى قد رأيتك قد جئت آنفاً.

قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

(١) سورة الحجر آية ٤٧.

محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» (١)

فالمسلمون في المجتمع الإسلامي يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تتحرف (٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٣)

ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (٤)

وفي المجتمع الإسلامي الرفيع يعيش الناس آمنين على أنفسهم وعلى بيوتهم آمنين على أسرارهم وعوراتهم، فالناس على ظواهرهم وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما فيتجسس عليهم ليضبطهم، وكل ما له أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها مع الضمانات الأخرى.

قال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن الأعمش عن زيد بن وهب قال:

أتى ابن مسعود فقل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً...؟

فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء تأخذ به (٥)

(١) رواه مسلم ٣٤، في الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود ١٦٩، ١٧٠ في الطهارة ما يقول الرجل إذا توضأ والترمذي رقم ٥٥ في الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء، والنسائي ١/ ٩٢، ٩٣ في الطهارة، باب القول بعد الفراغ من الوضوء.

(٢) منهج القرآن في تربية الرجال لعبد الرحمن عميرة ص ١١٥.

(٣) سورة العنكبوت آية: ٤٥.

(٤) سورة التوبة آية: ١٠٣.

(٥) رواه أبو داود بسنده عن زيد بن وهب.

وعن مجاهد: لا تجسسوا وخذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله. وروى الإمام أحمد بإسناده- عن دجين كاتب عقبة قال:

قلت لعقبة: إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم.

قال: لا تفعل ولكن عظمهم. ففعل فلم ينتهوا.

قال: فجاءه دجين فقال: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داع لهم الشرط فيأخذونهم.

فقال له عقبة: ويحك لا تفعل فإنني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: من ستر عورة مؤمن فكانما استحيا موعودة من قبرها^(١).

وإذا كان هذا في التجسس، فإن المجتمع الإسلامي يأخذ نفسه بالبعد عن الغيبة وتوابعها التزاماً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٢).

ويسرى هذا النص في المجتمع الإسلامي فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس وأعراضهم أن تمس أو أن ينال منها.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ما الغيبة..؟

قال ﷺ: ذكرك أخاك بما يكره.

قال: أفرأيت إن كان في أخى ما أقول..؟

قال ﷺ: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(٣).

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤- ١٤٧، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، (حلبى).

(٢) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ٤٠ باب الغيبة ٤٨٧٤ بسنده عن أبي هريرة أنه =

وروى أبو داود بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم. قلت من هؤلاء يا جبريل؟»

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم^(١).

ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية ورجمهما رسول الله ﷺ بعد إقرارهما متطوعين وإلحاحهما عليه في تطهيرهما سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب- ثم سار النبي- ﷺ- حتى مرَّ بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان انزلا فكلًا من جيفة هذا الحمار. فقالا غفر الله لك يا رسول الله. وهل يؤكل هذا قال ﷺ فلما نلتما من أخيكما أنفأ أشد أكلا منه والذي نفسى بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

وإذا كانت هذه صفات مجتمع المسلمين مجتمع الترابط والتعاطف مجتمع الإيمان والتقوى فما موقف هذا المجتمع من تلقى الأنباء؟

نرى أن القرآن الكريم قد حسم هذه القضية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

ومعنى الآية: «إن جاءكم فاسق» الذي يخرج عن طاعة الله إلى معصيته، والفسق أعم من الكفر، ويقع على كثير الذنب وقليله. ومن هنا كان الكافر

= قال: يا رسول الله ما الغيبة؟ وذكره. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب البر حديث ٢٥٨٩ في تحريم الغيبة والترمذي في البر حديث ١٩٢٥ باب في الغيبة وقال: هذا حديث حسن صحيح، ونسبه المنذرى للنسائي.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب برقم ٤٨٧٨ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٢) سورة الحجرات آية: ٦.

فاسقاً لإخلاله بما ألزمه العقل واقتضته الفطرة السلمية قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣).

فيذا جاء لجماعة المسلمين من خرج عن طاعة الله إلى معصيته نبياً عظيماً. يترتب عليه إرهاب الجماعة أن تتبين حقيقة النبأ وأن تثبت من صدقه. وأن تترث عند الأخذ به، حتى لا تندم على ما فعلت أو أن تأخذ الناس بغير ما فعلوا، أو أن تعاقب من لا يستحق العقاب.

عندها سيكونون كأصحاب الحديقة الذين أعماهم الطمع والجشع عن

التثبت:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ﴾^(٤) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ^(٥).

ولقد صدق الرسول ﷺ في قوله:

«التثبت من الله والمجلة من الشيطان»^(٥).

التثبت يكون القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامي إذا لجأ إلى الله تعالى، وعكف على مائدة القرآن الكريم يستلهمه الخير والسداد، إذا فر المجتمع إلى الله تعالى استجابة لقوله: ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٦).

ولجأ إلى كتابه يستفتيه في كل ما يعن له في رحلة الحياة القصيرة. قال

(٢) سورة المائدة آية: ٤٧.

(١) سورة النور آية: ٥٥.

(٤) سورة القلم الآيتان ٣١ - ٣٢.

(٣) سورة السجدة آية: ١٨.

(٥) رواه ابن أبي شيبه وأبو يعلى وابن منيع والحاثر عن أنس رفعه وأخرجه البيهقي عنه أيضاً وله شواهد عند الترمذي، وقال حسن غريب الأناة من الله والمجلة من الشيطان، والمسكرى عن سهل ابن سعد رفعه بلفظ: الأناة من الله والمجلة من الشيطان. راجع كشف الخفاء ١ - ٣٥٠.

(٦) سورة الذاريات آية: ٥٠.

تعالى عن هذا الكتاب: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (١).
وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢).

يثبت بالتريث والصبر، حتى لا يستعملهم الشيطان جنوداً له، يثبتهم بالربط على قلوبهم فلا يتبعوا أهواءهم، يثبتهم عندما ينزل بهم العظيم من الأمور، ويثبتهم عندما يريدون تنظيم حياتهم أو يعدون العدة لحماية ثغورهم، قال الله تعالى:

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (٣).

يربط على القلوب المؤمنة فلا تطير شعاعاً من هول المعركة، ويثبت أقدام المجاهدين وقلوبهم فلا تلوى عنانها عن الميدان هاربة.

ولن يتم هذا التثبيت إلا إذا كان المجتمع الإسلامي يحتكم إلى كتاب الله تعالى في العظيم والجليل من أموره والصغير والقليل من شئون حياته.

أما إذا ابتعد المسلمون عن هذا الكتاب وجعلوه وراءهم ظهرياً فلا شك أن الشيطان يوسوس لهم يستعجلهم في إشعال الحرب فيشعلونها. وهم ليسوا لها بأهل - فتكون الهزيمة الماحقة، والخسارة الفادحة، ثم يكتوون في النهاية بنارها.

ويطالبهم الشيطان باستعجال أمور دنياهم فيتبعونه فيما دعاهم إليه، عندما تنبهم أمامهم السبل، وتغلق في وجوههم المسالك ويلفهم ليل داج ليس له آخر.

يحدث هذا لاتباعهم طريق الشيطان، وانصرافهم عن الصراط المستقيم.

(٢) سورة النحل آية: ١٠٢.

(١) سورة الفرقان آية: ٢٢.

(٣) سورة الأنفال آية: ١١.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

من هنا قال رسول الله ﷺ: «التأني من الله والمجلة من الشيطان».

وللمزى في تهذيبه في ترجمة محمد بن موسى عن مشيخة من فوقه
مرسلاً أن النبي ﷺ قال: الأناة في كل شيء إلا ثلاث:

إذا صيغ يا خيل الله اركبي.

وإذا نودي بالصلاة.

وإذا كانت الجنائز^(٢).

وسبب نزول الآية كما يرويه الحاكم بن عبد الله بسنده عن الحارث بن
ضرار يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت
وأقررت ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها.

فقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعهم إلى الإسلام وأداء الزكاة
فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل لإبان^(٣) كذا وكذا لآتيك بما جمعت من
زكاة.

فلما جمع الحارث بن ضرار ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد أن
يبعث إليه رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول فلم يأت. فظن الحارث أنه
قد حدث فيه سخط من الله ورسوله. فدعا سراوات^(٤) قومه فقال لهم: إن
رسول الله ﷺ قد وقت لي وقتاً ليرسل إليّ لقبض ما كان عندي من الزكاة
وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه
فانطلقوا فتأتى رسول الله.

(١) سورة محمد آية: ٧.

(٢) راجع كشف الخفاء ١ - ٣٥٠.

(٣) الإبان: الوقت المحدد أو الوعد.

(٤) سراوات القوم: عظمائهم وأهل الرأي فيهم.

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة- إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فما أن سار الوليد حتى بلغ إلى بعض الطريق فرق فرجع..(١)

فقال يا رسول الله: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي.

فضرب رسول الله البعث إلى الحارث.

وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة فلحقهم الحارث فقالوا: هذا الحارث.

فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم...؟

قالوا: إليك.

قال: ولم..؟

قالوا: إن رسول الله ﷺ كان قد بعث إليك الوليد بن عقبة(٢)، فرجع إليه. وأخبره أنكم تريدون قتله.

فأتجهوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعاً وبلغنا أنه يزعم لرسول الله أنا خرجنا لنقاتله والله ما خرجنا لذلك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

(١) أسباب نزول القرآن ص ٤١٣ للواحدي وسيرة ابن هشام ٣- ٣٤٠.

(٢) والده عقبة بن أبي معيط، أحد الذين كان لهم دور كبير في الصد عن دين الله وتعذيب المستضعفين، وإيذاء الرسول ﷺ بالقول والفعل، وقع أسيراً في غزوة بدر فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقال عقبة: أقتلني يا محمد من بين قريش... قال: لأنك يهودي من أصل صفورية.

أسلم الوليد عند فتح مكة. عين والياً على الكوفة، فعاش كما يعيش الملوك حتى كان يوم وهو يصلي بالمسلمين صلاة الصبح وكأنه كان قد شرب خمراً فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم. فأمر عثمان -رضي الله عنه- بجلده وعزله عن الولاية- ثم مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان- راجع: الإصابة ٦/ ٦١٤.

فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾.

وخص الله سبحانه وتعالى الفاسق لأنه مظنة الكذب.

وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء.

والأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقة.

وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذاً بها.

فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره.

وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء.

ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق.

عندها تصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع.

فتتدم على ارتكابها ما يفضب الله.

وتجانب الحق والعدل في اندفاع أو تهور.

ومن الضوابط عدم الغيبة والتجسس.

عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»^(٢).

وقال عبد الرحمن بن عوف: حرس ليلة مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بالمدينة- إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط.

(١) سورة الحجرات آية: ٦.

(٢) راجع القرطبي عند تفسيره لهذه الآيات ١٦- ٣٣٢، ٣٣٣.

فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرِّبَ فما ترى...؟
قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم.
وقال زيد بن أسلم: خرج عمر وعبد الرحمن يعسان، إذ قبينت لهم نار
فاستأذنا ففتح الباب فإذا رجل وامرأة تغنى وعلى يد الرجل قدح.
فقال عمر: وأنت بهذا يا فلان...؟
فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين...؟
قال عمر: فمن هذه منك؟
قال: زوجتى.
قال: فما فى هذا القدح؟
قال: ماء زلال.
ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.
قال عمر: «صدق».
وقال عمرو بن دينار: كان رجل من أهل المدينة له أخت فاشتكت فكان
يعودها فماتت فدفعنها فكان هو الذى نزل فى قبرها فسقط من كفه كيس
فيه دنانير فاستعان ببعض أهله فأحضروا له الكيس.
ثم عنَّ له أن ينزل فى قبرها ليرى ما آل إليه حال أخته، فكشف عنها
فإذا القبر مشتعل نارا.
فجاء إلى أمه فقال: «أخبريني ما كان عمل أختي»...؟
فقالت له أمه: قد ماتت أختك فما سؤالك عن عملها...؟ فلم يزل بها
حتى قالت له: كان من عملها أنها تؤخر الصلاة عن مواقيتها، وكانت إذا نام

الجيران قامت إلى بيوتهم فألقت أذنها أبوابهم فتتجسس عليهم ثم تفتش أسرارهم.

فقال: بهذا هلك^(١).

ثالثاً: البعد عن الغيبة ونهش الأعراض.

قال الحسن- رحمه الله:- الغيبة ثلاثة أوجه. كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة، والإفك، والبهتان.

فأما الغيبة: فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الإفك: فإن تقول فيه ما بلفك عنه.

وأما البهتان: فإن تقول فيه ما ليس فيه.

وعن شعبة قال لى معاوية بن قرة: لو مراك رجل أقطع: فقلت: هذا أقطع كان ذلك غيبة.

قال شعبة فذكرته لأبي إسحاق. فقال صدق معاوية.

الأدب الثالث:

أمر من الله سبحانه وتعالى لجماعة المسلمين إذا خرجوا في سبيل الله داعين إليه عاملين لإعلاء كلمة التوحيد. أن يكونوا هداة ودعاة إلى الله الواحد الأحد. فإذا سمعوا كلمة لا إله إلا الله قبلوها ممن نطق بها وحكموا عليه بظاهر حاله. وتركوا سريره إلى علام الغيوب.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٢).

(٢) سورة النساء آية: ٩٤.

(١) راجع تفسير القرطبي ج ١٦: ص ٣٣٤.

روى الإمام مسلم بسنده عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبّحنا الحرقات^(١) من جهينة فأدركت رجلاً فقال لا إله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسى من ذلك.

فذكرته للنبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟

قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال: ألا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟

قال: فما زال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً.

ونقول: بهذه المبادئ وهذه المثل وجد العالم التنظيف المشاعر

العالم: الذى كفلت له الحريات.

العالم المصون الغيبة والحضرة.

العالم: الذى لا يؤخذ فيه أحد بظنة، ولا تتبع فيه العورات.

هذا المجتمع لا يتعرض فيه أمن الناس وكرامتهم وحريتهم لأدنى مساس.

مجتمع كله وحدة واحدة لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى فهم

جميعاً إخوة فى العقيدة. وإخوة فى النسب الكل من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله وعند رسوله أتقاهم.

الذى يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه العبد فالله سبحانه وتعالى

مطلع عليه وعلى كل ذرة من ذراته لا تغيب عنه شاردة ولا واردة وهو معكم أينما كنتم.

(١) أى اتيناهم صباحاً والحرقات موضع ببلاد جهينة.

فهل نستطيع عن طريق هذه المبادئ أن نوجد جيلاً يحمل هذه المبادئ إلى البشرية كلها؟..

حتى نستطيع أن نقضى على الفساد والفوضى والرذيلة والفحش الذى سرى فى العالم كله؟..

كتب «أندريا موروا» فى كتابه انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية يقول: من أهم الأسباب لانهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفرادها.

وأحست اليابان الحديثة بعد ما قطعت شوطاً فى الحضارة والتقدم أن شبابها بدأ يميل للهو والعبث ويتجه إلى الرذيلة والكسل.

فكيف عالجت المشكلة؟..

لم تتجه إلى الشرق والغرب لتستورد منهما الحلول.

ولم تلجأ إلى علم النفس لأن نظرياته متقلبة متباينة.

ولم تلجأ إلى حلول المخمورين والمتهوسين والعلمانيين. بل لجأت إلى الدين مباشرة فأصدرت القوانين بالآل يوظف شاب فى وظيفة إلا بعد أن يدخل المعبد ويمارس فيه رياضة روحية عنيفة ويستوعب من الكهنة تعاليم بوذا العظيم.

فهل نحن فاعلون وذلك بالعودة إلى دين خالق الأرض والسموات وموجد الحياة والموت؟

نرجو من الله تعالى حتى نعود إلى سابق عزنا ومجدنا. وتكون لنا السيادة فى الأرض.

عياش بن أبي ربيعة

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

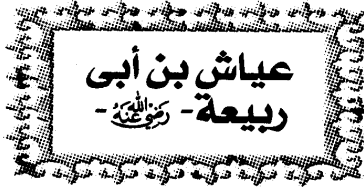
قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ
وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ
وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾.

(النساء: ٩٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال صاحب كتاب أسباب نزول القرآن
نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة - رضي الله عنه - ص ١٧٣
وذكره صاحب الدر المنثور ٢: ١٩٣
وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ١: ٢٩٥ في ترجمة الحارث بن
زيد.
فمن هو عياش بن أبي ربيعة؟



حياته ونشأته

هو عياش المؤمن الصابر.

صاحب رسول الله - ﷺ.

والمقاتل في سبيل الله والمهاجر إلى أرض الله الواسعة. بدينه وقرآناه
تتفيذاً لقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً^(١)﴾

كان إسلامه قديماً في أوائل الدعوة الإسلامية.

عندما وقف الرسول - ﷺ

وقال كلمته المشهورة أيها الناس: لو قلت لكم أن خيلاً وراء هذا الوادي
تريد أن تفيروا عليكم:

أكنتم مصدقي...؟

قالوا: نعم ما جرينا عليك كذباً قط.

قال: فإني رسول الله إليكم خاصة. وإلى الناس كافة.

ويحدد البعض إسلام عياش قبل دخول الرسول - ﷺ - دار الأرقم بن
أبي الأرقم.

(١) سورة النساء آية: ١٠٠.

نشأ عياش على بطحاء مكة، بجوار البيت الحرام- وكان يكثر الدخول إلى بيت الله الحرام ويطوف حول الكعبة ويمسح من ماء زمزم حتى يرتوى وكان بارعاً في الصيد والقنص.

له قدرة فائقة في إصابة الهدف.

وخبرة طويلة في صيد الغزلان والطيور.

وفارس لا يشق له غبار.

عرفته البادية بصاحب السهم الصائب والرامي الذي لا يخطأ مرماه.

وأخوه من أمه الحكم بن هشام والذي سماه الرسول ﷺ - أبا جهل.

نعم أبو جهل قاهر المستضعفين وعدو المؤمنين.

وفرعون هذه الأمة.

وراضخ جسد بلال- مؤذن الرسول- ﷺ - بالحجارة والسياط.

وأحد المستهزئين بالدعوة وصاحبها. والمتأمرين على قتله في دار الندوة.

وأخوه أيضاً. الحارث بن هشام.

شهد بداراً كافراً مع أخيه أبي جهل بن هشام

ولما قتل أبو جهل فر الحارث هارباً من حومة القتال.

وروى أن أم هانئ بنت أبي طالب استأمنت له النبي- ﷺ - فأمنه يوم فتح مكة.

وكانت إذ أمنتها- وعلم الإمام علي بن أبي طالب ذلك فأراد قتله.. ٩٩

وحاول أن يغلبها عليه.

فدخل النبي- ﷺ - منزلها في ذلك الوقت. فقالت:

«يا رسول الله ألا ترى إلى ابن أُمي يريد قتل رجل قد أجرته.. ٩٠»

فقال رسول الله - ﷺ:

«قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنت فأمنه».

وأسلم الحارث بعدها فلم ير منه في إسلامه شيء يكره.

وشهد مع الرسول - ﷺ - غزوة حنين.

لقد أمنت المرأة المسلمة.

فأمنه رسول الله - ﷺ -.

وأحسن الحارث أن هذه ليست بأخلاق البشر. وإنما هو وحي من الله

تعالى ينفذه رسوله - ﷺ -.

عندها امتلأ قلبه بالنور وشاهد الحق ماثلاً بين يديه.

فدخل في دين الله ونطق بشهادة التوحيد - وأصبح من هؤلاء العملاقة

الذين تربوا في مدرسة القرآن.

حيث الوحي المتتابع على رسول الله - ﷺ -.

وصدق ربي في وصفه لرسوله بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

وخرج الحارث إلى الشام - في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - راغباً في

الرياء والجهاد.

متشوقاً إلى نشر دين الله.

ومجنّداً هؤلاء إخوة الشياطين الذين يصدون ويرهبون الراغبين في

اعتناق هذا الدين.

خرج إلى الشام تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران آية رقم: ١٥٩. (٢) الذاريات آية رقم: ٥٠.

فروا من معاصي الله إلى طاعته.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فروا منه إليه واعملوا بطاعته.

وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن.

وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم من وسوسة الشيطان.

وقال ذو النون المصري:

فروا من الجهل إلى العلم.

فروا من الكفر إلى الإيمان.

فروا من معصية الله إلى طاعته.

وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١).

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢).

وقال سهيل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله.

والفرار إلى الله: هو التوجه لله بكل خاطرة في الضمير، وبكل حركة في الجوارح.

فكل حركة وكل خاطرة مقصود بها التوجه لله.

ثم التحرر من كل شعور آخر.

ومن كل معنى غير معنى التعبد لله

(١) سورة يوسف آية رقم: ٥٣.

(٢) سورة النازعات آية رقم: ٤٠.

ويصبح العمل كالشعائر
والشعائر كعمارة الأرض
وعمارة الأرض جهاد فى سبيل الله
ولهذا يقول الرسول - ﷺ -:
«إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة» نبتة صغيرة فلا يتركها حتى
يفرسها».

والجهاد نوعان جهاد أصغر وجهاد أكبر.
فالأصغر: محاربة أعداء الله. الجاحدين بنعمه وتفضله على عباده
والجهاد الأكبر: مجاهدة النفس فى طاعة الله والبعد عما يفضبه
ولهذا قال الرسول - ﷺ -:
«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».
والجهاد فى سبيل الله عبادة.
وجهاد النفس وصبرها على الشدائد عبادة.
والرضا بقضاء الله وقدره وتحمل أذى الآخرين عبادة.
وكل هذه الأشياء مندرجة تحت قوله تعالى:
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

هجرة عياش الأولى إلى المدينة بصحبة

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

رأى عياش بعينه صنوف العذاب التي تصب على الذين أسلموا وتابعوا الرسول - ﷺ - فيما جاء به من ربه.

شاهد عياش الجبارين في مكة يصبون العذاب صباً

على المستضعفين من أتباع الدين الجديد

فبالل - ﷺ - يدفن في الرمال المتقدة وتسلط أشعة الشمس على جسده العارى.

أملأ على أن يعود لعبادة الأصنام.

ولكن الرجل الذي استقر التوحيد في قلبه يهتف من أعماقه أحد أحد.

وعمار بن ياسر وأمه وإخوته يقيدون بالسلاسل وتكوى أجسادهم بالنار المشتعلة.

ويعمر الرسول - ﷺ - على هؤلاء الذين يعذبون من آل عمار فيقول:

صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة.

وأم عمار الصابرة المؤمنة.

يضر بها أبو جهل بحريته في قبلها فأرداها قتيلة.

وغير ذلك من التكيل والتعذيب وانتهاك حرمان الإنسان.

عندها ركب عياش دابته في رفقة عمر بن الخطاب.

وأخذت الدواب تفذ السير بهم حتى لاحت لهم قباب المدينة.

ثم توجهوا إلى مسجد الرسول - ﷺ - فرحب بهما وهنأهما بالسلامة.

أما عمر فاستقر بجوار الرسول ﷺ .
وأما عياش فاتجه إلى أطم من أطام المدينة فتحصن به .
وعندما استيقظت أمه في الصباح لم تجد ابنها عياشا في فراشه
كعادتها لتعد له طعامه وشرابه .
عندها أيقظت ابنيها أبي جهل والحارث .
ثم قالت لهما : والله لا يظلني سقف بيت
ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتونني به
عندها خرجا في طلبه . وخرج معهم الحارث بن زيد بن أبي أنيسة
وأيقنوا أنه ذهب إلى يثرب . فساروا إليه . وأخذوا في التفتيش عنه .
وأخيراً اهتدوا إلى موقعه فوق إحدى الأطم في يثرب .
فقالوا له :
انزل إلينا فإن أمك حلفت ألا يأويها سقف بيت بعدك
وأقسمت أن الطعام والشراب حرام عليها حتى تعود إليها .
فإن عدت لك علينا- والشاهد الله- أن لا نكرهك على شيء ولا نحول
بينك وبين التمسك بما تعتقده وتميل إليه .
فلما ذكروا له جزع أمه وأعطوه العهد والميثاق نزل إليهم .
عندها ساروا به خارج المدينة .
حتى إن استغاث لا يغيثه أحد
وإن طلب النجدة لا يجد من ينجده
فأوثقوه بالحبال : أوثقوا يديه ورجليه حتى لا يفر
ثم وضعوه على دابة وسارت بحملها أمامهم- وهم يسيرون خلفها حتى

دخلوا رحاب مكة .

وأخذوا فى اتهامه بالفسق والخروج عن عبادة الأصنام- الأصنام التى لا تتفع ولا تضر- الأصنام التى لا تحى ولا تمىء .

ثم قدموا به على أمه فقالت الأم :

«والله لا أحل وثاقك حتى تكفر بالذى آمنء به .

ثم تركوه فى الشمس فترة وفى الظل أخرى

وهو صابر صامء . أعموء إلى عبادة الشجر والحجر ويكفر بالخالق المبعء...؟

هذا لن يكون أبءاً .

ولما طال وثاقه وتعذبه . اقءرب منه الحارء بن يزىء وقال :

«يا عىاش : والله لئن كان الذى كنت عليه هءى لءقء تركء الهءى وإن كان ضلالة لءقء كنت عليها .

ففضب عىاش من مءالءه وقال : والله لا ألقاك خالئاً إلا قءلئك...؟

عندها ناى أبو جهل فى مكة قائلاً : هكءا إفعلوا بسفهاءكم كما فعلنا بسفبهنا هذا .

عجباً لهذا الرءل الذى يعبء الواحد الأحء وىءبع ملة إبراهيم حنىفاً .

ویرفض السءوء لصنم أو حجر .

وىحلئ نفسه بمكارم الأخلاق وىترك سفاسفها

ىكون سفبهاً فى نظر كفار قرىش...؟

والذى يأكل المىءة وىتمسح بالأصنام

وىففر على الضعفاء

ولا يحل ولا يحرم يكون عاقلاً رزيناً... ٩٩

إن ما قاله أبو جهل سبقه إلى قوله فرعون الطاغية. فرعون مصر عندما حكى القرآن مقولته لقومه عن موسى عليه السلام.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ (١).

أليس ما قاله فرعون هو بمعينه كل ما يقوله كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح.

أليست بمعينها كلمة الباطل الكالغ في وجه الحق المزدهر.. ٩٩

أليس هي بمعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الزوابع في وجه الإيمان الهادئ... ٩٩

إنه منطق واحد يتكرر في كل زمان ومكان كلما تقابل الحق والباطل والإيمان والكفر، والصالح والإفساد.

ودائماً يكون الانتصار للحق والخذلان للباطل

وقصص الطفلة وحوادث التاريخ خير شاهد على ذلك ومن الأمثلة على ذلك:

لقاء إبراهيم عليه السلام مع ملك زمانه «النمرود».

نعم النمرود الذي قال لإبراهيم عليه السلام: من ربك.. ٩٠

قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

قال النمرود: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾

قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وفرعون الذي طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا

(١) سورة غافر آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٥٩.

قال لقومه: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (١).

عندها قال موسى:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٢).

واستجاب له ربه بقوله: ﴿قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (٣).

ثم ماذا؟

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤).

لقد قدم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: أن النصر في النهاية يكون للمؤمنين الموحدين الذين ينصرون الله بتقديده شرعه والاستجابة لأمره والابتعاد عما نهى عنه. قال تعالى:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٥).

فمتى يعودوا هؤلاء الرجال لدينا الناس؟

متى يارب: إنا لمنتظرون.

ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

(١) سورة غافر آية: ٢٦.

(٢) سورة يونس آية: ٨٨.

(٣) سورة يونس آية: ٨٩.

(٤) سورة يونس آية: ٩٠.

(٥) سورة محمد آية: ٧.

عياش تفك قيوده ويعود مرة أخرى إلى المدينة

كيف عاد عياش إلى مدينة الرسول - ﷺ - ٩٠.
ومن فك قيوده وحمله إلى الرسول - ﷺ - ٩٠.
حيث الأمن والأمان. والهدى والقرآن، وعبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.
لقد تخرج في مدرسة الإسلام مجموعة من الرجال الأبطال المغاوير
والذين قاموا بدور كبير في فك قيود المستضعفين منهم
الصحابي الجليل مرثد بن أبي مرثد - رضى الله عنه -
والوليد بن الوليد بن المغيرة. وعتبة بن أبي بصير وغيرهم
ولقد كلف الرسول - ﷺ - الوليد - بالعودة إلى مكة ويرصد حركات
قريش. ثم يقتحم المكان الذي قيد فيه عياش بن ربيعة - ويكسر قيوده
ويحمله إلى المدينة.
ولقد استجاب الوليد لأمر الرسول - ﷺ - وطوى الأرض طياً بمهرته
التي تسابق الريح جرياً حتى وصل إلى عياش في سجنه وحمله وعاد به مرة
أخرى إلى رحاب سيد الخلق محمد - ﷺ .
ليعيش مع الأخوة المتحابين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.
الذين ارتضاهم الله لحمل دينه.
وإدخال الناس كل الناس في رحاب هذا الدين الذي جعله مُنْزَلُهُ خاتم
الكتب المنزلة على الرسل جميعاً ليكون للبشرية كلها هادياً ودليلاً.

ووصفهم خالقهم والعليم بخباياهم وبكل ذرة من ذراتهم بقوله:
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١).

وأصبح عياش جندياً من جنود الفتح.

ويطلاً من أبطال المعارك.

وفارساً لا يق له غبار.

وعابداً في محرابه يدعو ربه ويؤوب إليه.

فإذا جن الليل وسكن الكون هجر مضجعه واقفاً بين يدي خالقه ورازقه
النعمة والعافية وأصبح من هؤلاء الذين قال الله عنهم:

﴿تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾ (٢).

لقد شارك عياش في غزوة الخندق.

الخندق التي قال الله تعالى عنها:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ (٣) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (٣).

ثم جاء نصر الله - وفرت الفئة الباغية كالجرذان تفر من صائدها.

وكفى الله المؤمنين القتال

وشارك في فتح خيبر والانتصار على هؤلاء الذين قتلوا الأنبياء ولعنهم
الله شر لعة وأنزل الله تعالى مصوراً حالهم وذعرهم بقوله:

(١) سورة الحشر آية: ٩.

(٢) سورة السجدة آية: ١٦.

(٣) سورة الأحزاب آية: ١٠.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (١).

عياش بن أبي ربيعة في غزوة تبوك

يقول عياش بن أبي ربيعة: توجهت جيوش المسلمين إلى الشام عندها
فزعت الروم فرعاً شديداً وخافوا خوفاً أليماً.

فكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر

فلما انتهى إليه الخبر قال هرقل:

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد.

وأنه لا قبل لأحد بهم.

فأطيعوني وصالحوهم. بما تصالحونهم على نصف خراج الشام ويبقى

لكم جبال الروم وفيها الخير والبركة..

وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم وضيقوا عليكم جبال الروم.

يقال: فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش

عند ذلك خرج هرقل إلى حمص وأمر بخروج الجيوش بصحبة الأمراء

يقول عياش ولما سمع المسلمون ذلك

وقف خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وقال:

(١) سورة الحشر آية: ٢.

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:
إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي
أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم.
وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم.
وإن هزمنا لا نفلح بعدها أبداً.
فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر
بعد غد حتى يتأمر كلكم
ودعوني اليوم أليكم.
فأمروهم عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً.
ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال:
«عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.
يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب
ومدحضة للعار.
لا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال
واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق.
والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم.
ثم كانت معركة ضارية وأبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً ففر الروم هاربين
لا يلوون على شيء وتبعهم جنود الله يقتلون ويأسرون.
ودوى في الكون كله قول الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ١٠٥.

وشاهد هرقل جنوده وهم يفرون هاربين لا يلوون على شيء.

يقول عياش بن ربيعة. عن أبي إسحاق قال لهم:

ويحكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم اليسوا بشراً مثلكم؟
قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من عظمائهم.

من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار.

ثم يوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ودائماً يتتاصفون
بينهم.

أما نحن فنختلف عنهم اختلافاً كبيراً.

إننا نشر الخمر ونرتكب الفاحشة.

ونرتكب الحرام وننقض العهد.

ونغضب الرب ونظلم ونأمر بالسخط.

وننهي عما يرضى الله ونفسد في الأرض

عندها قال هرقل: أنت صدقتي

ثم ماذا؟ كان النصر وكان الفوز وعاش المسلمون جميعاً جنداً لله
تعالى. يأترون بأمره. وينتهون عند نهيه.

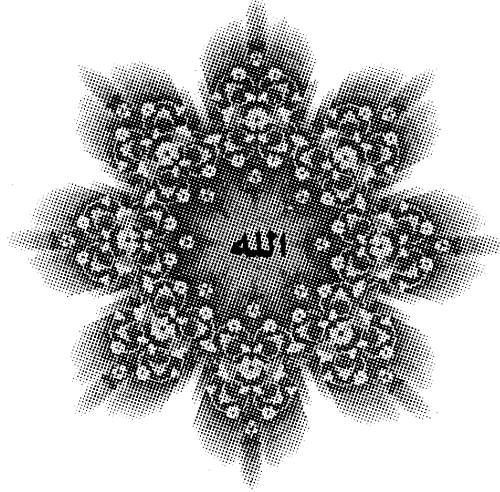
ففتحت الدنيا لهم أبوابها . فملأوها بالعدل والوفاء . والحب والرجاء
وكان كل منهم يحاسب نفسه ويقول:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

فمتى يعود هؤلاء الرجال لدنيا الناس..؟

متى يارب: إنا لمنتظرون.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.





حقيقة الهجرة في منهج الإسلام

لقد هاجر المسلمون الأول فراراً بدينهم من تسلط القوة الباغية..
هاجروا حتى لا تفتتهم قريش.
وتحول بينهم وبين دينهم الذي ارتضاه الله لهم.
وخرجوا به من ظلمات الجهل، وضلالات الكفر.
إلى نور الإيمان، وواحة الإسلام.
فالهجرة عمل بطولى كبير.
لا يقدر عليه إلا أفضاذا الرجال الذين طبعهم الله بطابع التقوى.
ولقد كان للهجرة إلى أرض الحبشة.
ثم إلى يثرب أثر فعال في حياة الدعوة الإسلامية.
لقد حمت الهجرة بإرادة الله وقدرة طلائع المسلمين الذين ارتضوا
الإسلام ديناً من القتل والإبادة التي كانت قريش تعدّها لهؤلاء الذين تركوا
عبادة الأصنام والتمسح بالأوثان.
وتقدم القرابين لآلهة الحجر والشجر.

والمسلمون الآن في عصرنا الراهن، هم في حاجة إلى هجرة من نوع جديد هجرة تجدد حياتهم.

هجرة تعيد لهم قوتهم وتدفعهم إلى مقدمة الصفوف.

نريد لحكام الأمة الإسلامية أن يهاجروا.

يهاجروا من الارتجالية.

إلى دراسة الأمور وتمحيص شئون الحياة.

نريد لهم أن يهاجروا ويفروا من حاشيتهم وحجابهم.

الذين يحبسونهم من خلف الأبواب والجدر.

إلى رحابة شعبهم وأممهم.

حتى يتعرفوا على أدوائهم ويحققوا لهم شفاءهم.

نريد أن نقول لحكام المسلمين إن التقارير التي تقدم لهم لا تمثل حقيقة الأمر ولا تصور الواقع المر.

نعم الواقع المر الذي يعيش فيه الناس.

ولكنها فقط تمثل أهواء الحاشية، ورغبات الحجاب.

نريد لحكام المسلمين أن يثوروا على الأقفاص التي يحبسون فيها حتى ولو كانت من ذهب.

لأنها سجن كبير، وعليهم أن يخرجوا منه إلى دنيا النور.

وإلى معاشة شعوبهم، والتعرف على أوضاعهم ومشاكلهم..٩٩

فمتى تتم هذه الهجرة..٩٠

حتى تعود للمسلمين كرامتهم وعزتهم..

نريد لجماعة المسلمين فى كل عصر ومصر أن يهاجروا.

هجرة جديدة.

هجرة فريدة.

يهاجروا من السلبية والارتجالية.

إلى الإيجابية العملية، وتمحيص الواقع المجهول.

يهاجروا من انحلال الأخلاق إلى قوة الإيمان.

يهاجروا من الفوضى إلى النظام.

يهاجروا من الفردية البغيضة إلى التجمع والوحدة.

ومن الاتكالية والعفوائية إلى الاعتماد على الله تعالى.

واتخاذ الأسباب والمسببات فى تحقيق أغراضهم.

نريدهم أن يهاجروا من الضعف إلى القوة.

من ظلام العبث إلى سماحة الخلق.

من إلغاء الذاتية إلى قوة الشخصية.

فمتى يحدث ذلك..؟

حتى يعود الإيمان والاطمئنان.

وحتى نرى فرسان مدرسة النبوة- وهم يملأون الساحة مرة أخرى.

ويعودون إلى مسرح الوجود، ودنيا الناس..؟

متى يا رب..؟ إنا لمنتظرون.



ثبت بالمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي دار الشعب- مصر.
- ٣- أسباب نزول القرآن للواحدى: تحقيق الأستاذ أحمد صقر.
- ٤- تفسير القرآن العظيم: للحفاظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير. دار الأندلس- بيروت.
- ٥- تفسير الطبرى: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى- دار المعارف- مصر.
- ٦- الجامع لأحكام القرآن: لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م
- ٧- الدر المنثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطى- المكتب الإسلامى - طهران
- ٨- فى ظلال القرآن: سيد قطب.- دار إحياء التراث العربى: بيروت ١٣٨٦هـ.
- ٩- تفسير القرآن العظيم: لأبى الفداء إسماعيل بن كثير.
- ١٠- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى.
- ١١- أسباب نزول القرآن: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى.

- ١٢- فتح الباري بشرح البخاري: للحافظ أبي الفضل العسقلاني: المعروف بابن حجر.
- ١٣- صحيح الإمام مسلم، بشرح النووي - المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م
- ١٤- مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر- ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م
- ١٥- صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١م
- ١٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونسك.
- تعريب محمد فؤاد عبد الباقي- مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢م
- ١٧- الجامع الصغير: للإمام السيوطي. مطبعة البابي الحلبي- القاهرة.
- ١٨- كشف الخفا ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلوني. مكتبة التراث الإسلامي- حلب.
- ١٩- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني- دار صادر- بيروت.
- ٢٠- الكامل في التاريخ: لابن الأثير- دار صادر- بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
- ٢١- تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد الطبري- دار القلم الحديث- بيروت.
- ٢٢- البداية والنهاية- الحافظ ابن كثير. مكتبة بيروت- ومكتبة النصر- الرياض.
- ٢٣- الطبقات الكبرى: ابن سعد- صيدا- دار بيروت ١٣٧٧.
- ٢٤- سيرة النبي لابن هشام: تحقيق محيي الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية- القاهرة.

- ٢٥- الروض الأنف: عبد الرحمن السهيلي.. دار الكتب الحديثة- القاهرة .
- ٢٦- مروج الذهب: للمسعودي- دار الأندلس- بيروت- مكتبة نهضة مصر .
- ٢٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر- دار الأندلس- بيروت- مكتبة نهضة مصر .
- ٢٨- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: على الطنطاوي وناجي الطنطاوي .
دار الفكر بيروت- الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م .
- ٢٩- رجال حول الرسول: خالد محمد خالد- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .
- ٣٠- العبقریات: لعباس محمود العقاد .
- ٣١- على بن أبي طالب- بقية النبوة- وخاتم الخلافة: للأستاذ عبد الكريم الخطيب- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت .
- ٣٢- هذا هو الطريق: د. عبد الرحمن عميره- دار التراث مصر- ١٩٧٣ .
- ٣٣- مع الإلحاد وجهاً لوجه: د. عبد الرحمن عميره- دار الحلبي القاهرة .
- ٣٤- أشهر مشاهير الإسلام: رفيق العظم .
- ٣٥- الأعلام: للزركلي .
- ٣٦- الأغاني: للأصفهاني .
- ٣٧- تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .
مصر- ١٣٠٥ .
- ٣٨- تفسير الخازن والبلغوي: المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبلغوي المسمى معالم التنزيل- دار الفكر- بيروت- لبنان .
- ٣٩- تلبیس إبلیس: لابن الجوزي- مصر- ١٣٤٧هـ .
- ٤٠- الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري.. مصر .

- ٤١- سنن الترمذى: حققه وصححه عبد الرحمن عثمان.
الناشر محمد عبد المحسن الكتبى- صاحب المكتبة السلفية: المدينة المنورة.
- ٤٢- سنن الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى «ابن ماجه»
حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي- ١٣٩٥هـ-
١٩٧٥م- دار إحياء التراث العربى.
- ٤٣- تراث الإنسانية: مجموعة من العلماء - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

فهرس المحتويات

5 خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
	قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿
7
8 أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآيات
	قال الرسول <small>ﷺ</small> : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله
9 سلله الله على المشركين
9 قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد
11 خالد بن الوليد حياته ونشأته
12 إسلام خالد <small>رضي الله عنه</small>
15 خالد في غزوة مؤتة
16 خالد في فتح مكة
17 المعارك الجانبية في فتح مكة وسماحة فرسان الإسلام
18 خالد في حروب الردة
19 مقتل مسيلمة الكذاب
22 خالد خارج الجزيرة العربية

- 24 موقعة الأنبار
- 25 خالد على أرض الشام
- 27 علمنى الإسلام يا خالد
- 29 هرقل يستقبل فلول الجيش المنهزم
- 30 خالد بن الوليد وسفير الفرس
- 32 عزل خالد عن القيادة
- 35 تذييل: الإسلام ومولد الإنسان الجديد
- 49 المقداد بن عمرو بن ثعلبة - رضى الله عنه -
- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
- 51 تذييل: أحوال العلماء والمفسرين فى نزول الآيات
- 52 عبد الله بن مسعود ومواقف المقداد بن عمرو
- 53 المقداد بن عمرو حياته ونشأته
- 55 المقداد فى مدينة الرسول ﷺ
- 57 زواج المقداد بن عمرو
- 58 رؤيا عاتكة وغزوة بدر
- 58 المقداد يأسر النضر بن الحارث
- 62 المقداد بن عمرو فى فتح مصر
- 63 تذييل: أدب الحوار فى منهج الإسلام
- 65

79	هشام بن عتبة <small>رضي الله عنه</small>
	قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ
81	الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
82	أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية
85	هشام بن عتبة حياته ونشأته
87	هشام بن عتبة في معركة اليرموك
91	هشام بن عتبة في معركة القادسية
93	هشام قائداً لمعركة جلولاء
95	معركة الجمل وصفين
99	تذييل: الإسلام بين أمس واليوم
105	أبو محجن الثقفي <small>رضي الله عنه</small>
	قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
	وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
107	تُفْلِحُونَ﴾
108	أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية
109	أبو محجن الثقفي حياته ونشأته
110	إسلام أبي محجن الثقفي
112	هدم الطاغية (اللات)
113	أبو محجن وتعاطى الخمر
115	أبو محجن ومعركة القادسية

- 119 فتح همدان وجرجان وأذربيجان
- 120 لقاء بين ضرغام بن أبي محجن وبين معاوية بن أبي سفيان
- 123 تذييل: المخدرات أو حرب التدمير في عالمنا المعاصر
- 129 إعدام مروجى المخدرات
- 132 كيف يتخلص المدمنون من الإدمان؟
- 135 أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
- قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
- 137 أقوال العلماء والمفسرين في نزول الآية
- 138 قال الرسول ﷺ: «هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري
- 139 أبو موسى الأشعري حياته ونشأته
- 141 مقتل أبي عامر الأشعري وإجهاز أبي موسى على قاتليه
- 145 أبو موسى الأشعري والياً على البصرة
- 147 أبو موسى الأشعري في معركة صفين
- 149 أبو موسى الأشعري وقصة التحكيم
- 152 اجتماع الحكمين
- 153 أبو موسى الأشعري والدعوة إلى العلم
- 156 تذييل: العلم في منهج الإسلام
- 161 منهج الإسلام في الدعوة إلى العلم
- 162

- 165 عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول
قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
- 167 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية
- 168 قال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل: فقال ابنه: والله يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل.
- 169 عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول حياته ونشأته
- 171 عبد الله بن عبد الله يقف فى وجه أبيه ويمنعه من دخول المدينة؟
- 172 الرسول - ﷺ - يكفن والد عبد الله بقيمصه ويصلى عليه عند وفاته.
- 175 استشهاد عبد الله بن عبد الله فى معركة اليمامة
- 176 تذييل: الإيمان وأثره فى تقدم الشعوب
- 179 سعيد بن العاص بن أمية - رضى الله عنه -
- 183 قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
- 185 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية
- 186 سعيد بن العاص بن أمية - رضى الله عنه -: حياته ونشأته
- 189 سعيد بن العاص والياً على الكوفة
- 192

- 196 اعتزال سعيد وبعده عن شئون الحكم
- 202 حكم ووصايا سعيد بن العاص - رضي الله عنه
- 203 وفاة سعيد بن العاص - رضي الله عنه
- 207 تذييل: قضية التوحيد والقرب من الله
- 213 عمير بن وهب بن خلف - رضي الله عنه
- قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾
- 215 شيناً
- 216 أقوال العلماء والمفسرين في نزول الآية
- 219 عمير بن وهب - رضي الله عنه حياته ونشأته
- 220 عمير بن وهب - رضي الله عنه في غزوة بدر
- 223 عمير يتأمر على قتل محمد - صلى الله عليه وسلم
- 225 عمير يرجع عن غدره ويعلن إسلامه
- 227 عمير يعود إلى مكة ومعه ابنه
- 228 عمير في فتح مكة - كرمها الله
- 230 هروب صفوان بن أمية من لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم
- 231 عمير في غزوة حنين
- 235 تذييل: منهج القرآن في تربية الرجال
- 239 خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنه

	قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجَرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١)
241	الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤١﴾
242	أقوال العلماء والمفسرين فى نزول الآيات
	قال خالد بن سعيد: رأيت فى المنام قبل مبعث النبى - ﷺ
243	ظلمة غشيت مكة حتى ما أرى جبلاً ولا سهلاً
244	خالد بن سعيد رضى الله عنه حياته ونشأته
247	رؤيا خالد والبشرى ببعثة خاتم الأنبياء
250	رؤيا جديدة لخالد واعتناقه الإسلام
	خالد يخرج للجهاد على أرض الشام ويوصى حاكم
253	المسلمين قبل خروجه
256	قتل خالد واستشهاده
257	استشهاد خالد بن سعيد رضى الله عنه
259	تذييل: الازدواجية بين الإسلام والنظريات المعاصرة
273	الوليد بن الوليد بن المغيرة - رضى الله عنه
	قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
275	الرَّحِيمُ﴾
276	أقوال العلماء والمفسرين فى نزول الآيات
277	رثاء للوليد بن الوليد رضى الله عنه من أم مسلمة زوج الرسول ﷺ

- 278 الوليد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنه حياته ونشأته
- 282 الوليد بن الوليد في غزوة بدر
- 285 فداء الوليد بن الوليد
- 285 إسلام الوليد بن الوليد رضي الله عنه
- 287 الوليد بن الوليد في عمرة القضاء
- 288 تذييل: الجهاد في سبيل الله
- 301 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه
- 303 قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿
- 304 أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآيات
- 305 قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة أو قال سيد شباب أهل الجنة
- 307 أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه حياته ونشأته
- 313 أبو سفيان مع المشركين في غزوة بدر
- 315 إسلام أبي سفيان بن الحارث
- 317 أبو سفيان في موقعة حنين
- 319 تذييل: أخلاقيات المجتمع الإسلامي
- 331 بلال بن الحارث بن مازن المزني رضي الله عنه

- 333 قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ
الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ
اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾
- 334 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول الآية
- 337 بلال بن الحارث رضي الله عنه حياته ونشأته
- 338 بلال بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
- 341 بلال رضي الله عنه فى فتح مكة
- 342 تجهيز الرسول - صلى الله عليه وسلم
- 344 بلال على أرض أفريقيا
- 347 رسول الله يقطع لبلال أرضاً كثيرة
- 348 وفاة بلال بن الحارث رضي الله عنه
- 349 تذييل: الهجرة إلى الله تعالى
- 361 حنظلة بن أبى عامر الراهب الأنصارى رضي الله عنه
- 363 قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَ فَإِنَّكَ لَهُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾
- 364 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول الآية
- 365 قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم لتغسله الملائكة يعنى
حنظلة فسألوا أهله ما شأنه فقالوا: خرج وهو جنب حين
سمع نفيى الحرب

- 367 حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه حياته ونشأته
- 374 حنظلة في غزوة أحد - رضي الله عنه
- 375 حنظلة غسيل الملائكة عليهم السلام
- 377 تذييل: الجهاد في سبيل الله
- 383 زيد بن ثابت جامع القرآن الكريم وكاتب الوحي - رضي الله عنه
- 385 قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾
- 386 أقوال العلماء والمفسرين في نزول الآيات
- 387 قال رسول الله ﷺ إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تتعلم اللغة العبرانية: فقلت نعم. وتعلمتها في سبعة عشر يوماً
- 389 زيد بن ثابت رضي الله عنه حياته ونشأته
- 390 زيد بن ثابت في سقيفة بني ساعدة
- 391 زيد بن ثابت حكماً بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنه
- 393 زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي الرسول ﷺ
- 393 زيد يجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه
- 395 زيد على أرض الشام مع عمر بن الخطاب
- 396 زيد في تقدير الرسول ﷺ وأصحابه
- 398 وصايا زيد بن ثابت لأبي بن كعب
- 401 الترغيب في قراءة القرآن الكريم

- 407 تذييل: الإيثار والبذل وموقف الإسلام منه
- 415 مسيلة الكذاب الحنفى
- 417 قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾
- 418 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول الآية ١٧ - ١٨
- 419 مسيلة الكذاب حياته ونشأته
- 422 مقتل مسيلة الكذاب
- 425 تذييل: الطفاة والجبابرة ودروهم فى حياة الشعوب
- 427 النمرود بن كوش الذى كسر إبراهيم عليه السلام أصنامهم التى تعبد من دون الله
- 429 الطاغية فرعون موسى عليه السلام
- 435 تميم بن أوس الدارى
- 437 قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾
- 438 أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

- 439 تميم بن أوس الدارى - حياته ونشأته
- 445 الدجال فى أحاديث الرسول ﷺ
- 453 تذييل: ضوابط تلقى الأنبياء فى المجتمع الإسلامى
- 469 عياش بن أبى ربيعة رضي الله عنه
- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
- 471 عياش بن أبى ربيعة رضي الله عنه - حياته ونشأته
- 475 هجرة عياش الأولى الى المدينة بصحبة عمر بن الخطاب
- 478 عياش تفك قيوده ويعود مرة أخرى إلى المدينة
- 483 عياش بن أبى ربيعة فى غزوة تبوك
- 485 تذييل: حقيقة الهجرة فى منهج الإسلام
- 489